

علاء وحماد

# مَسَافَة فِي عَقْلِ رَجُلٍ





# مسافة في عقل رطل

عبد الوهاب



## الاهداء

لكل من احبني واحبته ...

ما اتمناه ان لا يتحول هذا الحب الى غضب ! !

فما كتبته ليس سوى قصة امتزج فيها فيض

الخيال بنفث الفكر . . . . .

علاء حامد



## تقديم

من انسا . . . ١٩

اسم في قوائم المنتظرين . . مسلم بالميراث . . لو ولدت من صلب  
ملحد لأصبحت مثله . . فلا اختيار للإنسان في مولده ولا في دينه . . قد  
يكون أبوه من أسافل القوم أو أعاليها وقد تكون أمه عاهر أو فاضله . .  
وقد يولد لأب مجوسى وأم هندوسية . . أمور كلها لا اختيار له فيها . .  
تماما كالتصاق الصفات الوراثية بالجنين والتي لا يد له فيها . . فالإنسان  
لا يختار عقيدته وقت ولادته ليس لانعدام الاختيار لديه . . بل لانتقاصه  
ذلك أنه في لحظة ولادته لم تكن وسائل الاختيار لديه قد اكتملت . . من  
ادراك ومعرفة وحتى بعد أن يصل الإنسان لمرحلة الإدراك والمعرفة والتمييز  
نادرا ما يفكر في تغيير عقيدته ذلك لأنه حتى نكحل له مثل هذا الحق لابد أن  
تكون البدائل لديه مفهومة ومعروفة يستطيع من خلالها أن يوازن بين الأمور  
لينحاز في النهاية لأى من العقائد . . وهذا نادرا ما يحدث . . ثم لماذا يغير  
الإنسان عقيدته وقد فقد اهتمامه بالدين كمنهاج في الحياة ؟ . .

ان الأديان بدأت تنقلص وتقلصا سريعا عن كثير من البلدان حتى أنه  
لم يعد يدين بالأديان سوى ثلث سكان العالم . . أى أن ثلثى سكان العالم  
حسب أحدث نظرية فقهية عن النار مآلهم جهنم خالدين فيها أبدا ! . .

وحتى في مساحة الثلث الضيقة لم يتبقى من الدين في غالب الأحوال  
سوى ملء فراغ كلمة الديانة بالبطاقة أو جواز السفر . . وهذا ما حدا بكثير  
من المعتنقين التساؤل عن جدوى الأديان . . خاصة وقد سنت القوانين  
لحماية نواحي حرمتها الأديان ففى انجلترا نص قانون يبيح زواج الرجل من  
رجل . . بل ويكفل لهما الحقوق المترتبة على مثل هذا الزواج . وهو واحد  
من المعاصى التى أجمعت الأديان على تحريمها . . وإباحة المعاشرة الرضائية  
بين رجل وامرأة بالغين والذي تعتبره الأديان زنا ومفسق ومجور وتماقب

عليه بالقتل والرجم .. هذا للفسق والجور تحميه الآن معظم الشرائع الوضعية .. بل وتحققن فكرته كثير من المجتمعات دون أننى أخرج والفائدة احدى دعائم غالبية النظم الاقتصادية تعتبرها الأديان ربا وربما فاحش وما يقتل من الفائدة ينطبق على الخمور فحول كثيرة تملو عائلها ببيت الله تقيم مصالح لانتاج وتعبئة وتوزيع الخمور .. والمواخير البشرية والمواخير السياسية ومعايرة للفساد والانسداد والثراء للفاحش الذى يقبله الفقر الحق .. والظلم المتفنن .. والسفالات التى أصبحت سمة من سمات للشرقيين .. هذا ما يدفعنا للتساؤل .

ما جدوى الأديان وقد شئت للشرق الى أحضان التخلف .. بينما ارتفعت هامة شعوب لا تؤمن بالأديان لقمة الحضارة .. فهل يعنى ذلك أن الدين لم يعد منارا للحضارة وأن غيابها لا يعنى بالضرورة انهيار الاخلاقيات .. ؟

هل يعنى ذلك أنه يمكن الفصل بين الأخلاقيات والدين لذلك ونتيجة لهذا نرى شعوباً هجرت الدين يتسمون بالأخلاقيات .. وشعوباً تدمن الأديان بلا أخلاقيات .. وانتقلب الحال فأصبح الدين سببة في تواريف الشعوب !! هل يعنى ذلك أنه يجب وضع الدين في إطاره الصحيح وهو علاقة الإنسان بربه فقط دون المعاملات الانسانية لأن الأديان لم تعد تصلح كمنهاج في الحياة بعد أن حرمت في كثير من نصوصها أساسيس المجتمعات نبضها عندما قصت بتحريم ممارسة الفنون من رسم ونحت وتمثيل ورقص وغناء وموسيقى .. نأخذ من أحكامها ما يتسق والعصر .. ونرفض ما يخلف ذلك حتى ولو أدى الأمر بنا أن نرفضها جميعاً !!

كل هذا من خلال سؤال .. إذا كانت أحكام الدين تصلح لكل مكان وزمان فلاملاً أحجبت معظم المجتمعات عن الأخذ بها .. هل لغيا المشرع وقلة درايته أم لحكمة وحكمته ؟ لذلك فعندما يلج المتشككون عن الجدوى الاستثنائية لتلك الأديان .. عندما يلحون في طلب الأجابة عن تساؤلهم .. ما جدوى الدين وقد فتن كثير من البلدان المتمسبة لدينها قوانين وضعية



مثل هذا اللاحاح لا يسمننا امله بل يجب التصدى له فى محاولة عقلانية للحصول على اجابة مقنعة .. وهذا ما يجملنا نتسائل ما هو الدين هل هو طريقة فى الحياة نؤمن بها ولا بديل لمايبدل هوة سحيقة تهوى اليها الانسانية ام علاقة بين الانسان وربه تحكمها اعتبارات ذاتية فى اوربا اصبحت الدين مجرد علاقة خاصة بين الانسان وربة .. تنقص الدين بعد معارك جدلية شرسة وانحسرت امواجه عن قواقع مينة لا نسمع فيها سوى نقات اجراس الكنائس ايام الاحاد ولا نرى منها سوى شرفة بن المجزة ترتادها تنصت لموعظة بلا اقناع ولا اقتناع .. هناك فى هذه البلاد المتحضرة اصبحت الاديان مجرد علاقة خاصة جدا بين الانسان وربة .. هذا اذا كانت موجودة اصلا .. وبالتالي اصبحت مجرد اطار .. شكل .. كلمة تكتب فى البطاقة اما اسلوب الحياة بمنفصل تملها يحدده المجتمع من خلال اعتبارات اخرى يستوحياها من اسباب الحضرة .

اما فى البلاد الشرقية فقد خدثت مرج ومرج .. خلط ومزج .. والمضمون بمعثر .. هائم .. غامض يتعذر على العقول رؤيته من خلال غبار معركة فرسان الوهم .. لكن ما اضمنه الناس خلط بين مذهبين اسلوب فى الحياة .. وعلاقة بين الانسان وربة ..

وبالنسبة لاسيادنا المممين اخوان شهووش اصبحت الدين فى حد ذاته حفا يجنون من ورائه ثمرات المال والشهرة والسلطة ومع الدنيا ما ظهر منها وما بطن .. من اجله يعفرون الجباه .. يلطمون الخدود .. يشقون الجيوب .. بالتقطع جيوب الفقراء !! وفى المقابل بلاد اخرى لا تعرف حتى معنى كلمة الله . وهذا ما يدفعنا للتساؤل هل الاديان شرعت من اجل الانسان .. ام ان الانسان خلق من اجل تطبيق شرائعها عليه .. بمعنى آخر هل فكرة الاديان سلبية على وجود الانسان .. ايجابية .. ابدية .. ومن ثم فقد وجد الانسان لينفذها .. بحيث تصبح هذه الاديان

سبب خلقه أم أن وجود الإنسان سابق حتى على فكرة الأديان .. صيغة  
 سنها الله لتحقيق سعادة البشر .. بمباراة أخرى هل نحن خلقنا من أجل  
 الدين أم أن الدين شرع من أجلنا .. بحيث يصبح الدين في الحالة الأولى  
 غلبة ونحن الوسيلة .. وفي الثانية للدين وسيلتنا لتحقيق السعادة !! .  
 يرتبط بهذا تساؤل آخر .. لماذا تعددت الأديان والرسالات .. إذا كان  
 الدين سابقا على وجود الإنسان .. فهل كانت له صيغة واحدة آلهية  
 تناولها البشر بالتحويل والتغير فوصلت إلينا كما هي الآن .. أم أن تلك  
 للرسالات ليست سوى صيغ بشرية آمن بها أصحابها ثم تداولوها بدعوى  
 أنها آلهية ؟ وبالتالي يصبح منطقيا اختلافها باختلاف الداعين لها ..  
 وعلى هذا فتصبح صلة الرسل بالله صلة افتراضية لا تدعمها حقيقة  
 ولا يسندوها برهان .. بمعنى آخر هل الأديان يثبت على اعتقاد الرسل  
 الصادق بوجود صلة بينهم وبين الله مباشرة من خلال بعض أحداث مرت  
 بهم .. قد تكون قد مرت على غيرهم دون أن يعطيها هذه الدلالة .. اعتقدوا  
 من خلالها أن الله قد اختارهم لحمل الرسالة ؟ .

أمر كثيرة اخطفت فيها الرسالات اختلافنا بيننا في أسس العقيدة  
 وفي الأحكام .. حتى أنه يمكن القول أن كل رسالة تنهج نهجا مختلفا عن  
 الأخرى وآخرون يشككون في كل هذه الرسالات ..

من هنا يقفز إلى الساحة سؤال خطيرا .. أين هي الحقيقة ؟ وأين هو  
 الصواب ؟ وما هو الحق ؟ وما هو الباطل ؟ عقيدة ترتبط بفكرة الخلاص  
 والزهد والتثليث والأخرى ترتبط بفكرة الجنة التي شغف للناس  
 بالاستشهاد من أجلها والنار التي وقودها للناس والحجارة .. والتي  
 سيطرت لمحاتها في العصور المتقدمة على كل صنف وكبيرة في حياة الناس  
 وتعاملاتهم اليومية وأثقت منها اقتناعهم بالبعد من الملصق .. وأصبحت  
 المحور الرئيسي للمحظوظ والمباح .. ثم انحصر موجهها بعد أن فقدت فلسفة  
 للترغيب والترهيب والتي كان لها مفعول السحر في تلك العصور المتقدمة ..  
 ذلك أنه إذا كان منطقيا ترغيب الأعرابي المتطش للملأ والجنس والطمع  
 بالجنة التي تجري من حولها وقودها وتحبها الأهل !! بقولهم الدانية

ونسائها حور العين وخبرها الممتعة .. لم تعد تلك الأمور تهز وجدان  
الإنسان العصري .. أو تجذب حتى الإنسان العادي ليفعل الخير أو ينتهى  
عن الشر .. لم يعد كافيًا لشحذ أيمله للوعد بالجنة أو الإخافة من النار ..  
لأن تلك الجنة لم تعد تفريه ولا النار ترتعد منها فرائصه .. انما أصبح  
الحديث عن أى منهما فى إحدى دور العبادة .. ومضة برق سرعان ما تختفى  
وسط شواغل الإنسان اليومية ..

لم يعد هذا مقتنعا فى عصر أصبح العقل فيه سيد الموقف لذلك لم يتبقى  
إمام اقتناع الإنسان سوى طريق واحد .. وعد فى جنة أرضية واقعية يظفك  
ثمرها وهو حى يذوق .. وأمة سلام يجد فيها متعة الحسية والعقلية  
والمطانية .. يعثر فيها على سلام نفسه المفقود .. يجد ذاته من خلال  
البحث المضى .. يرمى بأشتال الحياة التى تتبد حركة عقله ويكره .. جنة  
يجد فيها الحب والمرح والسعادة جنة لا يؤله فيها المادة بل تصبح أداة  
لتحقيق أمانيه .. عالم تملش فيه كافة المقائد .. تعرف عليها أعلام  
المساواة .. من خلال هدف ملبوس بحقيقته الإنسان .. لهذا لم يعد مقتنعا أن  
نحرم نعل دون أن نسوق أدلة تحريمه .. لم يعد كافيًا أن تكون حاجة  
التحريم العبارة المثورة « هذه مشيئة الله » لأنه حتى ولو كانت كذلك  
فلا بد لها من تبرير مقنع والأوضح كائى اجتهد شخصى ينقصه الدليل فى  
جعبة الخرافات .. بفلس التلقون .. بفلس الخادعون الذين يترنون  
بشكل الايمان دون جوهرها .. يتطشون فقط دون كلمات الحق والعقل  
والمساواة نعقلها .. نسجد لمخاضها .. نتمجد فى مخرب حروفها المتوجهة  
بالخير نطوب بمقولنا حول فلسفتها النابعة من سراج المعرفة من خلال  
الاختيار ..

لقد باتت اخلاقيات العصر عامة وللشرق خصصة فى حاجة الى مراجعة  
شاملة .. الى تقييم جديد يفسح الأمور فى نصابها .. تقوم بهوجبة هذا  
التقييم الى اعادة تبويب الملاحظات الانسانية .. الحرام والحلال .. الخطا  
والصواب .. تبويب يتأسس على علاقة الضرر .. لا على ما توارثناه من

تركة مثقلة بالتهويمات والخرافات والخزعبلات .. ننتقيها من شوائبها ..  
ونبسط عنها صحتها ..

نقضى اتصال ودمونى اتصال لم ونسحق الإنسان في لغز احكم سره  
استحالت رموزه املم عقولنا القاصرة .. لا تستوعب منها سببا مقنعا لبده  
الحياة .. كيف الأنسلن ولماذا خلق .. وكيف خلق ؟ ؟

ثم ماذا نحن ؟ ؟

هل نحن صورة مهزوزة لعالم آخر .. صورة تليزيونية أبطلها  
المتقنبون يعيشون في مكان آخر في زمن آخر .. أم نحن نمثل ادوارا ارادها  
لنا مؤلف بارع يحرك الكاميرا للنظير على الشاشة .. شئلة الحياة في  
ادوار مرسومة صوراً متعاقبة .. متوائمة متنافرة .. وبالقلى لسنا سوى  
محصوعة بن الممثلين منا الفقير .. والأمير .. والحقير والصلوك ..  
وابن للزانية نمثل للدور كما رسم لنا فاذا خرجنا عن النص زعق المؤلف  
وعرب الأرض بقمه فتزلزل الأرض ويخرج الجحيم من البراكين أو تنهمر  
السيول وتقوم القيلة أم أننا الحقيقة في تجوالنا .. نقاشنا ..  
حركتنا .. عملنا .. تمثيلنا .. حيناً .. كرمنا .. حسنا ..  
.. مساعدنا .. نحن الحقيقة .. وما عدنا هو للوم .. نحن الحقيقة ..  
والحقيقة نحن .. وطالما أن الله حقيقة .. فلمنا سوى الله الأمطار دموعه  
والريح زهرته .. والغضب براكينه .. والعلم عقله .. والإنسان وسيلته ..  
والسلطان رغبته .. ولكون سلوته ..

وإذا كان الله والإنسان واحد لا يتجزء .. فلماذا يعجز الإنسان عن  
المعرفة للكلية .. ؟ ؟

لمبادا يتوالد الناس كلبهائم .. يحرّكهم للجنس يتقلّطون نحوه  
كسبل الذباب في رغبة محمومة متجددة .. لا يختلف فيها صطوك أو أمير ..  
لكل علوى املم دوائمه الخفية ؟ ؟

للذا يتعاشى النفس وقد تغفل المال وشهوة السلطة داخل مراديب

حياتهم منذ الابن ابية .. والاخ اخيه .. والام وليدها ١٩ ..  
لماذا خلقنا اجنة .. لماذا نشيخنا فكيف نكبر مثل الحيوان  
والنبات والحشرات ينسج التطور قانونه المحكم على كل صغيرة في حياة  
الأحياء .. مرحلة تلو مرحلة لتسود من جديد الى نفس المرحلة ..  
نقطة البداية ١٩ ..

من اين جئنا والى اين ننتهي ١٩ سؤال خالد من شقيقين جئنا من  
الفرج وقبله كنا في الرحم .. حللنا كالمسجلتين واللاحقين .. حفائفة  
تحتضن الحيوان المذوى حتى ينمو .. رحم مظلم .. ومنفذ الى حيث يخطو  
الى عالم أرحب .. ولكن اول الحلقة .. نقطة البداية في سلسلة الحياة ..  
ماذا كان الانسان .. كيف خلق ١٩ لقد عززت الأديان عن تفسير علمي مقنع  
لذلك الاسئلة الخالدة .. واذابت العقل الانساني في محلول حمضي مركز  
من الخرافات .. لمحوه الى ذرات هلامية قانونها الفوضى .. وخرقتها  
المجز .. اين هي الحقيقة .. هل هي نسبية .. تختلف باختلاف عقل من  
يلمسها نهى وهم لدى البعض وحقيقة ثابتة لدى الآخرين ١٩

في عصور سابقة كانت الخرافات حقائق يلمسها العقل .. ومازال  
الكثير منها لدى نفر غير قليل .. يقين .. ويقين .. ويقين ..  
الحقيقة هي ما يلمسها العقل .. ولكن اي عقل ؟ عقل الأمس الذي  
يضرب في أقطاب الجهالة أم عقل لعالم أم عقل الفيلسوف أم عقل للكاتب  
اين هي اذن وقد شوهتها النسبية ١٩ ..

او ليس من حقنا ان نسأل ونحن نصعد للقمر ونحن نصير الخرافات  
لنكتف بها في بالوعات التاريخ القذرة .. ونحن نبحث ونستقصي .. ونحن  
نعمن للمعدات .. وقد تملكنا رغبات محومة في المال .. في المرأة .. في  
السلطان .. ليس من حقنا ان نسأل عن الرسل .. ما هم .. ما هي  
هويتهم ..

ثم لماذا الانسان ينكر .. عالم وكاتب .. يبحث عن الحقيقة  
ويستقصي .. يستخلص نتائج يكون نظريته يذبل المجنات باختراعه

التي قد لا يبيد منها بقدر ما يفيد البشرية .. ومسح ذلك فهو في الغرب  
يسير .. لا يوهن من عزيمته لغير مدح .. ولا أرماب فكري .. ولا أربع  
جدران صماء .. فقامه تحوى جسده ..

لذا يفرض على العقل مخطورات للفكر .. لا يجوز ولا يجب الاقتراب  
منها بل يعتبر ملحا ذلك الذي يفكر بصوت عالٍ مسموعا كلن أو مكتوبا ..  
مآله القار خلدا فيها ابدا .. مع أن الشك مرحلة من مراحل مخاض  
للوصول إلى الحقيقة ..

لم يستكثر على الانسان أن يعلن شكوكه .. مع أن الشك رفيق كل  
منكر وهو يفكر في ماضيه وحاضره .. مستقبلة .. رفيق كل مدح وهو  
يحاول أن يروي بطور ابداعه بطعم والمعرفة ..

لسا لا يثق كثير من الواعظ .. بتقاليئون التلايات .. احييت على  
عليها الزمن سطور بلهه من الكتب الصفراء .. عن الجن .. والطايرت  
والأرض التي يحلها قرني ثور .. والاكاذيب .. والخرايات ..  
كهاياكم .. كهاياكم فقد زعمنا الخزعبلات التي يشتم منها رائحة العفان ..  
ولا يرى الفكر من خلالها سوى القتلة والاضلام ..

الانسان الآن يريد بحثا جيدا يعتمد على أعلى ما في رأسه .. العقل  
البشري .. بحثا ينفخ من كاهله التزامات .. الأكاذيب .. بحثا جيدا  
يخطو بخطوات ثابتة على أرض العلم والمنطق يحرص فيه على الحقائق  
المجردة وسيلته في ذلك للتقاسم الهاديء والمحاورة المثمرة التي انحصرت موجة  
مقالياتها من وجه الشر القبيح ..

بحثا جيدا يفسر لنا ما استقصى على العقل فهمه .. نظرية الجنة  
والنار .. للبعث والقيامة .. الملائكة والشياطين .. الجن الأزرق  
والأحمر ؟! بحثا يفسر لنا هذه الحياة .. مرها .. وسيلة الانسان لحيات  
فيها محققا هدفه .. بحثا يضور لنا حقائق للحياة مجردة بحثا يضع الانسان

على أول الطريق بعد أن تاه وسط زحام مشاغل الحياة اليومية بحثا يعد  
بحجة على الأرض لا في السماء يقطف ثمارها الإنسان وهو حى يترق ..  
بحثا يترك لكل إنسان غنيته دون تدخل من الدولة أو تصب  
من الأفراد ..

بحثا يتعامل مع حقائق الحياة ويطوعها لخدمة الإنسان ..  
بحثا يفسح الديكيات في مكانها للصحيح علاقة بين الإنسان وربه ..  
والمعاملات علاقة بين أفراد المجتمع ..

أنها محولة منى لفهم الحقيقة .. التى عجزت عنها بفكرى المحدود  
استمتعت فيها بمصباح غمرنى بضوء معرفته .. وأخذ بيدي من بيداء  
الجهل الى واحة من المعرفة لا تحدد لها ظلمات ارتشف من نبعها ثمان  
سنوات .. ثمان سنوات وأنا عاكف أدون كتلى .. ثمان سنوات من  
للقلق .. وللتردد والمعاناة والحيرة .. والصراع مع النفس ومع تكر  
الآخرين ..

ثمان سنوات سهرت فيها الليالى لرعى البذرة أرويه بالجهد والعرق  
والدموع واليقين .. حتى انبثت ١٩٨٠ انبت تلك الرواية التى افسدها بين  
يدى القارىء ..

من لنا ؟

أفقت من ليثوبة خلقتها دهرًا .. حاولت التهورى .. انكثت ..  
ومن يحتوى جسدى ريقى خاف .. مرارة فى خطى .. شعرى مشير  
بالرمل .. أملى الأرض شلعة .. غريب أمر هذه الأرض .. الحشائش  
الخضراء .. والأشجار البلسجة والجدول .. أين أنا .. حاولت أن  
أذكر ..

بصيص من نور يائبنى .. ثم يغبى فى كهف النسيان آخر  
مأذركه .. تلك المركبة التى كنت استقلها لكن لماذا أنا هنا ؟

شلة الحقيقة يطفئها المجهول الجاثم ألم نافذة عظمى وأنا أسير  
بلا هدى .. للناس ينظرون لى بأصبال .. بمدم أكرات .. عيونهم  
تستظمنى .. يتهايمسون .. همساتهم تملق للغموض والشك واحدهم  
يتقدم نحوى .. انسان غريب .. جسده جسد ثور فى حلبة .. فاعثر  
شعره تصل الى ركبيه .. ملامح وجهه جامدة .. لا غضب يكفلها ولا بسة  
تشرقها اتقرب منى .. واجهنى .. مارليت أبشع منه صورة .. عينان  
كنيتى ابرة .. يظللها حليبان كثان .. ثم كالحيط اذان مفرطحان ..  
أذى ميل .. ازداد اقتربا منى .. التصقفا .. بدأ يلمسنى ..  
يتحسنى كأنه يتحسس صدر عذراء ذمرت .. لحظات وأنا أحاول الابتعاد  
عنه .. الا أنه صغرى بقسوة .. مادت بى الأرض .. صدمت وقيل إن  
استنق من الصخرة مد يده مرحبا .. للحظات ظلت فى مكاني لا أبرحه ..  
مشدوها .. فكرى فى موات .. اعجز عن اجابة واحدة لما خالجنى من  
اسئلة .. لماذا صغرى لماذا اعتدت يده الى مصافحنا .. لماذا استدار



مبتعداً عنى .. ثم ماهذه الكائنات الغريبة الأخرى التى تروح وتجرى  
إمامى .. لماذا أتيت هنا ؟! ماهذا الرداء الغريب المبزق الذى يحتر جسدى ؟!  
كيف جئت الى هذا المكان ؟! وكيف العودة ؟! العودة الى ماذا ؟! من أين أتيت  
اسئلة باتت حائرة .. لا تجد اجابة شافية .. لصابنى اللباس والاحباط  
وانا افكر ان اقضى حياتى مسجوناً مع هذه المخلوقات البشعة .. عتلى فى  
خواء فكرى فى غيبوبة .. وأنا احاول المرة تلو الأخرى ان أذكر شيئاً  
واحداً .. اعرف به ذلك المخلوق الهائم على وجهه .. لا يدري من أمر  
ماضيه شيئاً .. ولا من غده .. ولا من حاضره .. من أنا ..

صرخت .. صرخة لم تخرج من حلقى .. ولكنها ايقظت الهوام ..  
احيت الموات .. جرس يدى .. ويدق تحصل دقائق نذر الخطر .. ولكننى  
لا اسمع منها شيئاً .. مجرد صدى .. صدى آت من أغوار محيط .. تموت  
ذبذباته فوق صلحة الامواج .. من أنا .. رددتها مرة وأثنتين وثلاث .. وفى  
كل مرة تذوب الكلمات داخل طيف الهواء فون ان اسمع حتى صداها ..

واصلت مسيرتى .. حل بهى التعب .. ارحت جسدى للكليل ..  
تحت شجرة وأرغمه .. عامرة بالثمار .. مددت يدى لى احدى الثمر ..  
تقدم نحوى رجل قوى البنية - حاسم النبرات نهرنى :

— لا تقرب المصيبة

سألته فى دهشة :

— المصيبة ان اطعم من جوع .

— بل المصيبة ان تأكل من شجرة التفاح التى حرم الله على آدم ..

الاقترب منها .

— لكننى جائع .. وليس بعد الجوع شئ .

— أمام عينيك حديقة عامرة بكل أنواع الفواكه .. اقلط منها

ما شئت .

— وليس مئى غلسا واحداً .. كيف ؟

— بلا مقابل .

سألته في وعشة :

— قلت بلا مقابل .

هثنى بقوله :

— اذهب قبل أن تطلق الحديقة أبوابها .

وقبل أن أخطو تجاه الحديقة سألني :

— لكن من أنت ؟

ترددت في الإقصاح .. لماذا لا أعرف من أنا .. لكنني أجبتة :

— زائر .

قال لي مترددا :

— زائر للجنة .. يلمرحيا .

للجنة .. أخيرا للجنة التي انكروها المحبون .. والهمت الشعراء

وشغف الأنبياء بالحديث عنها .. وأبجحت تحت قننى .. ادوس فوق

ترابها .. انحنيت ملأت قبضة يدي بحفنة .. لم تكن سوى دبر ..

أيام وأنا للتحف الساء .. لا أعرف لنفس غيلة ولا لبقائى سبباً حتى

رايتها تسألني فتاة في ريمة للصبأ .. يمانق صفحة وجهها أريج جمال ماتن

« وما نهاية مطالك » تمنعتها .. قوة مائلة تجذبني نحوها .. طاقنة خفية

تصلني لأعمالها .. انتفضت زامقة :

« ما بالك .. تخيفني بنظراتك .. من أنت ؟ »

غمرتنى نشوة .. لقد استطعت احتوائها بطلاتنى الهائلة ..

تلكنى أخساس بالقوة .. بالسطوة .. للحظات قصار كانت

الفتة أشبه بحفنة من ماء لا تملك قدرها .. لكن سؤالها هز يقينى .. من

أنا .. هتئين يدوى داخلى لا أعرف بدليته .. ولكن نهايتها دأخل عطفى ..

اصوات غريبة .. متغلغرة .. متباعدة .. خزمة ضبوء تتفرق ..

تتباع .. تحدث دوى داخلى .. أشعة مائلة تحتوينى .. تضمينى اليها

لا أدري كنهها .. كلمة الله .. صراع الملائكة .. وسوسة للشيطان ..  
 قوى خفية في صراع .. تصارع .. لست سوى حليه لهذا الصراع  
 الهائل .. الاجابة عاجزة كسيحة لا تستطيع النهوض من عثرتها ..  
 صماء .. بكلمة .. فأننا هذه لا أعرفها .. احسست بخدر وفواصل من  
 النمل المتوحش تزحف داخل عقلى المكود تنهشه والصوت من جديد ..  
 ترعات جرس .. يحتثى يدفعنى الى الانصاع عما بداخلى .. لماذا الصمت  
 عن الحقيقة .. لماذا تخفيها .. الصوت سكين يقطع وينثر اشلائى ..  
 قل لها .. افصح عن حقيقتك .. فليست سوى هو ..

صراع هائل .. راسى تنفجر .. قوى خفية تضغنى اليها بقسوة ..  
 رحت فى شبه غيبوبة وصرخة الفناء تصلنى .. صدى لصوت البركان  
 الذى يتدف بحبمه داخلى ..

— ألم بك مكروه .

قلت لها بعسم :

— دعينى وشائى .

مستها كلمائى مس اللجن .. لعلت نفسها اسرعت مبتعدة :

من أنا ؟ من هو هذا الانسان الذى يقطن جسدى .. لا يعرف ماضيه ..  
 يجهل مستقبله صجرا جرء خلت من اللبث والمال كم أريد ان انسى ..  
 انسى ماذا .. لا أدري صفحة بهضاء تحيطها غيوم شكوكى .. مرقى  
 ساقاى كليتان .. أريد ان ازق .. افعل أى شيء .. يثبت وجودى ..  
 ينشلنى من الوحدة .. من الضياع .. للصوت ياتينى .. قويا .. أجراس  
 تلن فى أذنى ! ويضيق تساؤلى ..

— ولكن من أنا ..

تهمة غريبة .. ساخرة يعقبها صوت المغرب :

— تم يارجل .. لا يشغلنك من أنت .

تملكنى رعشة .. رعشات .. خيالات نصف بى .. وأنا أضغط

واضعف على راسي أضعا بين ركبتي .. والضحكات تتوالى عتلى بنصهر  
 في بوقنة الشك .. خيالات .. لوهام .. ما أسمعه ضحكات  
 ولكها لشبه بمسايير محمية تنفرز في عتلى .. تحوله الى  
 شظايا .. رقائق يحتويها الألم .. للعذاب .. الصراع بين الحقيقة  
 والوهم .. ماعذا الذى أسمعه هل حقا صوت الاله .. أم صرخات  
 الشياطين .. أى شياطين .. وأى لله والصوت من جديد .. لا اعرف  
 كله .. لا اميز نبراته .. ولكنه يأتينى من مفارة من جب .. من السماء ..  
 من أملاق محيط :

— كنت الناس والناس أنت .

لحظات قاسية تمر بى .. لحظة انشقاق للفجر من الاظلام .. للوليد  
 من الأرحام .. لحظة يتحول ليها الكون الى كتلة من الرماد يدفن فيه  
 ملايين البشر .

— لا .. لا .. وهم .. وهم .



على جلبب الطريق رايت رجلا قد لا يقيد نفسه بجذع شجرة ..  
 اتجهت اليه .. تكلمت عنه العبل .. عاد وقد نفسه من جديد .. نظر الى  
 شئنا .. وأنا اسأله :

— لماذا ؟

معت لآجول الطريق .. غفاة في ريمان الصبا في يدها مسمار نحاد  
 تغزبه شحياما .. تصرخ الما .. اقتربت منها .. حاولت مضمها .. دفعتنى  
 بقسوة .. صرخت :

— اهرب عنى ايها البشع .

هرولت بخطواتى الى الطريق لآلول .. ان اجد اجابة لمسؤالى  
 الحاضر .. هل هذه هى الجنة .. مسخرت من نفسى .. لمجرد ان عتلى  
 طرح هذا الاحتمال ابتمت .. لكن لماذا يطلقون عليها الجنة .. اية جنة  
 تلك التى يقطبها مجموعة من المرضى .. ينتفرون كالاشياء .. لا هيب

نهضت من وقمتى .. ما قعله مناع كان صسمة لشاعر الجمع .. لقد  
صفعهم .. ركلهم .. أشعل النار للكائمة تصف الأمل داخلهم .. تشقت  
أرض الربوة بسيل من الكلمات المتشنجة للفاضية :

— يا ويلنا من غضبته .

— اقتتلوا هذا المرتد .

— سامحننا يا اللهى .

غرمود بلطمه .. عشرات الأيادى تمتد اليه موجات السخط تملو ..  
وتملو .. فوقها الشاب يقاوم .. يستبسل .. قشه تلمطها الأمواج ..  
تتكسر عليها .. تتقذفنها .. الشاب يتدحرج بين الأيادى .. تنهشم  
ضلوعه .. أنهم يقتلوه .. ومن أجل من ؟! من أجلى أنا .. أنا ماقد  
للهوية .. الانتماء .. دوت صرختى مخفزة :

— أتركوه .. انه عايب وليس بكافر . هذات الانفاس .. تتلصت

للقبضات عن جسد الشاب .. كيف لكلماتى كل هذا السحر .. للشاب  
يحاول النهوض يتمتر .. ينكها .. يسقط تحت قدمى ينهض من جديد  
يلطمنى يصرخ :

— اناك .. كاذب .

قلت والذهول يحتوى الجوى :

— الانتقام ليس من دالة السماء ملايين ينكرون الإله .. ماذا فعل  
لهم . أتونى بحمالة بيضاء .

للحمالة فى يد .. السكين فى اليد الأخرى جززت رقبتها .. سأل  
ألم .. النفس فى حيرة من أمرى .. وأنا أقذف بالحمالة فى الهواء واتمم :  
— طبرى بأمر الإله .

أهازيج الخرافات تحملها جنية للبحر وهى تجلس عارية بجسوار  
صخور الشط تأخذ معها الى مملكتها الخرافية تحت قاع البحر العميق حبيبها  
لذى ولبت به .. وبعد غيبة شهور يعود الحبيب الى الأرض وبرفقته ابنه

للساحرة التى اتجها من اللجىة . الوحش الاسطورى الذى ينفث من فيه  
للشنيع الأحمر النار .. تحرق البنت الأخضر .. والشاطر حسن وهو  
يغرز سيفه السحرى داخل فكيه فريده قتيلا .. تلك الأحازيع .. تدق  
دفوعها ترنم أعلامها .. والحلمة تسبح فى الفضاء . وصيحتى تسجد لها  
الهوام .. تتشدها الكائنات .. تترنم بها للرياح :

— ما ابصرتوه هو قدرة الاله .

والشباب من جديد :

— سحر ما تفعل .

كلماته .. ملاتير أسراب من الطير للبرى تنهش قلبى .. تدميه  
تحوله الى قطع متبرئة .. تحول نشوتى وانتصارى الى احباط وانهمزام  
صرخت فيه بهدة :

— سائطرك نصفين .

هلع . وخوف ومزع وأنا اتجه الى الشاب .. احويه  
يقدرنى .. جرد امل قط .. يرتجف .. والنفس ذهول .. وأنا أهوى عليه  
بيدى .. رأسه ينفصل عن جسده .. للدم ينزف منه .. ينضى امامى  
بلارس المذبوح لقدمى يقبلها .. والصرخات تدوى فى الأماق :

— الهنا اغمر لنا خطيئتنا .

لمست رأسه .. تمتعت :

— أنهض .. فقد عنونا منك .

لقد نجا مناع .. كبر للناس .. حللوا « نعم ربي .. نعم ربي » ..  
امتلا الوادى بصدى الكلمات .

الفراد هل ترى ما نحن عليه الآن .. انه من صنع الاله .. فما يقدره  
يحدث لنا .

— الاله لا يريد بكم سوءا .. اتما للسوء هو ما يصنعه البشر بكم .  
نجاه انتصبت قلته .. وقف يرمقني لفترة وجيزة .. اقترب مني ..  
ربت على .. قال بهدوء :

— انها الحقيقة ما قلت .. ماساء حالنا الا لسوء حال خاصتنا ..  
دار حولي .. نرشنى بنظراته .. استطرد قائلا :  
— لكن كيف لك بمعرفة ذلك ؟

— جننت بسؤاله .. فما قلته ليس بالحقيقة الفاتية من العقل ..  
وليس بالسر الدفين .. ولا هو اكتشاف يقف منه شعر الرأس هولا  
ومزما .. ابدا ومع هذا فقد لفني الصمت بردائه لفترة وجيزة .. عجزت  
عن الاجابة والشاب يعاود بالحاح سؤالي :

— لم تجبني .. كيف لك بهذه المعرفة لاتحاول التكرار .  
لخضتني لجنة الحيرة وأنا اجيبه :  
— اننى لا اخفى شيئا ..  
قال ذلك .. وقف قفزة مائلة ..

اقتنعت عيناي اثره وهو يعدو مبتعدا عن المكان .. يقوب جسده  
التحيل في اللا نهقى .. رائقى ينظر الى فى استطلاع غريب وأنا اسأله :  
— ماذا يعنى بقوله تلك ؟ من هو الذى كونه ؟  
— اتعرج يا مولاي .  
— مولاي !!  
— لقد سبق أن وعدتنا .. وما أنت تنفذ وعذك .

قلت مدهوشا :

— اننى لا افهم شيئا مما تحدثنى عنه .  
— انظر الى الكتاب المخصص للصفحة الحادية والستون بعد المئة

أعطى الكتاب .. قلبت أوراقه .. قرأت :

« سيتجلى الآله للناس .. وسيكذبوه .. ويسألوه عما أصابهم من  
بلاء وسيجيب عليهم بأنه لا يريد بهم سوءا .. بل للبشر هم أس البلاء ..  
ويمكن للفساد .. عندئذ يبشرهم بالخير .. والبركات .. والعفو ..  
ويعدهم بجنة أخرى تطوفها دانية .. لكثير ولكثر من الأولى »

— وما معنى هذا ؟!

— أتيت إلينا في الوقت الذي وعظنا فيه بالتجلى علينا .. قال ذلك  
ثم انحنى لى قدمي يقبلها .. وعطى يصارع الشك .. من أنا .. ومن  
هؤلاء وماذا حدث .. وترنيمة حلقة يتروم بها قلبي والهاتف يأتيني  
ضاحكا .. نفس ضحكته المدوية العالية :  
— ألم أقل لك .. أنت هم .. وهم أنت .

## - ٢ -

الطريق مغبر .. سحابة أثرية تدعو نحوى فى رشاقة وكثانة يتخللها  
سيتان وأقدام .. اقتربت السحابة .. انقضت عن آلاف من البشر تحيطني  
ولشباب يصرخ :

— هذا هو .. هذا هو لكم .. إله المرش . الناس تجرى .. تلف  
وتدور حولي .. تزعرد .. تهال .. لكلمة الرجل وقع السحر .. انحنى  
الهفات .. طامطات للرؤوس .. صلاة شكر غريبة .. يتخللها أغاني  
الترحاب .. لكن يلا مرجة بلا بسمة .. الناس حولي يتواثبون ..  
يتقلطون .. يتكنسون .. الكل يرغب رؤية الآله ابتسمت رثاء ..  
سخرية .. لا أخرى والدهشة تعصرني .. ما أراه لا يمكن تصديقه ..  
اغرب بن الخيال .. النفس تنهافت على رؤيتي .. تتصارع من أجل  
الوصول الى .. الأقدام تخوس الأجساد .. الأبدى تفتح فى الجدران  
البشرية طريقا لتنفذ منه الى .. المالكب تعمر بمضدنها .. تلطمخ فى



ثسوة .. ثم تبتعد في عنف .. كل هذا من أجل رؤيتي لمس اطرافي ..  
تقبيل ملائسي كيف ولماذا .. الأسئلة تحاصرني .. الصيحات ترتفع الى عنان  
السماء .. « الآله .. الاله » ضاقت انفاسي .. دائرة البشر تضيق حولي  
برائحتهم المنفرة .. بضاقتهم .. أنفاسي تتعثر .. ثوبي في أياديهم شرائح  
يتبركون بها أصبحت شبه عاري .. صحت فيهم ؟  
— ليس هكذا تفعلون بالهكم .

أنشطرت للدائرة .. انقضت .. لفح كلماتي لسمهم أجدهم  
جسد الاله الهزيل فوق الأيادي والاعناق والاكتاف محمولا .. قشقه  
تحلبها الأمواج الغلاظمة .. تزفني الأغاني والالحان حتى قصر الاله ..  
آلاف من البشر .. من القرى والتجسوع والأحراش والجبال ات  
يتبركون بالاله .. يرقصون .. يشربون الخمر .. يعبثون .. وأنا تائه  
حزين .. فحتى الآن لم أعثر على اجابة لسؤالي .. « من أنا » ابدا لست  
هذا الاله الذي يتحدثون عنه .. لما أعيد إنه ليس ببشر بل اله قوى ..  
قوته في غموضه في العجز عن تحديد مكنونه .. ولكن اذا لم أكن هذا  
الاله .. فمن أنا .. ولماذا يقع اختيار القوم على دون غيري ليصنعوا مني  
الها . الاجابات عاجزة كسيحة .. لا أجد واحدا منها يتقن ذهني المكثود ..  
هل لأن للناس كانت في حلجة الى منقذ وعثرت عليه في اليوم الموعود ؟ هل  
لأنني اتيت الى الناس في اليوم الذي اعتقدوا فيه بعجلي الاله لهم ؟! وهذا  
للسنين الذي حط بي ثم غرق .. هل هو احدى الاجابات لا .. كل هذه  
دلائل .. وليست اجابات .. انما الاجابة هنا امام هذا القصر .. حيث  
يهلل الناس .. الاجابة تكمن في نفوس هؤلاء البشر الذين يستحلون  
الحقيقة من الوهم .. فما هم سوى مجموعة من المرضى او الانبياء ..  
أحدهم يصرخ :

— طال أنتظارنا للتيك .

وآخر يصيح :

— كما في شسوق إليك .

وثالث يزعم :

— جئتنا قبل ان نغمد الامل في الخلاص .

ورابع يتمم :

— الهناكم نحبك .

وخامس .. وسادس .. وسابع .. قلت : آلا .. سيمفونية

حب رائعة مع مايسترو لا يفهم السلم الموسيقى ..

وسؤال يخصرنى .. مع كل هذه الحفاوة وذاك الود .. لماذا الوجوه

عابسة يطوها الوجوم .. لماذا الابتسامة مفقودة .. غائبة ؟ !

استلقت من شردتى على صوت متشنج لرجل مش للمود ..

تاس الملامح :

— نحمدك اللهم .. نحبك ..

هزنتى الكلمات كائن سمعتها أكثر من مرة .. أين .. ومتى

لا أدري .. تلوح من خلال الطمس بارقة ليل ثم تخبو بسرعة البرق تحت

غطاء النسيان والرجل يتقدم .. يصرع السياج البشرى يخطو نحو ..

يسجد تحت قدمى .. يمد رأسه بالرمال .. يان :

— سامح « فرهود » عبد ظليل .. ارتكب معصية .

قلت في بلاهه :

— قم يارجل .. ليس هذا من شيمة الرجال .

رد في اصرار :

— لن اناق مكلى هذا حتى تغفر لى .

اتسعت دائرة حيرتى لهذا الأمر الجديد .. فأتانا لا أعرف باسمي المعصية

التي ارتكبتها ..

لامست يدي رأس للرجل تمتمت :

— أيتها النفس العاصية .. لقد عفونا عنك فاخلدى الى بارئك هادئة

مرفوعة .

للرجل يرفع رأسه نحوى فى ابتهاج يهمس :

— كيف لى أن أتأكد من عنوك يلهولاي

— أنظر الى أعلى .. أنها أم الخبايا بعد أن طردتها من بين جنبيك

شهق الرجل .. تزاخمت صرخات الدهشة والتعجب .. والأنظار

تصفح الألق البعيد لدرى مصصية الرجل بعد أن انطلقت من جنبيه

وفارقت على هيئة سحابة داكنة يبطعها الألق البعيد .

اول اختبار لقدرائى . والهاتف ياتينى :

— لقد ملكت الدنيا فلا تبخل بها على الناس .

— كيف ؟ ؟

— للخلاص لهؤلاء البشر .



استيقظت .. للصباح يتلألاً .. استقامت قامتى .. التيت نظرة من

خلال النافذة .. ما هذا ؟ طسوفان غريب من البشر .. قطمان .. تحيط

بالقصر تحصره يفرشون الأرض .. بأقدامهم .. بأجسادهم ..

عنقيد من اللؤلؤ تحيط جيد الأرض للرمادى .. تملكنى نشوة الهبة وعيناي

تحتضن الربوء ومن عليها .. كأ .. هؤلاء الناس ملكى .. ياتمرون بأمرى ..

وينفذون رغباتى كل هذا لاله لا معرف حقيقة نفسه .. هويته مفقودة ..

هل أنا مخادع .. هل يمكن أن .. أهدع كل هؤلاء للناس .. بالزيف ..

بلغش .. فى لحظة خطر لى خاطر سرعان ماصرعة .. ماذا لو اعترفت

لهؤلاء الناس بحقيقتى .. ولكن ماهى حقيقتى ؟ .. زائر للجنة يجبل

حقيقة نفسه .. لن يصدقنى أحد .. واذا صدقونى فملوت مصرى ..

لكن لماذا لا أكون هذا الاله وذلك الهاتف ياتينى .. يدفعنى للمضى فى طريقي

لخلاص هؤلاء الناس .. من أى شىء .. لا أدري ولكنى بالنسبة لهم

الأمل .. البعث ..

أطلت بوجهي من الباب السوارب .. سرت شرارة في الجموع  
 الحاشدة .. الطوفان يتحرك نحوي الجموع تتدفق .. تهرع .. تسبقها  
 صيحاتها .. فتحت الباب .. وذهلت الى الخارج العيون تلثمى .. الحناجر  
 تشد يى .. ترققت دموعى وأنا أسأل :  
 — كل هذا الحب من اجلى



قوى غريبة تجتلعنى .. تشد من ازرى .. وأنا اسير وسط الجموع  
 الحاشدة .. ينتابنى الشك .. ماغرق في طوفان الوهم .. فمن أنا وأين  
 كنت قبل ان اصنع قديما فوق ارض الجنة .. لا أذكر .. " انتذكر .. مجرد  
 همهمات بلا معنى ولا مضامين .. لا ادري كنهها مما لها .. تأتي الى ثم  
 تفرق في الصمت أهيب لعلنى ان يفرزها .. ان يصعد بها من الأعماق ..  
 بلا جدوى .. لكن سرعان ما صرعت للشك وأنا لاجل وسط أمواج البشر ..  
 صيحاتهم تشد من ازرى .. تقوى من ارادتى يقينهم نصل في قلب ذلك  
 الشك .. يردى .. فجأة دوت صرخة .. خفقت داخل خفقة مضرب البيض  
 داخل سائل البيضة الهامى :

— كيف تصدقون ان يكون الاله بشرا .

احتوى للصمت المكان .. ماتت الأغاني والأهازيج على أفواه البشر ..  
 بائت أمامى للفرصة سانحة لأعترف بالحقيقة التى تضج بهذا نفسى .. لست  
 هذا الاله ما أنا الا بشر مثلكم ..

لكن هذه الجموع التى كلمت تبحث عن الخلاص وعثرت عليه ..  
 ماذنبها .. تبينت ملامح القاتل المتمرد على الهه .. تحدث فيه بالسريرة  
 قاسية وهو يخطو نحوي .. ضامر التكبير .. مسترسل الشعر .. تلى  
 من أحد أفتيه قرط ذهبي .. مشذب اللحية .. فوق قسماط وجهه صرامة في  
 ثيابها ذكاء وسخرية فطرية .

خشعت كل شجاعتي في مواجهة للشك الخائف وأنا اجيبة بصوت

مدى متزن :

— ماذا قلت ؟

نظراتى تمصره .. تستدرجه وهو يرد فى هدوء غريب :

— لست للهنا .

الصمت يرتجف فى انتظار ولادة عسرة من شفتى .. لحظت قصار  
وكانها دهر . موقف يحتاج الحذر .. دهمنى خاطبر أن اصارح الناس  
بحقيقتى لكن سرعان ما دفنت الخاطر فى مقبرة سؤال .. وما جدوى  
ذلك ؟ .. فهذا حال كثير من الناس يمتنعون الخرافات .. يؤمنون  
بالفيبيات .. يقاتلون من أجل للوهم أشرس من قتال الآخرين للوصول  
للحقيقة .. فليكن هذا إيمانهم بأننى الاله .. أعصار توى يحتوينى ..  
يضمنى بشدة .. خلعت أن اضلاعى تنهشم .. الهاتف من جديد :

— لا تتخافلى ..

منذ لحظات كنت مستعدا للاعتراف بأننى لست هذا الاله لكن تملكنى  
العناد .. نخب البقاء .. الأصرار .. شهوة التحدى على التمساح أن يبتلع  
فريسته قبل أن تولى الأدبار .. سألته فى هدوء مريب :

— خبرنى من هو الاله ؟

اجابنى بنبرات ضالة :

— قل لنا أنت .

همهبت :

— آتونى بكلب .

فى لحظات كان الكلب ينبع بين يدى سألت الشاب من جديد :

— هل تسمع نباح الكلب ؟

— ما صدك ؟

— أريدك أن تحادثه .

— كيف ؟

- بان تحول لكب حتى تفهمه .
- تقصد أنك خللت في انسان حتى نستطيع فهمك .
- شاب ذكى .. لكنك عنيد أن يفتك من القول كلمة الحق ..
- ولن تسل من الأذى بكفرك
- تخدع للناس بعذب الكلام .. وتحاول أن تلقى الرعب في قلبى
- بتهديد أجوف مع أنك لا تستطيع دفع مكروه عن نفسك . في تلك اللحظة
- تعنيت أن الطبه .. اسدته الى ذرات صغيرة .. تهالكت نفسى .. مضغت
- ضيقى وأنا الملم اطراف الحديث :
- صبات يارجل .
- الصابى أنت .
- صاح فرمود :
- ملاهك يامناع .. تنكر علينا الاله .
- بل انكر هذا للدعى .
- صوتى يهوج بالفضب :
- لقد طلع الكيل .
- في وقاحة غريبة تقدم مناع نحوى جذبنى من جلبابى .. مزقه ..
- دفعنى .. نعمت .. تارضت .. صاح زاعقا :
- كيف تصدقون أن يكون الاله مثلنا نصارعه فنصرعه .
- في تلك اللحظة .. سكنت الريح .. تحولت الى جماد سجت داخلها
- الأبدان والعقول .. توقفت الحياة .. النبت والانسان والحيوان ..
- لا حركة .. لا نبض .. قبر جماعى للمشاعر والأحاسيس .. للفضب
- يتلفت الى ذرات صغيرة .. تصف بكل شيء والاله صريخ الايادى
- البشرية .. تطرحه أرضا تمزقه .. تخرق بهذا قانون امتزج بالمقتل امتزاج
- الخلايا في جسد واحد .

لهم .. ولا غاية .. تحركتهم غريضة .. ياكلون .. ويشربون ..  
ينامون .. يتعذبون يتحركون في صمت .. بلا غضب .. ولا حزن ..  
ولا حتى ابتسامة .. يروحون ويجيئون في خطوات متشابهة مرسومة ..  
كانهم مربوطون بخيوط خفية في يد قديرة تحركهم كما تشاء .. تفرض عليهم  
سلطانها وقدراتها .. وماهم الا اشياء، تملأ عليهم الحركة والكلمة ..  
واللفتة .. منجاة نسلني من شرقي رجل أشبه بجدار .. برأس مسددي  
ابله .. تخرج نحوي وقف أمامي .. لطمني بقسوة .. لم ادرك الا ويدي أنا  
الآخر تنهش صدغه .. مد يده يصلحني .. يأخذني لأحضانه رائحته  
كريبه .. منفرة .. وضع يده فوق كتفي حادثني في ود وهو يسحبني ؟

— حلم ممسـى

سألته في دهشة

— الى أين ؟

— لا تسألني .. فقط ابتسـمى .. عقب على ذلك بقوله :

— لكن من أنت ؟

— أنا زائر للجنة .

تبسمته .. توقف أمام كومة من ( تبر ) الذهب

قال في أسى :

— كل هذا للذهب ملكي .

— حقاً .

— وايضاً ليس ملكي .

— تسخر مني .

— بل هي الحقيقة .. لماذا امتلكت الشيء دون ان تفتح به عينك

لا تملكه .

قال ذلك ثم بدا لي نثر الرماد وهو يصرخ :

— هذا هو نتيجة للحرمان .. عشت زاهداً في الدنيا على أمل ان

استمتع في الآخرة بكل ما حرمت منه .. وكما ترى أمامي ذهب للعالم كله

لكن ما فائدته ..

استجلى على بعض حقائق الأشياء وأنا أسأله :

— ولهذا السبب تعذب الفتاة نفسها .

— صدقت .. فقد حرمت نفسها من المتعة .

— والرجل الذى يقيد نفسه بالشجرة ؟

— أنه يحبس نفسه عن الناس .

— لماذا ؟

— لقد اسهب فى وصف الجنة .. وغذى عقول الناس بالوهم

والرخص من الكلام حتى صحتوه لذلك فهو يحبس نفسه عن الناس حتى

لا يضربوه بالنعال .

— بالنعال وأنتم لا تملكون احذية !!

قل لى وهو يشير الى شاب وقف على راسه :

— انظر اليه .. انه يعاقب نفسه

سألت الشاب المخلوب :

— لماذا ؟

أجابنى وهو يهز رأسه يمينا ويسارا :

— نحنا .

— وهل يوجد هنا ما يستحق الندم ؟

— ليس هنا .. بل فى الدنيا .. حرمت نفسى من البحث عن الحقيقة

وانغمست فى طقوس الاديان اغترف منها ما ظهر وما بطن .. لعبت

كالبهاوش الذى تغطه حرارة الضوء الساطع .

— لهذا الحقيقة مقلوبة .. كما تفعل أنت الآن .

— لو خبرت بين الدنيا والجنة لاخترت الاولى .

— بكل ما فيها من موبقات .

— أى موبقات تعنى .. أنك ستجد فى الجنة ما يذهب العقل ويوجع



سأل مناع بصديق :

— لماذا اتقذنتى يامولاي وقد ائكرتك

— ائكرتني ليصدقني الناس .

— ما فعلته احدى المعجزات .

— الاله لا ياتي المعجزات يامناع .. لان المعجزة تعنى حدثا

يتجاوز القدرة ..

احتوى علينا صمت مطبق .. تهنف عليه أجنة التساؤلات ..

وفي اللحظة التي شررت سؤاله فجر مناع تساؤله في هدوء غريب :

— من أنت ياسيدي ؟

تربثت قليلا قبل ان اجيبه :

— لماذا تسألني وقد رايت كل شيء ؟

— ساصرحك للقول .

— تكلم يامناع

— لقد رأى القوم الحمامة المذبوحة تطير في الهواء .. والراس

الذبيح يعود الى الجسد ماعدا واحدا .

— مازلت على كدرك وعنادك يامناع .

— ما رآه الناس قد يكون خداع بصر يامولاي .

— الى متى تظل على عنادك .

— مولاي لا تسء الظن بي .. فانا احبك واعتقد ان الخلاص سيكون

على يدك فانا لم ار ملاكا .. ولا جنسا .. ولا شيطانا ولم ار الها ..

ولكنها مسلمات لدى .

- فليصوف أنت يا مناع .
- الفلسفة شك يامولاي .. ومالدي هو اليقين .. من اليوم أنا عبيدك .. تابعك .
- أخالك تبحث عن الحقيقة .
- هذا حالي يامولاي .. ظلت أبحث عنها وفي الوقت الذي تهيأت نفسي لاستقبالها .. فقدتها على يدك .. لكن ما يشغلني حقا هو الناس
- ما بال الناس يا مناع .
- أريدكم بلا أوهام .
- كثيرا ما يكون الوهم ستارا يحجب عن العقل هموم الحقيقة .
- وفي النهاية تصبح الحقيقة بهمومها أفضل من الوهم بسعادته .
- صدقت يا مناع .
- أثقلت عليك ياسيدي .
- لنا في الغد جولة تصحبني فيها الى دروب الجنة .. أما الآن فأتنا مرمق وأرغب في قسط من الراحة .
- نهض مناع . قبل أن يُخطو خارج الحجرة سالني في سخرية :
- وهل الآلهة تنام يامولاي ؟!

\* \* \*

هل هذه هي الجنة ؟ ؟ حدائق وارقة الظلال تجرى من تحتها النهار  
فوق أغصانها الثمار .. غابات تمرح فيها الطيأ والغزلان .. تمشى فوق  
أغصانها الطيور والغربان .. فوق أرضها يتجول الإنسان يقطف الثمار ..  
يقتل الحيوان .. يصنع من الفراء ملابس .. ومن الجلد مسكنه .. ومن  
للمظم خنجره ..

لماذا هي جنة ؟ ! هل لأن الإنسان فيها طليق يأكل ما يشاء .. يحب  
من يرغب .. يصاحب من للنساء ما يريد .. كل ما يملكه الفرد يملكه  
المجموع .. لا ملكية ولا اختصاص ..

لماذا هي جنة .. لأن البشر هناك يستمتعون بكل ما عندهم من نعم  
تفوق عن حاجتهم وتزيد أم لأنهم لا يخضعون لقلوب سوى ما رسمه المجتمع  
من مادات وتقاليد .. ولكن ين العلم .. أين الحضارة .. أين المخترعات  
هؤلاء الناس يعيشون في عة سور للظلام والاضلام ظلام الألق وظلامه  
العتل .. معتقدات بالية .. لقد بعثوا من جديد بعد موتهم .. وهذه هي  
جنتهم الموعودة جنة عرضها السموات والأرض .. لكن هل حقا  
ما يعتقدون .. بعثا بعد موت ؟! حياة أخرى بعد الحياة الأولى .. كثير  
منهم يتحدث عن حياته الأولى .. فمتى وأين كانت تلك الحياة .. هل حقا  
تلك هي الجنة .. أم أنني في كوكب آخر مازال بعيدا عن ركب الحضارة  
كوكب ماتت فيه كل الفيروسات .. وأصاب الناس فيه المقم .. كيف  
لهؤلاء الناس بالخطود أنهم لا يعرفون الموت .. ولا يصابون  
بأمراض .. هل يعيشون في جو معقم خال من الفيروسات .. لماذا أتيت ..

هل لاكثر بالجنة التى اعنت للمتقين .. هل لأرى كم هى بالوصافها بدائية  
متخلفة .. وما سبب هذا التخلف .. هل الخسود يعنى الجمود ..  
ثم لماذا لا يتفاسلون .. هل مقتدوا القدرة على التجلب .. هل تم تعقيمهم ..  
غريب امر هؤلاء .. الطفل يبقى طفلا .. دون ان ينمو والشاب كما هو ..  
والمجسوز لا يتحول هرما كيف .. لماذا يعنى ذلك ؟ هل دائرة الخسود  
لا تكتمل خلقتها الا باجتماع تلك الأمور كلها ؟ كانت هذه التساؤلات تصهرنى  
وأنا أتجول فى دروب الجنة .. حدائقها .. اكواخها .. أناسها  
حيواناتها .. يصحبنى مناع .. توقفت أمام كهف .. مناع يهمس :

— سترى هنا عجا .. الاتسلن على طبيعته العذراء .

استربت وأنا أرى شابا عاريا يجرى خلف امرأة عارية يحملها الى

الداخل .. وهى تصرخ ..

قلت لمناع :

— أنها تستلجذ

أجابنى :

— يا مولاي .. يطمعن وهن الراغبات .

خطوت داخل الكهف والذهول يحتوينى .. وهى تخفى تصبغنى :

— ما هذا ؟

— أنها جنة اللذة الحسية .

قلت غاضبا :

— بل مستمتع الرذيلة .

— مولاي لماذا تقول .. أو ليس كل شئ مباح .. أو ليس هذا هو

الوعد أن كل ملكان مخزما من المتعة يصبح مباحا .

نمر يحظ على قلبى ينهشه .. وأنا أرى ما يذهب بالقتل .. ويوجع

النفود .. نساء يطنن نسه .. رجال يعتلون ولدانا .. نساء فى احضان

رجال .. الجنس يمارس بلا خجل .. موبقات .. سألت مناع في دهشة :  
هل هذه هي الجنة .. الرذيلة في وضوح التهل .. أخرجني من  
هنا قبل أن اتقلب ..

على باب كهف آخر توقف بي مناع .. أمام مدخل الكهف رجل يرتدى  
قلنسوة حمراء ورداء أسود .. مناع يرد على تساؤلي :  
— أنه مبروك .. خامى حمى جنة المسكرات ..

مبروك يتتحم نحوى يعرض بضاعته .. أفيون .. حشيش ..  
خمور .. نحيته جانباً .. دلفت الى الداخل .. أجساد عشرات السكرى ..  
والمساقيل متناثرة في أركان الكهف .. وفي الوسط غازية عارية ترقص  
وحولها بعض السكرى يصفقون .. واحدهم يزعم :

— أرتقى لنا رقصة الإله .  
أنهم تائهون عن واقعهم .. حتى من أحبابهم . ضاعت الابتسامة  
منهم .. سألت أجابني :

— ولماذا يبتسمون يا مولاي ؟  
حقاً لمسلذا يبتسمون .. فالذى لا يعرف الألم لا يعرف معنى  
للإبتسامة .. بل أنهم يحاولون صنع الألم .. ليعتروا على هذه الإبتسامة  
دون جدوى .. أخرجني من شردتي وهو يتبول لى بحماس ..  
« هيا يا مولاي »

— الى أين ؟  
— الى صومعة الطم والطماء .



توقفت أمام الكوخ مذهولا .. لقد صنع من الذهب والفضة ..  
وبابه من الأبنوس .. وفوق سارية المدخل علقت عناقيد اللؤلؤ وتحتها  
عبوة « ادخلوها بسلام آمين » .. خطواتى بطيئة وأنا ادلف داخل  
للكوخ .. سرداب طويل تحفة اللآلئ والتحف .. الأرض نورشت بالتيبر ..  
السقف يتلألأ .. بريقه يخطف الأبصار .. تمتعت ساخرا :

— مرحى بالعلم والطماء ! !

انتبهنا الى بهو واسع .. بداخله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ..  
جداول من الماء رقرقه تجرى تحتها وموتها ! ! تبرد في أنفاسها ونسانيس  
نوق النار الموقدة تولول وتندب حظها .. طيور تزقزق وأخرى تزقق فوق  
أسياف للشواء .. التفاح الأحمر اللقاني والأزرق اللقاني .. والتين والزيتون  
الأصفر والأعشاب الخضراء والصفراء والزرقاء ! ! غازية عذراء ترقص رقصة  
خليفة .. ياردافها السمينة .. وحولها غتيات صغيرات لا يتجاوزن  
الخمس عشر ربيعا .. قلت في أسي :

— ماذا لرى ؟

أجابنى مناع :

— ما تراء صومعة الطماء يا مولاي .

— ومالهم يستأثرون بكل هذه النعم ؟

— أولياء نعمتك يدعون .. ويصلون من أجلك .. ويسمرون في  
ركبك ويتعبدون في محرابك .

— ولين قواريرهم ؟

— مخمخه بالخمر يا مولاي .

— وابحثهم ؟

— التمة بحثهم وشاغلهم الشاغل .

— وحملهم ؟

— الدين مملهم يجرون فيه ابحاثهم ويصنعون فيه افكارهم .

— تتصد بهؤلاء الدهماء وليس العلماء .

— خاصتك يامولاي .

— ما يضايقني حقا .. هذا التناح الذي حرموه على غيرهم من

البشر ويستأثرون به . في تلك اللحظة انفتح باب البهو الكبير . علماء الدين

الأفذاذ يخرجون الواحد تلو الآخر .. ومناع يشير الى رجل مريع يتمتم :

— أنه شيخهم .

تبينت ملامحه .. لم يكن سوى فرهود ..

ما ان رأى ختى خر ساجدا .. تبمه .. خاصته وهم يهللون

ويكبرون :

— حطت املا .. ونزلت سهلا .

فرهود ينهض يقول لى فى أدب جم :

— لقد وليناك يامولاي امرنا نمننك اليوم أنت الهنا نطيع امرك

وننفذ رغبتك .

سألقه فى غيظ وأنا أشير الى خاصته :

— هذه الهوام ماذا تفعل ؟

— يقرأون كتبك وينادون بتعاليمك حماة شريعتك .. كلماتهم

نافذة وتفسلهم لا يرد .

— عىد من يالفرهود ؟

— كل من تسول له نفسه التمرد على شريعتك للغراء .

— وبعمد ؟

— بلذا تعنى بجمد يامولاي ؟

- ماذا بعد القضاء الذى لا يرد ؟
- به المصير المحتوم .
- اكمل فانا منصت اليك .
- لنفنى الى الأرض المعونة نهاية مظالم التمرد والاحاد .
- اذن فقد خلت مملكتكم من العلماء والأدباء والفلاسفة والشعراء .
- آفة المجتمعات يامولاي .
- بل عصب المجتمعات ياترهود .
- قال بدهشة :
- مولاي ماذا قلت ؟
- آفة المجتمعات هي تلك اللحالة التي جعلت من الدين ستارا تخفى
- خلفه كل الموبقات .. اغلقوا هذه المواخير .
- كانت هذه آخر كلماتي قبل ان اترك المكان واتا في قمة غضبي .

## - ٦ -

- سألت تيرهود :
- ملجأ يمتبه ؟
- اجابني :
- السحر الاسود .
- وكيف هو هذا السحر الاسود ؟
- انظر يامولاي .. هذا ما عثرنا عليه .
- الشاب يترنح اعياء .. كلماته خفيفة :
- ما بيدي ليس سوى بوصلة يا مولاي .
- حقا انها بوصلة .. فكوا قيوده .
- بعد ان فككت قيوده علت صرخة عجوب :



— انها للجنة يابولاي لو تمكن منا مثل هذا السحر الأسود .

قلت بأسى :

— اللعة لأنه صنع بوصلة .

والشاب يطلق قاتلا :

— أنه مصير كل من يفكر في اعمال عظمه .

رد فرهود مدافعا :

— ولماذا اعمال القتل .. وكل شيء دان .

— فلو السراب من الظلم .

— مولاي ان املاك هذا الشيطان لنزل هذا السحر الاسود ..

واستثنائه به وعدم قدرة الآخرين لاملاك مثله .. سيهدم تصوص

دستورنا .. فلا ملكية ولا استثناء ولا اختصاص ولا تصارع .

رد الشاب معقبا :

— فلنصنع مئات مثلها .. آلاف .

— هل سمعت يابولاي .. أنه يغذى بالعمل .. يخرق السلام ..

مدنا .. والذي نحققنا من خلاله السعادة .

رد الشاب قاتلا :

— وما سبب متأراء من سلف وبدائية ؟

— اى بدائية اى تخلف ؛ ند حققنا السعادة السرمعية بعمد أن

اصبح كل شيء في متناول اليد الطعام والشراب والمرأة .

— هدف الجنة ليس النعمة للحسية .. بل الحضارة والتحضّر .

صرخ فرهود :

— هل سمعت يابولاي .. أنه يريد العودة بنا الى الخلف آلاف

السنين .. حيث تصارع الراى والخلاف حول المبادئ والفراعات

السياسية والفوارق الاجتماعية وفي النهاية .. الصراع والأثنية وحب

الذات والطلاق .. والملكبة السمار الأخير في نكس للسلام .

قال الشاب في ثقة لا تحطو من غرور :

— أنظر الى التوم يامولاي .. ميدان خفية تسمى في الارض تنمو  
على روث البهائم ومخلفات الانسان .. فليامر مولاي بعودة الفلاسفة  
والطباء والادباء من الأرض الملعونة الى الناس يختلطون بهم .. يقيمون  
بينهم .. ولكل للجميع الحرية في اعمال عقله .. يكتب الأدباء ويتحدث  
الفلاسفة .. ويخترع الطلبة .. لا حجر على الفكر والمثل .

نظر فرهود الى أعلى .. زعق بأعلى صوته :

— ماذا يعنى للمودة لقانون العمل .. للعذاب .

قال الشاب بجرأة ووقاحة :

— حل تعلم ماهى آفة المجتمعات يافرهود ؟

صمت قليلا .. ثم استطرد قائلا :

— انتم رجال الدين بعد ان حولتم المضمون الى شكل .. حولتم  
ارادة العمل الى طقوس وعبادات سقيمة .. حولتم العلم الى بخور ..  
وافسحة .. وادعية .. وزيارات قدسية وابتهالات .. ودعوات ..  
وتشنجات .. وجن .. وشياطين المضمون أصبح مجرد صورة وضعت  
في إطار مقدس يرحبه للجميع .. ويخشاه الكل يسجدون له وينشدون  
له الأهازيج يمتصرون منه الخرافات .

سألت فرهود في دهشة :

— هؤلاء الذين يحذبون انفسهم لماذا لم تمنعهم ؟

— لأنهم لا يضرون غيرهم .

— أذن فلماذا نضع قيда على حرية من يريد العمل . من يرغب تعذيب  
نفسه بالعمل فليعمل .

— أهل اللجة لا ينطبق عليهم شريعة الدنيا .. هكذا علمنا .

— وهذه اليوم شريعتى .

— تقسح أذن شريعتك يامولاي .

— أخالك فهمت ما قلت .

- ثورة هي إذن ما تنادي به .. نقد تعود الإنسان الكسل لا يتحرك  
 الا بمقدار حاجته للطعام فكيف نلزمه بالعمل ؟  
 — العمل اليوم حق وغدا واجب ..  
 — ولكن يامولاي من يعمل يملك .  
 قلت مؤكدا :  
 — ومن لا يعمل لا يملك .  
 بهذا رأيت الشعب يقفز كمجنون في دروب الجنة وهو يصرخ :  
 — الليقطة .. الليقطة .  
 فرهود يرمقني بعينين شامختان .. يعلن غضبه في كلمات ثقيلة :  
 — ان يرضى قوارك هذا خالصتك يامولاي .

## — ٧ —

- صغوت على أصوات تهدر .. رجال ونساء وأطفال يطوفون  
 البيت .. يصرخون بهستيريا .. خروج .. والداهل .. وسليم ..  
 وفرهود وسليط وبسطاوى .. اثمة الدين يتزعمون ثورة للغضب .. خلفهم  
 الأتباع يصرخون يولولون .. التريب أننى لم أر دمة واحدة مجرد صرخات  
 احتجاج .. يشعل نارها رجال الدين :  
 — نريد الإله .. نريد الإله .  
 مناع يقتحم على خلوتي وهو يرتجف .. ثبرات صوته كلها تحذير :  
 — لا تخرج إليهم يامولاي .  
 ابتسمت لا أدري سخرية .. أم شفقة على هؤلاء الناس .. ماذا  
 يريدون .. لقد اغواهم رجال الدين ليمردوا علي .. لم أنس نظرات  
 فرهود .. ولا كلماتي .. أنها بداية صراع بيني وبين هؤلاء المتخمين  
 المترفين .. مناع من جديد يحذرنى وأنا أخطو للخارج يحاول أن يمننى :  
 — دعهم مستكفل بهم يامولاي

قلت بثقة :

— لن تمر دقائق الا وينصرفوا .

وقت الشدة والازمات كان الطيف يأتيني .. يشد من أزرى ..  
يلس ألامى .. يحمل عنى مومى .. ينصطى .. لكنه اللحظة  
بعيد عنى .. منذ ليالى وأنا لترقبه .. بلا جدوى .. كم أنا فى حاجة  
ليه يلمنى للراى الصائب .. ماذا أنا فاعل بهؤلاء القوم ..  
مر الوقت لكن دون جدوى .. الهياج يشتد .. والصرخات تطلو ..  
نصبت مناع جانبها .. أخذت طريقا نحو القوم .. نور رؤيتى .. حل  
للصمت .. الوجوم الا من بعض مهممت .. همسات متفرقة .. طافطات  
الرؤوس وأنا اقترب من زعيمهم مرهود .. واجهنى بسحنته القذرة ..  
وجسده الفارع وصوته القمء :

— لا نريد غير جنفنا بديلا .

اقتربت أكثر حتى كدت أن الامسه والأصوات خلفه مبعثرة ..  
مؤكد .. مؤيده .. فى اللحظة التى خيلتلى فيها الأفكار للتخلص من هذا  
المأزق .. احتوتنى قوة خارقة .. أنه الهاتف من جديد .. يأتينى ..  
يضمنى .. ارتفعت نبضات قلبى .. غلى الدم فى راسى .. انتفضت  
عروقى .. وماذا بعد .. أننى املك أقدارهم اقتربت من مرهود ..  
لسته .. قلت أننى صقلته ارتعد .. ابتعد .. وهو يتمتم :

— لن تستطيع معى شيئا .

التفت لمرع شجرة .. انحنيت لى الأرض خططت عليها سألت مرهود

— ماذا ترى ؟

أجابنى بعدم اكترات :

— رسم فرد لا يعينى فى شىء .

قلت فى ثقة :

— انظروا ياتوم .

تواكبت الانتظار .. ضاقت الدائرة مصصت الشفاة وأنا استعرد قائلاً :

— هذا مصير من يعصى أوامرى .

أجابنى فرهود فى سخرية لاذعة :

— هيا اسخطينى لقرد ثم اشونى على النار اكلا شهيا .

حل الصمت .. الجمع فى مخاض الحقيقة .. كيف يتحول فرهود لقرد  
للحظة تراجع أمامى وأنا الفه بمنظراتى .. يستجمع شتى أرادته التى  
بمثرتها يحاول الإفلات منى وهو يشق بينيه الدائرة المشرية .. نجفية من  
خصلة شعره قلت :

— منا مكلك لا تبرحه حتى يأتى أمنا .

الصمت مطبق .. الهمسات يذبحها للفضول .. الخوف .. للرعب

وفرهود يخر ساجدا يقلب للظو يستجدى :

— لا تفعل .. لا تتمل يلهولاي .

صمت فى نشوة :

— خذوا هذا القرد واشوووه فوق النار .

الذعر يكتسح الجمع يذهب بمقولهم وهم يشاهدون فرهود يزحف  
نحوى وقد تحول لقرد يبتهل يقبل قصى .. مستجديا المفرة وقبل أن  
أخطو مبتعدا عن المكان حظوته قائلا :

— عفونا عنك ولتكن هذه هى المرة الأولى والأخيرة فى سلسلة

عصيانك



سألني مناع بلسنجاه :

— مولاي ألا يزعمك أن أسالك .

— الفصح ما بصدرك يامناع .

— لقد رأى اللوم غرهود أثناء التحول بن اتسنان لغرد ثم من ترد

لاتسنان .

تأطلته ساخرة :

— ما عداك أنت يامناع !

— بالعكس يامولاي .. فقد رأيت عيناى مالايمكن أن يصدقته بشر ..

لكن سؤالي .. لماذا عجزت عن رؤية الحملة المذبوحة .. ورأى المشطورة

— لقد ذاب الشك من داخلك الى يقين .

— مولاي سألتك مرة من أنت ولم تجبني لك قدرة الاله ومع ذلك

بأنت تحمل صفات البشر .. تأكل وتشرب وتغضب وتضنك وتكلم ..

من أنت ؟

— أنا للناس .. والناس أنا .

— ولكن الناس لا يأتون معجزاتك .

حاورتن فكتة طريفة سألت مناع بعدها :

— مناع .. هلا ابتسمت ؟

— كيف يامولاي .. وهى إحدى صفات الاله .

هيمست له :

— لو عرفت معنى المذابح .

— كيف يامولاي ؟

— بأن تصبح مثلى تحس للناس وتنفذ الى مشاعرهم .

امتطينا راحلتين .. رحلة طويلة نجوب فيها أرجاء الجنة الفسيحة ..

سألت مناع :

— أين تنهى ؟

— عرضها السموات والأرض يامولاي .

ابتسمت .. سألتني مناع في دهشة :

— مولاي يبتسم .

قلت سألها :

— إذا كان هذا عرضها فما طولها ؟

— هذا علمك الدني .

البغال تسير في طريق صخري ضيق .. فوق خور عميق .. الطبيعة في أحضانها ساجدة .. الأشجار تنمو على جدران الخور بهيل حاد .. يخيل للرائي أنها ستستقط في أعناق الخور عندما تعانقها نسمة هواء .. ولكن ضلالتها الخضراء تتراجع فوز، صدر الجبل التناهد .. كم هي خلابة تلك الطبيعة .. الصباح مندى برائحة الأزهار .. القمة مرتفعة .. اقتربنا منها .. مناع خلفني صامت .. لا أدري ماذا دعاه في الأيام الأخيرة .. علت وجهه الكتابة . اعتراه الحزن :

— ماذا بك ؟

— أمور كثيرة تضج بها نفسي .

— تكلم يامناع .

— مولاي .. تحمل صفات الآلهة وثيك عجز البشر .

— عدت من جديد لنفسى الدائرة المفرغة .

— مولاي أننى أحمل مما لا يطيق حمله رواسى الجبال ..

— أنصح عما بقلبك .

— تلك للقوة .. والقدرة .. والاعجاز لكك لا تستطيع أن تعرف  
مكون نفسي .

— وهذا ما يطلقك .

— بل ما يقلقني هو عجزك عن معرفة السر الأعظم .

— ويحك بدأت تكفري بي .

— بل هي تساؤلات .

— حدثني أذن عن هذا السر الأعظم .

— من يملكه فقد ملك القوة والسلطان .

— أنا منصت لك .

في تلك اللحظة دهمتنا صرخة .. صرخات .. خلف الغبار المثار ..  
ثلاث رجال .. أحاطونا كالسوار شذوا وثاقنا. خطونا الى منارة عميقة  
في بطن الجبل للتساؤلات تصهرني .. وسيد المصيبة يواجهني :

— أثبت أذن الآله .

لم ارد عليه .. تهقه ساخرًا :

— الا تمسخنا لقردود .

المصيبة تتضاحك وكثوس المرقى تحبها أفواههم الشرهة الكريهة ..  
امسك الرجل ببعض شعيرات لحيتي .. صرخ مناع :

— أبعد يدك القفرة عنه يا شهيد .

أن مناع يعرفه .. ينادية بقسمة !! لم يأنبه شهيدور انتطح الشعيرات  
من لحيتي .. أرسلها الى النار .

تهقه من جديد :

— بخور تتبرك برائحتها الكريهة .

ومناع يصرخ من جديد :

— ليس مولاي بفيتك .

تقدم الرجل نحوي .. داس أصابع يدي في تمسوة ومنف .. أحالها  
الى كتلة من اللحم والدماء نحت على صرخة .. تبتم :



— تولول كلنساء .

مناع يتوسل :

— دعه ياشهبور . . اللعنة آتية .

— ليس قبل ان تسرلى .

مناع من جديد فى آسى :

— اللعنة من جديد . . يا حسرتاه .

— سترى بمن تحل لللعنة نحن ام انت وهذا المعوه .

قال ذلك ثم امسك بكسوب من العرقى . . قربله من شفتى . .  
اطبقت على . . ضغط عليهما بقبضة من حديد . . اثنتا . . صب فى خطى  
السائل البنى الفاق . . اثنتا سسمال هائل . . اعقبها بكلماته  
وغسكة عريضة :

— اشرب حتى تنسى ما ينتظرك .

يد شهبور تمزق جلبابى صوته يتردد فى جنبات المغارة :

— لحم ابيض كلحم للنساء .

امسك بالسوط . . رفعه فى الهواء صرخ مناع :

— اتركه ياشهبور . . . . .

صرخت أنا الآخر محذرا :

— اصبت فحديثك يحمل نذر الموت لنا .

صمت مناع . . اشاح بوجهه عنى . . وشهبور يلهب ظهري  
بسموطة المرة تلو الأخرى . . فى تلك اللحظة احتوتنى قوى خارقة وأنا اتلقى  
الضربات . . لقد استطعت تطويع جسدى . . حولت الالم الى طاقة من  
الإرادة . . لم أعد أشعر بشيء . . لقد فقدت الاحساس بالآلم بالزمان . .  
بالمكان . . البسطة لا تفارق شفتى . . أحدهم يهيس :

— كسى ياشهبور فالرجل فى عداد الأموات . .

فى تلك اللحظات وشهبور ينهال على بسموطة غاضت على الرؤى . .  
نبح ناض على شطيه فافرق كل ماحوله . . أنه يفرقنى أنا الآخر . . جسدى

بفراق .. أغوص في اللا نهائي .. تحوم حولى الذكريات .. انتزعها  
انتزاعا .. أطوف بها أرجاء الكون .. صرخة تهب فزعة منى وأنا أرى  
الرجال يبحثون عنى .. يضلون طريقهم :  
— لا تخطئوا الطريق .

تردد شهبور .. أمسك عن ضربى . فى يده قنينة العرقى .. تقدم  
نحوى .. انزعها على جسدى .. مسياط من النار تلهب جروحي ..  
ترنحت من هول الألم الذى عاودنى .. أحدهم يهمس :  
— عاد يجر على أسنانه .

بمدها رحت فى غيبوبة .. استيقظت منها وجسدى كله ينبج بالألم ..  
شهور نائم يشخر بجواره اثنان من عصيته .. مناع مستلقى على  
الأرض .. جزوا لحية .. وحلقوا شاربى .. واحد حاجبية ..  
ابتسمت بهرارة .. غاضت الابتسالة وأنا أرى آثار التعذيب .. جرح قطمى  
عميق فوق جبهته .. آثار كدمات على رقبته . استيقظ شهبور .. لكز مناع  
بقدمه .. تهفه وهو يتلفز حوله :

— العفريت .. العفريت !!  
أخذت ملامح وجهه سمات الجد وهو يسأل :  
— أين الأبشونة ؟

خضت فى بحر التسائلات وهو يدوس رقبته بقدمه المفترضة ..  
يسأله من جديد :

— أين هى .. تكلم .  
أصمت مطبق .. ثم مناع مطبق .. خبط بأصراره برمضه  
شهور يصرخ :

— ساذيب هذا الأصرار يامنجى .. أخلع عن الرجل ثيابه بدأ منجى  
فى خلع ثيابه .. لم يتبق سوى سروالى .. قال شهبور :  
— كل ثيابه .. أريده كذا ولحته أمه .  
يستطرد وبمدها ثقله :

— هيا يامنجى .. أمامك لحم أبيض قد يغنيك عن طفلس تطاه بعد

طول حرمان .

في تلك اللحظة وأنا ابصر منجى قادما نحوى عاريا .. منتصبها ..  
وسؤالي الحاضر تلهث به نفسى .. لم كل هذه القسوة .. الامتحان ؟!  
في تلك اللحظة تقلصت معدتى .. تعثرت أنفاسى .. ثقلت وهو  
يقتررب منى يلمس بيده عجزى العارى .. مناع يزعق :  
— أتركوا مولاي .

- ١٠ -

تهت داخل زوبعة من الانتقام .. تمنيت في تلك اللحظة ان تنفك يداى  
من قيديهما .. لاطوق بهما عنق هذا للشهيد حتى الموت .. زهوة الانتصار  
تتخيل على كلمات شهيد :

— دعه يا منجى ودارى جسده فلم تكن تجنى سوى السراب .  
القوة الخفية تتأهب نصائلها .. باتت على مشارف نفسى .. العرق  
يتفصد من جبينى .. استشعر بها .. تضمنى لليها .. احس بلهنة انفاسها  
بصهد حرارة انصهارها امتزاجها بنفسى .. بكياتى .. خيالى يتدفق  
للمجهول يحطم مزلاج بابيه . يخلع على الواقف برودة الامان .. انهم  
قادمون لانقاذى انهم يزرعون .. يستحثون دوايهم دليلهم يقتص اثرنا  
وصرختى تهب فزعة :

— هيا .. فقد ضاقت بنا وضقتنا بهم .

شهيد يمتهم ساعرا :

— بدأ للرجل يخرف .

وفي اللحظة التى تهب فيها مناع لانشله السر اقتحم المكان واحد من  
للصبة نبرات صوته حادة :

— انهم آتون .

شهيد يمسأله :

— من قصص بحديثك ؟  
 — لا أدري .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة .. او أكثر في محفل المفارقة  
 شاهرين اسلحتهم .  
 وجم شهيدور .. اثنايت مناع هستيريا . فرحه غامرة .. توالى  
 صرخاته :  
 — فك قيظنا يامعين .. لقد ناداهم مولاك ولبوا النداء .  
 معين يتردد .. وصوت مناع يحثه قائلا :  
 — اطلب منه المفردة قبل غوات الأوان هيا يامعين .  
 معين يتقدم نحوى .. سوط شهيدور يلهب يتراجع .. يحاول  
 أن يهز عقيدة معين بكلماته :  
 — مخبولان انضم اليهما مخبول آخر هيا لنخرج من هذا الكهف ..  
 وفي اللحظة التى تهباً للخروج اسقط معين خنجرا .. غرزه في ظهره  
 شهيدور يترنح .. وقبل أن تحتويه غفوة الموت تتمم :  
 — خائن .. خائن .



معين ينفك وثاقي .. منجى يجثو فوق قدمى يتمتم :  
 — المفردة يامولاي .. المفردة .  
 فى تلك اللحظة دهمتنى رغبة عنيفة فى الانتقام من هذا الخنزير  
 الترهل .. تمنيت لو أقبض بكلتا يدى على رقبتيه حتى يقتلى لسانه ..  
 اطاه كما حاول مئى منذ الوجيزة داهمتنى تلك الرغبة المجنونة ومناع يسألنى  
 وهو يقبض بيده خنجرا .. لأمس نصله رقبة منجى :  
 — آمرنى يامولاي أجز رقبتيه كالشاة .  
 كيف تطلق حياة انسان على اشارة .. كلمة .. بضغ حروف يصبح  
 بعدها « منجى » عدما هكذا وبخون محكمكة .. للخصم هو القاضى هو  
 الجسد .. أى نوع من المدالة هذا .. اخططت على الأمور تشايبكت ..

للعدالة والظلم .. القوة وسهولة الانتقام .. منذ لحظات كان شهيداً في موقع القوة .. وكانت له عدالة الخاصة من أجل الحصول على الأيقونة ومنطق عدالته كان يقضى بالموت على كل من يعترض طريقه نحو هدفه .. عدالة ارتضاماً هو وأعدائه .. انموذج من عدالة كثير من الحكام مع شعوبهم .. لا يهتم سوى الغاية .. وللوصول إليها تضع رقاب وتقطع السنة .. وتخدم انفس .. ويبقى الحكم بجحافل ظلمه أمام رياح الفضايب صامداً .. سنوات .. سنوات وهو يعمر شعبه الى أن تهب رياح الثورة فتزود الرمال وتقتلع اشجار السقط والظلم والاضلال وتهدم عمائر الفساد والامسار .. وبعد أن تهدأ رياح الفضايب نثبتم مكان الجثث المتعفنة رائحة الياسمين والامل .. تهت في دوامة تساؤلى .. هل يمكن أن تكون عدالتى الخاصة مثل عدالة شهبور .. مثل عدالة هؤلاء الحكام .. جالت تلك الخواطر على ذاكرتى وأنا أدفع منجى بقدمى :

— اذهب فانت طليق .

بعدها سألت مناع :

— أنظر من كان القادم إلينا .

واحتوتى الدهشة ومناع يعود لى بخفى حين يقول لى :

— لا أحد يابولاي .. لا أحد .



- اثناء مسيرتنا سألت مناع :
- لم تحدثني عن السر الاعظم .
- اجابنى في تردد :
- انها الايقونة يامولاى .
- وماذا بها .
- تحمل سر الحياة فوق الجنة التى نعيش على ارضها .
- حدثني عنها .
- لا أستطيع يامولاى .
- قلت مفضليفا .
- فقدت للثقة بى .
- مولاى انها للجنة لو افشيت بالسر .
- تخشى أذن من اللعنة لو صارحتنى .
- حقا يامولاى .
- ورغم أنك تعرف فلم تحدث اللعنة التى تخشاها .
- لقد أقسمت يامولاى على ألا أبوح بالسر الاعظم .
- وتلكم الايقونة تحمل هذا السر الاعظم .
- نعم يامولاى .
- لذلك فقد تمقبتنا شهيوور .
- من ملك الايقونة ملك للقوة والسلطان .
- ماذا تخفى عني يامناع .
- مولاى فلنترك للناس يعيشون واقهم .
- قلت بهيروم :

- مهيتنا إن نغير هذا الواقع الى أفضل .. تبحث عن الحضارة ..
- ننهل من منابعها .
- قال في يأس ومرارة :
- وما جدوى ذلك ؟!
- دمشت .. قلت في اسى :
- أنت الذى تقول ذلك .
- للأسف يامولاي .. نعم .. فالياس يعيش على رفات الأمل ..
- الأمل ذبيح .. ذبيح يامولاي .

## - ١٢ -

- سألت مناع ونحن نترك الراحلتين :
- أين نحن ؟
- أجابنى :
- نحن فى الوادى المقدس .
- ولماذا هو مقدس ؟
- وادى الأنبياء يامولاي .
- وماذا فيه ؟
- أنظر لقرى بعينيك .
- لا ارى امامى سوى أسوارا من الشوك والأنبتة البرية .
- داخل هذا الوادى يقطن الأنبياء .
- ضحكت حتى كدت أن أستلقى على ظهري .. قلت ساخرا :
- هيا اذن لا تضيع وقتنا .
- دهش مناع .. عاوده الوجوم للذى فارقه منذ أيام .. قلت فى قلق :
- كائى قلت أمرا مخربا .
- هذا مكان مقدس يامولاي لا تطاء قدم .. والا حلت اللعنة ..

قلت مسلخرا :

— أنك ترمبني .

قال في سذاجة عنوية :

— لم أقصد ذلك يامولاي .

أفرزت ضيقي في كلمات :

— أو ليس الأنبياء بشرا .

— بلى .

— إذا لماذا يستكثر علينا أن نتحدث إليهم .

— تقصد أننا نستطيع نقاشهم بما يخلصنا من أفكار وآراء

وشكوك .. ولا تحمل علينا اللعة .

— أي لعة يمكن أن تحدث منكما نتحدث مع أحد الأنبياء .

— مولاي سأسر لك أمرا لكن كل ما أرجوه أن لا تغضب مني .

— أنا منصت اليك يامناع .

— كثيرا ما حاورني الشك في هوية هؤلاء الأنبياء لكن لم أستطع أن

أعلن شكوكي خشية اللعة .

— إذن فقد انتهت هنا قبلا .

— وتلصصت علي أنطع الشك باليقين .. وما رأيته أغرقني في بحار

من الشك للعين .. فقد رأيتهم .. غادون .. رائحون .. بشر مثلنا ..

يضحكون .. ويغضبون يتحدثون ويكلمون .. يستفتون .

— كيف ؟

— كل شيء ملك يمينهم .. لو طلبوا لبن المصفور لنالوه .. أنهم

خاصة للخاصة .. أنظر يامولاي هذا الرجل العاري .

— ماذا يفعل .. أراه عاريا .. يصلق شجرة ثم يهبط منها ثم

يعود لينسلقها من جديد وفي يده تلة .

• — أنه أب البشرية يامولاي .

— وهذه المرأة التي تتبعه ؟



— حواء .. زوجته .

— وماذا يمتد أنه يفعل؟

— أنه يؤدى نفس للذور الذى قلم به عندما هبط من الجنة الى الأرض وخلفه حواء تنوح وتندب حظها تشيعه نظرات الأنبياء بالشفقة والحسرة .. استمع يامولاى ماذا يقول :

— يا أنبياء الله .. ماكنت أعرف أن عقابى سيحقيق بكم كل تلك الكوارث .. ومع ذلك قلب ضارة نافعة .. فلو لم أهبط الى الأرض لمكان لوجودكم معنى ولا حصلتم على هذا المقام الرفيع فى أذهان البشر ولا أحاطتكم تلك القدسية وهذه الهالة التى تقطع أى لسان يتطاول على سيرتكم المقدسة .

قلت لنباغ فى حسم :

— هيا .

سالتى فى دهشة :

— الى أين يامولاى .. والطريق مليء بالأشواك .

— نهائى .. ويهادتنا .

— أعلنى يامولاى .. فهذه مهمة الألهة وليست مهمة البشر .. لكن

كل رجائى أن تكون رفيقا بهم هم خاصة خاصتك .

\*\*\*

اقتربت من ابي البشرية .. نظر الى بدهشة تملكتي الرعب .. الشعر  
يكسو كل جسده اللحية مسترسلة .. شعر الرأس مجعد .. القوام غارح ..  
عنان جامد ملن عيني صقر .. نور رؤيتي صرخ :

— من اذن لك بالدخول ؟

— جئتك زائرا .

— من انت ؟

— واحد من نسلك .

— وكيف تجرات .. الا تعلم ان هذا الوادي المتحس محرم على  
امثالك من الصماليك .

اول للتصيدة فكر .. قلت وانا احاول السيطرة على انفعالاتي :

— سيدى انها محاولة للوصول الى الحقيقة .

— اية حقيقة ؟

اقترب منى لمس راسي بكف يده للاضخم سالني .. وهو يضحك :

— اين وبر راسك هل اكله للذمل .

— ائنه التطور يا اب للبشرية .

— يوصلكم هذا المجهول لرأس ناكل بلا وبر .

— الاعم هو مايدخل الرأس لا بما يزرع فوقها .

محدث يدى بورقة تناح وانا اتمتع :

— دارى بها عورتك .

ضحك من جديد هذه المرة لم يكن ضحكا ائما كان اقرب للزئير ظهرت  
انيابه حادة .. لامعة كخصل سكين .. سالته فى سذاجة عفوية :

— اسنانك .. قصدى ائيلك ناصعة بيضاء .. اى معجون تستعمل

ظننت حوله بحذر .. اقترب منى .. همس :

— معجون الأنبياء بالكوروفيل .

ضحكت .. كيف له بهذه الملوحة .. فى الحقيقة بدأت اقترب منه  
بفكرى .. انه « جامز » أعد نفسه لكل شىء .. على أن أهاجم بكل  
حججى .. سألته :

— وهل دعيت أيضا كانت بالكوروفيل ؟

ضحك من جديد .. أظف بأغلف الايمن .. أننى ماسمت مثل هذا  
الزئير من قبل ولن أسمع مثله كل جسده يتراجع .. أنه ابن نكته يسمى  
اليها .. ويسر منها .. أجبته :

— لا يا أبى .. أتصد يا جدى .. الدعوة بلا رنوش .

— ماذا تريد أن تعرف ؟

— رغم أنه لم يصلنا بالتحديد جوهر تلك الدعوة ورغم أن لبنى  
الخير ونبذ المصيبة دعوة تدعو اليها كافة المجتمعات الدينية واللا دينية ..  
رغم هذا كله على سؤال .. هل يمكن أن يعصى نبي ربه ؟!

— أبدا فهذا من سابع المستحيلات .

— وماذا فعلت أنت .

انشمق غاضبا قال :

— تتهمنى بعصيان ربهى .. خسئت .

— هذا ماوعيناه منذ نعومة أظفارنا .

— افتسراء .

سألته فى دهشة واستغراب :

— ألم يحرم ربك عليك شجرة التفاح ؟

— بلى .

— ومع ذلك تقول افتراء .. كيف بالله عليك ؟!

— سأثير لك الطريق .. انتظر من هذه الطاعة الالهية .

— أننى لا أرى شسيثا .

— لأنك لا تملك عين النبوة !!  
 — وما عين النبوة ؟  
 — تستطيع بها أن ترى المنظور والمخبوء .  
 — لذلك فماتت ترى ما لاتراه .  
 — هذا حال الرسل والأولياء والصالحين خصهم الله بها وانعم  
 عليهم بما يميزهم عن سائر البشر .  
 — أذن فلا عجب أن نسمع عن الرسل للذين كانوا يبصرون الملائكة  
 والجن والفتاريات دون غيرهم من سائر البشر .  
 — نعم .. صدقت .  
 — كيف هل تحمل مثل هذه العين عسة ميكروسكوب أم أن لها قرنية  
 سحرية لديها القدرة على كشف المجهول ومعركة المخبوء . فاجأني بسؤاله :  
 — أيضا ستفكر أنك لم تسمع عن أذن النبوة !!  
 — هي الأخرى تسمع ما لا يسمعه للبشر .  
 — صدقت فهي التي سمع بها الأنبياء حينئذ الله مباشرة أو بواسطة  
 ملائك .

— وأين العقل فيما نقوله ؟  
 — اجابني محتدا :  
 — في الحذاء اذا كنت ترتديه !!  
 — اذا فماتت ترى ما لاتستطيع رؤيته .  
 — هل ترى تلك الأرواح الهلثمة ؟  
 — الأرواح .. بدأت تسخر مني يا ملك الكون ويا اب البشرية ..  
 تهقه .. ربت على .. انطرح أرضا .. كم يده ثقيلة .. تهقه من جديد  
 وأنا أرحف لأقف أمامه .. قزما صغيرا تمتم :  
 — ظلك خفيف .  
 — تقصص ظلي تصير .  
 — انظر .

قلت مدهوشا :

— اننى لا ارى سوى فراغ .

— اذا كنت لا ترى أكثر من بشرتك فأجمل من حديثى معك منظارا  
للمجهول ترى به الأسرار الخفية التى يعجز البشر عن رؤاها .

— وهكذا تنوء الحقيقة وسط للضباب .

— اذا قلنا أن الانسان لا يستطيع أن يرى بالعين المجردة على مدى

البصر أبعد من ألف متر فهو يستطيع أن يرى بالمنظار أكثر من خمسة  
آلاف متر .

تخليلت على الشكوك .. فكيف له بمعرفة المنظار والمتر .. أو ليس

أدم هذا الذى يحدثنى .. قد يكون آدم آخر مثقف .. قلت له والحيرة

تنهشنى :

— الى أين تتجه بحديثك .

— مثل آخر .. الأمى الذى يعجز عن الكتابة والقراءة .

سكت قليلا ثم استطرد قائلا .. بالناسبة هل أنت أمى ؟

أجبت فى ثقة :

— بل أنا أبى .

التقط المرحمة ضحك من جديد .. أغترلتنى فوق يده يدللنى ..

استطرد قائلا :

— الأمى الذى لا يستطيع أن يميز بين الألف وكوز الذرة .. لا يدرك

معنى تلك الحروف المكتوبة .. لكن ليس معنى جمل بها أنها مطبوعة

المضمون . والأعمى يرى الدنيا شريطا أسودا .. ولكن هذا لا ينفى وجود

أشجار خضراء وورود حمراء .. وزهور بيضاء .

قلت وقد احتوتنى هزة .. صدمة .. فأنا أسمح حديثا غريبا ..

توى الحجة .. متين البنين .

قلت متسائلا :

— تقصد بحديثك التسمية .

— مهلا .. هذه الأرواح الهائلة ليست سوى طاقة لا يتقدها مادة ..  
داخل مملكة لها نظام دقيق ينتظمها ملك واحد اله واحد .. ثم الأتباع ..  
الكل يعمل في سعادة لكن مائناط بها من أعمال ليس لها مثيلا على الأرض ..  
أعمال من شأنها تنظيم حركة الكون من رياح واعاصير من مطر وسحاب  
من زلازل وبراكين .. من اجرام وكواكب وشمسوس .. مملكة اختفت فيها  
الماديات .. هذه المخلوقات أو الأرواح تستمد طاقتها من البطارية  
الالهية .. مملكة لا حدود لها .. اختفت منها الطبقات .. فالكل سواء ..  
مخلوقات تعمل وتعبد وتصلى بالتجلى على الخالق .. طاقة لها القدرة على  
الانتقال من مكان لآخر بسرعة البرق .. دون ما حاجة الى مسيرات او  
طائرات .. ايونات خلية تحسوم حول الذرة الالهية .. ما يميزها صفة  
المعرفة .. المعرفة للكلية للخالق يعايلها المعرفة للجزئية للمخلوق .. الكل  
يعرف الجزء والجزء يعرف الكل في حدوده للضيقة .. هذه المخلوقات تعيش  
في سلام .. ولكن غنما حاول بعضها التمرد على التاموس الالهى .. خلت  
اللعة عليهم فنجن البعض داخل شياطين وسجن البعض الآخر داخل غرافز  
انسان .

سألته ولذحول يحتوينى :

— كيف ؟

— ماذا تصد بكيفك تلك ؟

— أعنى بها كيف تمرد البعض على التاموس الالهى ؟

— أخطأ .. ولكنها ليست كذلك الاخطاء الشائعة على الأرض

كجرائم المال والنفس أبدا .. بل هى أخطاء تتصل بالذات الالهية .

— صلة افتراضية تجمع الله بلك المخلوقات لا يستندها دليل منطقي

او نظرية علمية .

لم يلبه للمحظى بل استطرد قائلا :

— هذه المخلوقات ليست سوى جزئيات من الخلية الالهية .. مصابيح

صغيرة بضئها مولد ضخم .. قد ينطفأ بعضها .. بينما يبقى هو أبدي

متجدد غير منتقص ..

مرت فترة قصيرة من الصمت قبل أن يستطرد قائلا :

— هذه الأخطاء جاءت نتيجة محاولة هذه المخلوقات التشبه بملكها الأعظم في ممارسة سلطاته التي يستأثر بها .. فخلزقت بهذا الى خطأ جسيم انتهت عن اثباته .. وبالتالي أصبح الناموس الالهي معرض لهزات التغيير من هذه المخلوقات التي سخرت قوتها وارادتها لاجداث هذه التغييرات كلما عن لها ذلك .

— وحق عليهما للرجم .

— لم يكن امام الله سوى أن يفسح هذه المخلوقات داخل نواويس محددة .. اطار لا تخرج عنه .. لم يسلبها ذاتها وارادتها المستمدة منه .. بل حد من قوتها اللامحدودة .. وسجنها في المحدود .. جسد وغرائز ورغبات ومطالب فاصبحت تلك القوة الهائلة نزيلة سجن اسمه الجسد من اللحم والعظام والانسجة للرخوة .. وليست عبقرية الانسان واكتشافاته واختراعاته سوى الترجمة الحقيقية لهذه الطاقة الغير محدودة الكامنة في الجسد المحدود .. ولو اهتم الانسان باكتشاف هذه القدرات للهائلة داخله لاستطاع في النهاية أن يطوع هذا الجسد لخدمة تلك القدرات .. ولا عجب عندئذ اذا رأينا طائرا في السماء السابعة وحده دون أجنحة .. أو عبيرا الفلك دون سفينة نوح أو رائعا على يديه طائر الرخ الضخم .

— خيال .. خيال نحن في مملكة الخيال .

— يا حفيدي المسكين .. بعد أن يكتشف الانسان قدراته الداخلية ويعرف اسرارها للغامضة .. يستجد أن كل شيء في الوجود أصبح طوع ارادته ولن تجد في آيات مثل تلك الخوارق أية غرابة .  
قلت له حاشا :

— اكمل .. اكمل .

وبعد أن سحقت تلك القدرة الهائلة أو ما يسمى بالروح داخل غرائز الجسد كنت أنا أول من تلقى التجربة على مضض .

قلت مستفسرا :

- التركى اسرك أمرا اخفية بين جوانحي .
- لا ضير يا صديقى من الاقصاح عما يجول بخاطرك .
- أن خلقك هذا غريب وتفسير وجودك أغرب ..
- كيف ؟
- مثلك غريب .. أول اضلاعه خلقك من صلصال بعد النفخ فيه والصلح الثانى عصيفك أوامر ربك بعد أن قربت شجرة التفاح والثالث والأخير طورك من الجنة الى الأرض حيث للصراعات والانتقامات .
- تبلىنى ابر البشرية من أم رأسى قبلة جدية بـ ما قل لى :
- أحيك يا حبيدى على قوة تساؤلاتك .. والأجابة على ما أشرتة
- تكمن فى قضية هامة .. أن البعض ينكر وجود الله .. فهل يعنى هذا
- الإنكار عدم وجوده .

انفلتت أعصابى أجبتة بضيق مكتوم :

- رغم احترامى للتشديد لك لكن أجابتك لا تخطف عن أجاباتهم ..
- أقول لهم ثور فيسألونى أن أحطبه .
- أخبرنى عنهم .
- أنهم رجال يرتدون القلنسوه للسوداء والرداء الأحمر .
- للقلنسوه السوداء رمز القتل .. والرداء الأحمر رمز للرغبات ..
- تقصد بها الكلمة والرغبة فى رؤية الحق .

سألنى فى فضول :

- قل لى .. لماذا تشد عليهم النكير ؟
- مخلوقات مازالت تضرب اخماسا فى أسداس واذا بالنتيجة صفر
- اليدين .. قل لى يا أبا البشرية .. من أنت وهم أم حقيقة ؟!
- انفلتت أعصابه .. كما حدث لى منذ لحظات .
- أجابنى بنحده :
- وأنت من تكون يا نملة سليمان ؟



تقدم نحوى .. دفعتى بأصبعه الخضر .. لم أدر بنفسى الا وأنا فى  
مكان بعيد .. بعيد جدا .. لا أعرف مداه .

## - ١٤ -

استفقت على رجل عجز .. ينحن بهامته المصلاحة  
نحوى .. وجهه وسيم رغم تلك الحياة الطويلة .. على محيا  
.. فكأن نظرى .. داخل عينيه حزن عميق تتوقدان بالمعرفة وحب  
الاستطلاع .. يملأ فمه بالماء .. يرش وجهى " مكوجى يمد الملابس  
للكى .. سيلا من الماء يتدفق فوق رأسى .. وجهى .. ملابسى .. تخالفت  
على شفتيه بسمة حالية .. وأنا أبطلق فى هذا المخلوق الذى يوقظنى من  
انغماء طويلة ثم يتركنى الى عصا حلوة رقيقة ناعمة .. عذراء فى ليلة  
زفافها .. أخذها بلهفة بين أحضانه .. قبلها .. جلس القرنصاء ..  
انحنى الى حجرين يملكهما ببعضهما تتطايرت شرارة .. أوقد نارا ..  
ارتفعت السنة الذهب .. تساقطت دموعه .. وهو يثلو بكلمات أغلب الظن  
أنها كلمات سماوية زرقاء !! هم بقذف للمصا الى النار تردد .. أسقط فى  
يدى .. أسرع اخطف منه العصا .. أخيرا المصا السحرية بين يدى رحت  
اضربها فى الأرض .. ألطم بها ماء الجنول فلا الأرض انبثقت ولا الجنول  
التئم أخذت احركهما يميننا وشمالا .. وشرقنا وغربا وأنا اتمتم :

.. جلا .. جلا .. جلا .

بلا فائدة لم تلد حية ولا شعبانا ولا حتى سوطية .. اعطيتها له  
وأنا أهمس :

.. لا تستحق سوى الحرق .

قذف بها الى النار .. بكى .. اسفلقت على دموعه .. شلال نياجرا  
الى هذا الحد .. حقا فهى رقيقة عصره .. أعطته كل شئ .. القوة ..  
والعجزة والهيبة والرهبة .

قلت له بأسى :

— لا تحزن يا والدى .. هكذا الدنيا يوم لك ويوم عليك .. البقية  
فى حياتك .

أجابنى بصدق :

— أنها سبب مخنى .. رغم أننى أحببتها .

— غريبة !!

— وائ غرابة فيما أقول .

— أن يحب الإنسان ما يعذبه اليس فى هذا غرابة !

— تماما كما يحب الآباء ابنائهم رغم عقوبتهم وتعذيبهم أيامهم .

— لكن أى محنة تلك التى سببتها لك هذه العصا .

— محنة الأسطورة التى ارتبطت بها

— رغم وضوح الفاظك فلم أنهم ماتريد الانصاح عنه .

أشار الى العصا والنار تلتهمها وقال :

— لقد شقت اليايس ليصبح بحرا يفرق فيه الكفرة .. واتهمت

شعابين السحره وأنا ماذا كان دورى ؟

انفعل وهو يستطرد قائلا :

ماذا كان دورى اذا كانت تلك العصا حققت كل هذه المعجزات ..

قل لى ماذا كان دورى ؟!

— حتى الآن لم تصل للقلب .

— أخشى لو نفذ اليه سهم الحقيقة .. لأرديت الجسد قليلا .

— لا تقلق .. فسأكفنه معك بأحلى وأجمل ثياب الخيال .. وسنزين

صدره بنبائشين الخرافات .

سكت قليلا .. يرشف ماء ثمرة جوز هند .. أستطرد بعدها قائلا :

— رمز يعبر عن الصراع بين الخير والشر .. وكيف انتصرت عصا

الخير على شرور الكهان وأغرقت الكترة فى محيطها القاتل .

— معنى أن القصة كلها لم تنم سوى هذا الرمز الواضح المريح .

— صدقت .

— لكن كثيرون سيفضون هذا التفسير .

— عليهم إذن أن يصنعوا القصة بحرفيتها .. لكن أخبرني قال ذلك ثم انحنى يمسنكى من تلاييبى .. يرغبنى الى أعلى .. قشه يحركها أعصار هائل يمالئنى فى فضول :

— من أنت وكيف وجدتك بالحالة التى كنت عليها تذكرت فى تلك اللحظة جريمة القتل التى ارتكبتها منذ آلاف السنين .. هذا مصرى .. خفت أن يهوى بى الى أعماق الوادى للسحيق .

تسألت لماذا هؤلاء البشر منفلتون غاضبون دائما .. تذكرت كلمات مناع « حاول أن تكون رقيقا معهم حتى لا يمزقوك أربا » .. قلت :

— مهلا نطسوا .. لا تجذبنى هكذا لمقتل نفسا بدون وجه حق .. رد بذلك الماح وهو يترك ثيلى :

— أنت تعنى جريمة للقتل أياها قاطعه قائلا :

— كما عهدتك تعرفها وهى طائفة . استطرده قائلا :

— لم يكن سوى شجارا كنت الغالب فيه . وهل تعلم عقوبة القتل ؟

— لمصلحة من تحاولون تشويه صورتى ؟

— أرفع قليلا من صوئك حتى أنهم ما تعنيه الكلمات . زعق قائلا :

— من تريدون من الرسل لظهاره فى صورة الكمال بتضحييم أخطاه من سبقوه .

— أنهم من هذا أنك لم تقتل .. وجريمة القتل ليست سوى رمز .

— بل أمنية طالما سعيث لتحقيقها .

— وبلاست .

- بل تركت لشعبي الآن مهمة تحقيقها .
- شعب بأسره يقتل رجلا واحدا — عجبا .
- بل يقتل ريزا .. لتصبح أرض الوعد حقيقة واقعة ..
- هل نسيتم ؟
- ماذا تعنى بسؤالك ؟
- إذا كنتم قد نسيتم لنحن نازلنا نذكر آلام التشريد والتعذيب والغزوات والانتقام البربري .. وتقتيل المئات المستسلمة وذبحها .
- تقصد ثار قديم .
- بل جرح غائر .. لا تتعجل فنحن في الطريق .
- أي طريق تعنى ؟
- طريق الإجهاد على هؤلاء القوم المحصن خلف أسوار الاخلاقيات المتحطة والمبادئ المتعمدة .. والمثاليات الفقيرة .. والفكر المحجور
- قل لي يا جدي كيف تحدثت مع الله ؟
- كما حدثك الآن .
- وجهها لوجه ؟
- ولم لا .. وأنا نبي شعبه المظلم .
- ومع ذلك فلم نجد أثرا واحدا يستدل به على تصتك .
- تقصد أنني وهم .. لا ليس صحيحا والليل على ذلك الوصايا .
- هل يعنى وجودها ارتباطها بك أنت .
- لكم يحزنني محاولتكم الاستميتة انسراغ للتاريخ من المعاني الخالدة الباقية على طريق اليقين .
- محاولتنا هي مسح الصدا عن التاريخ لا طمس معالمه .
- هذا العلم نبيكم الجديد استبجلموه بنا .
- انه المستقبل .. وأنتم الماضي .
- لتأخذوا منا عبرة .
- العبرة أن تدعو الله على عشيرتك بالتوهان في الصحراء ؟!
- بعد أن تمردوا على تعاليمي .

- وهل يقبل الله دعوات الخراب ؟  
 — أنه سميع مجيب .  
 — قل لى ياسيدى بعد ان نجرتك من اللوصايا ماذا قدمت للانسان ؟  
 — الانسان ليس سوى مجموعة من الأعمال الخائذة لجمع من الحمقى ويذهب الداعية . . ويروح الحمقى ولا يتبقى سوى العمل الخالد .  
 — تقصد أنه لا يتبقى لك سوى وصايا .  
 — انها ترجمة حقيقية للخير .  
 — وهذه الأساطير التى امتزجت بها .  
 — قلتها أساطير .  
 — من أذنك .  
 — سألتك :  
 — الى أين ؟  
 — بدأت النار تخبو .  
 — اتركها وشأنها .  
 — حتى تبقى النار مشتعلة . . سألتى بعضا ثانية وثالثة أو رابعة . .  
 — ولو . . مهما حاولت . . ستبقى تلك الأسطورة حية . .  
 — لا تموت . . رقطاء تلدغ كل من يفكر فى حرقها ونثر رمادها .

## - ١٥ -

- استدرت لأعود واذا بى أمام انسان لا يصدق عتل . . رجل طويل . .  
 عريض المنكبين كث الشعر . . تصل لحيته لأسفل صدره قدماء  
 مفرطحان . . كبيران اعتقد أن مقاس قدمه لا يقل عن سبعون . . ثمانون  
 لا أدرى من أعلى كتفيه يتساقط ساعدان . . يتأرجحان وهو يسير  
 الهوينى . . أسد فى غابة لكن فى خفة طاووس يتخايل فى حديقة . . سحبنى  
 من ذراعى . . رجب بى . . انجسة الى خوض ملهى بالماء . . انحنى . .

أشار لي أن اتف في الطرف الآخر من الحوض .. دفع. بسفينة صغيرة  
نطقوا موق الله .. تلفتها بيدي .. لا أدري ماذا يريد .. ولماذا يفعل  
ذلك .. الا أنني دفنتها أنا الآخر تجاهه .. فرح .. دفعها من جديد ..  
موت سامة وأنا للعب مع هذه اللعبة السخيفة .. ضقت بها قلت له :

— لقد تعبت ياسيدي .

— حسنا هيا لنناول مشروباً بارداً ..

— احسنت صنعا ..

قدم لي كوباً .. ورقة شجر خضراء .. قرطاس لف بمنية ..  
أمسكت بالكوب وقيل أن يروح للسائل الهلامي من لحي سألته :

— مشروب للجنة اليس كذلك ؟

أجابني :

— حقاً فهو بول الملكات !!

ترددت وإذا به يصرخ في وجهي :

— اشرب والا دعوت عليك بطوفان يقصف عمرك ويفترقك في

أعماق المحيط .

ترددت من جديد وإذا به يحذرني قائلاً :

— هيب .

قففت بالقرطاس .. تناثرت قطراته .. نظر الى الأرض بحسرة ..

صاح مهتاجاً :

— لقد أغضبتني .. ولن اتوانى عن طلب الموت لك ولكل من يؤازرك

قلت بهدوء :

— معذرة ياسيدي .. فما قدمته لي مشروب غير مألوف ..

لا تستسيغه للنفس .. من الصعب التآلف معه الا في حالة واحدة .. أما عن

طريق للفهم فهذا مستحيل انفرجت اساريره .. صحبني من يدي الى

مكان خال سألني :

— هل تسمع ؟

- نعم .. ما أسسمه هو أزيز النحل .
- بل أزيز ملكات النحل .
- الآن فهمت ياسيدى .. وليس أسمى سوى أن أقدم اليك عذرا  
ممهورا بخاتم النسر .
- أشكرك .. أشكرك .. هيا تلعب بالسفينة .
- سيدى اننى لم أظا هذا المكان .. ولم أخطر بحياتى من أجل  
هذه اللعبة .
- مات من عندك .
- أريد خفيثا .. ترتجف منه الأبدان .. ولا تحتل فيه الألهان .
- أنا منصت لك ومجيب على كل خواطرك .
- لا تؤاخذنى اذا بدلت حديثى معك من حكايات ألف ليلة وليلة .
- لم أسمع بها ولم تحدث فى عصرى .
- أنها ليست سوى حكايات ملأى بالأساطير .. وعشت عليها  
الخرافات ومع ذلك فقد بقيت حتى الآن محفوظة من قرن الى قرن دون أى  
تعديل أو تحريف حتى لقد قيل أن الله حافظ لها .
- وما صلة هذا بك .
- قصتك تذكرنى بواحدة منها .
- أى قصة تعنى ؟
- من الألف الى ليلاء منذ أن بدأت تدعو القوم الى عبادة الله الى أن  
هبطت بسفينتك على قمة الجبل .
- أى سفينة تلك ؟
- لا اتصد هذه اللعبة لئلى تدفعها الآن وأنا أردما لك .. بل تلك التى  
رحلت فيها ومعك أمك وعشيرتك وذوى قريبك الذين آمنوا بك بعد أن جمعت  
فيها من كل زوجين اثنتين .
- توقف قليلا عن اللعب .. نظر الى مليا فى دحشة لجانبى :

— الآن تذكرت .. ماذا يشغلك من أمرها .

— كل شيء عنها .. منذ اللحظة التي عقدت فيها اتفاق جنتلمان ..  
وبناء عليه تمت من جانبك بصنع سفينتك .. وقام الله بتنجير الليثانيك ..  
وفتح المجارى وارسل المطر حتى طفت سفينتك . الصالحين فوقها والظالمين  
تحتها يفرقون في لجة الطوفان الى اللحظة التي استقرت فيها السفينة على  
قمة جبل قوى بعد ان قابلت للشفاطات الالهية بسحب المياه .. وانفراغ  
الأرض من الأوحال .. وتنظيفها ورصفها !!

ابتسم الرجل ابتسامة نووية واسعة قال بعدها :

— وما لغرابية فيما قلت ؟

— حاولت اكراه للناس على اعتناق عقيدتك بأن خيرتهم بين الموت  
أو اتباعها .. ثم سلطت الطوفان على من جحدك فابطلعه .  
— وهذا أيضا ماذا يدعشك فيه .

— أولا .. لا اكراه في العقيدة .. ثانيا من آمن بك من خوف من الموت  
فهو على كفره لأنك لم تغير مفهومه تحول عقيدته كل ما فعله أنه سايترك  
خشية الموت .. ثالثا من غرق على كفره وفضل الموت لمقد تاملت في اقتناعه  
بعقيدتك .. وهذه الصورة لا تخرج عن شخصية الفتوة الذي يفرض اتناوات  
على الأغنياء ليمطيها للفقراء ويخيرهم بين اللحم أو المرمطة ولحس التراب  
الهدف لا ينكر أحد سموغايته .. تحقيق المساواة .. العدل .. الا ان  
الوسيلة يرفضها العقل .. وهذا ما يدفعنا للتساؤل هل يمكن ان يصبح  
الاله طرفا في مؤامرة لقتل الانسان .. حتى ولو كان هذا الانسان قد عصى  
اوامره .. وهل مقبولة ناقص الى الحد الذي يجعل من الثار والانتقام واحد  
من اعمدة شريعته .. لا اظن .

ران الصمت .. مسافة طويلة من التساؤلات تفصلنى عنه .. غريب  
عنى لا أنهبه وهو يسألنى :

— الى أى شيء تهحف .

— قصصك غير مقنعة .. لا تتفق أحداثها مع التفكير المنطقي لذلك



- فلا منلص أمامنا سوى أن نضعها في جعبة الخيال .
- كل هذا لأننى خيرت الناس بين الموت أو الدين .
- أيضا لأنك صورت الاله في صورة بشرية مجردة .
- غبى .
- الذى هو أنا .
- الذى هو أنت وامثالك .
- لماذا ياسيدى تسبئنى .
- لأنكم حولتم المعنى الى حدث والرمز الى واقع .
- كيف . . خبرنى ؟
- للسنيئة ياساحبى ليست سوى رمز لدموة الخير . . من أيدى
- دموتى فقد ركبها الى بر الأمان جبل السلام ومن أنكرها فمسيره الغرق فى
- طوفان الشر .
- وأينك ؟
- أجد الغرقى فى بحار الرذيلة .
- ومفهوم من كل زوجين اثنين .
- رمز لمكاسب الانسان المزدوجة على مر السنين .
- ضلقت بى نفسى . . تماكنى للغضب صحت زاعقا :
- كلكم يتحدثون بالشفرة . . أين أذن الحقيقة المجردة ؟
- رد على بابتسامة نوييه . مربعة جبارة . . ازلية . . قديمة . .
- أجابنى :
- يا حفيدى احفادى اراك تبحث عن الحقيقة فى مملكة الخيال خذها
- نصيحة . . ثدى للخيال لايدر أبدا لبن الحقيقة .
- تركته وأنا أزعم :
- أين أذن الحقيقة المجردة .

على أن ابحت عن الحقيقة في مكان آخر .. بدأت أخطو خارج الوادي  
الدروب كثيرة والمخفيات متعددة والطريق متفرعة .. متقاطعة .. تحت وسط  
الاحراش . رأيت شابا جميلا .. خضلة من الشعر تزين جبين يشع منه  
المظلة والسلطان .. جالس فوق الأرض الخضراء .. أمله أربعة عشر  
بقرة .. سبع سمن .. وسبع عجاف لعب صنعها من الصلصال ..  
يحرك المجاف لتاكل السممان .. فتولول للسمان وتصرخ وتنادب خطها حتى  
إذا ما أكلتها عانت نسيتها الأولى .. اقتربت منه سألتة :

— أين الطريق الموصل الى الخارج ؟

بهرتني وسمحته .. كلماته المرتبة الثقبة :

— غريب عن الديار .

— نعم زائر تضي أكثر اليوم في واديكم ويريد الخروج ليبحث  
عن الحقيقة .

— مرحبا .. ياهربا .. أردت للحقيقة .. وها هي أمامك .

— تقصد بها هذه البقرات المصنوعة من الصلصال .

— نعم .. حقيقة التاريخ والحضارة .. أيام تخط تعقبها لغرات  
أزدهار .

— لكن كيف تاكل المجاف السممان ؟

— عنسما يأتي التحظ .. فلا يصبح أمام الناس من وسيلة  
الا استنزاف ما ادخروه في أيام للرخاء .

— ولماذا سبعا .. لماذا لا تكون ثمانية .

— سبع سموات .. سبع ألوان .. سبع طبقات واستك !!

ضحكت .. قلت في دهشة .

— حتى الاعلانات تعزنها !!

- بدأت استريح لصحبته .. لنكتبه .. قلت له في مودة ؟
- هل تعلم ياسيدى أنهم أطلقوا اسمك على اندر الفواكهة واحلاما
- قال مبتسما كما للوردة عندما تفتح أوراقها :
- احقا يا تقول ؟
- ولكن ليست في ملاحظتك .
- صدقت فما أن ترائى فتاة أو امرأة حتى تتغلبها حالة من الهوس
- الجنسى والتوهم العلى .
- رغبة منها في تذوق اليوسفى .
- انظر الى كل هاته النسوة أنهم يطلبون سهولهن بنظرة أو حتى
- أشارة .. دون جوى .
- التقل صنعنه .. لكن ماحدث مع امرأة العزيز لا يتفق مع هذا
- الدلال والتحلل .
- الحب يصنع المعجزات .
- احبك .. وظلمتك .
- حبا جارما .. وظلما كبيرا .
- وأنت ؟
- الحب لم يهرمه دين أو شريعة .
- أحكى لنا كيف اخطيت وهمت بها ثم كيف جاك البرهان فتركته
- على نار « تفرمش » .
- هذا اتهام ظالم .
- رموز أخرى .. لقد زهدت الحديث عنها .
- مثل هذا الاتهام يصممنى فى رجولتى فكيف أكون فى سرير مع
- امراة جميلة منتشية تعشتنى .. وأهم بها ... وتهم بى ثم أتركها هاربا .
- نقصد أن القصة لا تستقيم مع الواقع .
- بل قصد بها تشويه سمعتى وأظهاري بمظهر الضعيف جنسيا .

— اذا كنا منصفين أنك لم تختلئ بها .. وأنت لم تهمل .. فما  
أساس تلك الرواية .

— بنیان بلا أساس ليس له وجود .. فكيف تبني بيتا دعائمه  
في الهواء .

— نتصد دعائمه في الوهم .

— صدقت .

— ومع أنكراك هذا فقد دمست لأخوتك مكیال الذهب واتهمت  
زورا بالسرقه .

— يا حفيدي .. ماذا تعتقدون في الأنبياء .. أنهم بشر يخطئون ..  
ويطلبون المغفرة ويذرفون للدمع ندما وحسرة . منهم من عصى ربه .. ومنهم  
من قتل نفسا بغير حق .. ومنهم من استعبد الناس .. وقتل الآلاف ..  
وشرد المئات .. واتهم زورا .. أنهم غير معصومين .  
— كم تمجنني صراحتك .

— المشكلة أن تقدسكم لنا وصل الى حد التآليه .. وضعت  
الأنبياء في بروج عليهم .. لا يندسها الشر ولا تمسها الفرائض . خولتم  
الأنبياء من بشر نلى آلهه او انصافها معصومة عن الخطا لا يستطيع أحد  
أن يتناول أخطائها .. او يشبهه كمال سيرتها تجدون الأخطاء وسرعان  
ما تصنعوا لها المبررات .. للقاتل براءة رغم أنه قتل .. العاصي لا يعاقب  
رغم أنه ارتكب معصية .. مع أننا نملك ما تملكون من غرائز .. من حب  
البقاء للملك .. للجنس .. كل الفرائض نشارك البشر فيها .. لكنكم  
تصرون على وضع الأنبياء داخل اطار صاقي لا يستطيع أحد لمسها او اختي  
الاقتراب منه .

— أنهم رجال الدين .

— تتصد بهم مؤلفه الذين يرتدون للقتسوه السوداء والثوب  
الأحمر .

- بلى .
- وهؤلاء ألا يملكون العقل ؟
- العقل مطلق .. مقتل على كثير من الخرافات .. بلت ممها
- الحقيقة نقطة صغيرة في بحار الوهم .
- تنصّد بالوهم سير الأنبياء .
- ما تعارف عليه للناس ليس سوى مجموعة من التهويمات لا تصلح
- لبناء حضارة نأين الحقيقة ؟
- سمعت من يتحدث عن الوجود المطلق .. والحقيقي .
- زفني علما ياسيدى .
- للوجود المطلق يبقى غير معلوم .. مبهم طالما لا تؤيده حقيقة ..
- ماذا حدث تحول لى وجود حقيقي ..
- قلت زاعقا ؟
- آخر اختراع لكشف حقيقة الأنبياء .

## - ١٧ -

خروف ناصع البياض .. لا مثيل له .. في أذنيه قرع ذهبي .. حول عنقه  
خبل علق عليه سبيكة ( ماشاء الله ) من الذهب الخالص .. وبأرجله خلاخيل  
من الفضة .. يسير بها وسط الحيوانات .. يبصق عليهم .. يبول على  
رأس كل من يعترض طريقه .. يتهدى في مشيته .. والحيوانات  
تصدده .. تنظر اليه في حيرة .. فهو الخروف المقدس الذى ضحى بالثمن  
للغالى ( جسده المكتر ) عندما سيق للذبح .. الحوت ( يبلوط ) في الماء تنظر اليه  
الحيوانات شذرا .. أنه هو الآخر ملك الماء بلا منازع .. فقد حمل يونس أياها  
وليالى في معدة تطحن للألظ دون أن تؤذيه بل أوقف كل عمليات الهضم وأرسل  
اليه نائمة من للهواء يتنفس بها داخل سجنه المظلم .. ليام وليالى بات  
يفترش تسيح معدته الاسفنجى .. ينام على وسادة مائلة من الأسماك

والأصداف واللكلئ حتى تم الامراج عنه .. أنه هو الآخر يهز ذيله الضخم  
الأسود تيهيا وغرورا .. يقول للخروف كلها كثيرا .. أنت أنتخذت الابن  
المعزة وأنا حملت النبی داخل بطنی .. أياها وليالي وهنا على وهن .. فما  
احرائی بالتفويج على مملكة الحيوان .. وهذه النملة هي الأخرى تتراقص  
بفكيها ووسطها للرقيق وقد دارت عورتها من العيون المقصصة ترتدى بذلة  
رقص صنعت خصيصا لها في مصانع الحاج سليمان .. لا يظهر منها غير  
الرأس والعينان .. أما الأطراف والبطن والأرداف فحرام أن تزفها العيون  
وان تلبسها الأيادي فهي من المحرمات ... وجزاء مرتكبها النار خالدا فيها  
لبدا .. وأبدا هذه تعنى مدة طويلة جدا .. جدا .. لا نهاية لها ..

وقفت النملة « ترحب » بأعلى صوتها لهذا الخروف « يادهوني ..  
يادهوني .. حظ ايده على سوعتي » !! قالت ذلك وضربت على صدرها تأوهت  
من وقع الضربة « إي » ثم عادت ترقص .. وتغنى .. أنها الأغنية التي  
كانت تغنيها أمام الحاج سليمان .. الوخيد الذي كان يفهم لغتها وهي تبشئ  
في الأرض مرحا .. تخرقتها .. تكاد أن تبلغ الجبال طولا .. لأنها هي  
الأخرى فهمت لغة الحاج سليمان .. وهو يتقدم بحذائه للضخم وحذرت  
عشائرها من النمل أن يعتمد عن طريقه حتى لا تدوسها الأقدام المتوحشة ..  
وسمعا سليمان .. فابتسم ابتسامة .. مجرد ابتسامة .. زلزلت الأرض  
بعدها زلزالها .. واتدعت يراكيها .. فما بالك لو ضحك .. اكيد أن  
القيامة ستقوم قيامتها .. لو عن له وغامر وضحك .. قنبلة نووية  
سليمانية .. ضحكانية !! للنملة مازالت ترقص وحولها الحيوانات  
المقدسة يصفقن ويطربن على أنغام خلاخيل الخروف وتصفيق ذيل الحوت في  
الماء .. ونباح مبروك كلب الكهف .. الكلب الذي راح في النوم بمقدرة قادر  
بلا ذنب ولا جريده .. ثلاث قرون من الزمان وهو في غيبوبة النوم وعندما  
استيقظ .. وجد الحال غير الحال .. الكلبة « لاكي » التي كلن يحبها ويمسقتها  
ويطئها دون بلأى للكلاب ماتت بالذبحة الصدرية .. ذهب اليها حيث دفنت  
وكان حزنه عاصفا شديدا .. لا لأنها دفنت ( سكي تي ) بلا زيطه أو صوان  
أو مرقى على روحها الطاهر .. أبدا بل لأنهم لم يضحوا لاقته على قبرها

توضح عمرها .. وسنة موتها .. وسبب وموتها .. بات تلك الليلة  
مهوياً حزينا وهو بجوارها لا يفارقها .. وعندما قرصه البرد أخذ ينيش  
الأرض .. وصدم عندما هز جثتها .. سمعها تتأوه وتقول :

— اتركى .. لأننا مازلت أحلم بحبيبي الذى هجرنى ..

وفتحت عينيها .. لتجد أمامها حبيبها للكل مبروك . عجباً للسماء ..  
وللأرض .. وللواء ثلاثمائة عام تستيقظ بعده الهوام لتدب فيها الحياة !!  
والآن هذا « مبروك » وخلفه « لاي » يصنفون للفلة بكل مألديهم من ارادة  
للحياة .. وللكل يصفق ويغنى ماعدا ذلك الهدم المنطوى الذى وشى بملكه  
سبا .. أنه حزين منذ هذا اليوم .. فمئذ لتلك الأول معها .. وترحبها به  
وهدهتها له وهو واقف على فخذيها الطرى ممينا النفس أن تستعقبه في  
ضياقتها خاصة بعد أن كشفت له عن جمالها للبض اللتان وهى تدمر من  
ثيابها في مخدع نومها مع عشيقها الذى نقره في مقعته للمارية نهب فزعا  
يسمى للخارج .. يصرخ مثالاً والدم يسيل منه :

— مؤخرتى .. مؤخرتى .

لقد ندم أشد الندم أنه وشى بها .. وهو الآن فوق غصن شجرة  
يغنى أغنيته الحزينة .. « كان مالى ومالها وقعت في خبها وجمالها »  
ويذرف دموعه في نهر الندم . نجاة أنشقت الأرض عن رجل طويل .. عريض  
التكبين .. قوى اللبنيان ، فوق كتفه الأيمن صقر .. وعلى كتفه الأيسر  
بومة .. وفوق رموشه ،قف حداة .. تزلزلت على الأرض وهو يهشنى  
كما يهش خبابة خلفه .. لا ادري رجالان أم وحشان .. أم عملاقان ..  
تقدما نحوى حملاتى سألته أحدهما ؟

— هل تسقطه في الفضاء يامولانا .

صرخت :

— لا .. لا .. ياسيدى فقد دخلت بجواز مرور معتمد من ادارة جنتكم  
الموقرة لتسمعونى .

— اجابنى :

— لكن ألا تعرف أن هذه الحقيقة مقدسة أمثلة حيواناتها  
وانك ارتكبت انما كبيرا بخولها دون اننى .

قلت وأنا أقدم له المستند :

— ما هو ياسيدى .. وعليه خاتم النسر الذى تملكونه .

— آه .. آه تذكرت .. اجلس آفن واسترح .

— كيف .. وقد أفزعنى .

ضحك .. محدث راحة يدى الى فمه .. اظفقه .. قلت :

— كفى .. اتريدها زلزالا .

سكت .. اجلسنى بجواره .. سألته وأنا ارى ورائى نفس

الوحشيان :

— هذان للشيطان .. ماذا يفعلان .

— حارساى .. الجن الاحمر ( زغبوط ) والجن الأزرق ( عطوط )

لا تطلقى غائت فى امان معهما .

— لشكرك .

— انظر لهذه الحيوانات .. لقد دبرت لثورة كانت تهدم مملكتى ..

ولكن ( زغبوط ) و ( عطوط ) اجهضا الثورة فى بدايتها .

— أيضا فى غمضة عين وانتباهتها .

— ما زلت تذكر .. كانت اياما عظيمة .. ما بقى منها سوى

اطلال .. كل هذه يا ابنى اطلال المظلمة والسلطان .

— ايضايفك لو أخبرتك اننى لم اصدق قصتك .

انخفض .. انقرش وجهه يمينيه زعق .. ( لماذا كلهم يزعمون هكذا )

— أى قصة تعنى .. أن قصصى كثيرة .

— حديثك مع النملة .. وحديث النملة معك اذا صدقت أن لديك

قدرة على فهم أصوات الحيوانات .. فهل مثل هذه القدرة يملكها الأهل ؟

أشار لى زغبوط وعطوط .. اتخيا اليه .. همس لهما .. خذت أن



ينقلنى سوء احتوائى للصمت .. واذا به يقول :

— اكمل .. اكمل .

قلت ومازال للرعب يسيطر على وجدائى :

— ليس قبل أن تؤمنى على حياتى .

عادت الثلاث رؤوس تقترب ثم تنفرج تبع ذلك صوته الجهورى :

— لك الأمان .

— لقد اذهلت العلماء .. ودوخت، العياقره بخيالك الدافق وجعلت

للعلم أمامك قزما صغيرا بعد أن نقلت عرش الملكة بأسرع من الضوء ..

لكيف بالوسيلة ١٩ أم أنها حوادث كلك التى سمعتها عن أمنا الغولة ..

والجنية ذى الشعور الخضراء التى تذهب بحبيبتها الى ملكتها فى قاع البحر

تلقمه الثدى الخيالى .. أم فارس بنى أوهم الذى يقرز رحمة الأسطوري فى

بطن التنين الموغل فى الاسوداد لينزف حيا أسودا !! ران للصمت .. واذا

به يقول :

— اكمل .. اكمل .

— وجنودك من الجن أين كانوا يقطنون .. هل كانوا مع جنودك من

الانس ( سوا — سوا ) أم فى مكان آخر تناديهم فيلبسون .. تطلبهم

ليسجنون .

اقتربت رؤوس الثلاثة .. بعدما رأيت أربع سواعد عملاقة تحملنى

الى أعلى وأنا أصرخ ..

— لقد امتننى على حياتى .. أين اليهود .. أين الوثائق .

وجدت نفسى ملترسسا الأرض ملتحقا الفضاء مصابيا بارئجاج  
فى المنح .. وكسر فى عظام الساعد الايمن .. يمالجنى رجل وخط الشيب  
راسه .. يسالنى بعد أن وضع جبيرة على ساعدى .  
— من أنت ولماذا تفعل ؟

— انا المستقبل كنت أريد للتحدث مع الماضى .  
— لماذا ؟

— لاصرعه قبل أن يصرع الملايين .  
— لماذا ؟

أجبت قائلا :  
— الخرافات ياسيدنا .  
— لماذا ؟

كأنه علق على ( لماذا ) هذه سألته أنا الآخر :  
— لماذا ماذا ؟  
أجابنى :

— لماذا تحارب للخرافات ؟ .  
— أنها آفة الآفات .. علينا أن ننخلص من شرورها قبل فوات  
الأوان .. وغدر الزمان .

— أتركها فى حالها فهى الواحة التى يجد فيها الإنسان حظه الذى  
يترقبه كل ليلة قبل نومه .. يرى من خلاله الشجاعة والادام .. القوة  
والقراية والخيال .. فما أجمل الخيال وما أحوجنا اليه .. به تتفتح المشاعر ..  
وتستيقظ الأحاسيس .. تستمتع معه بكل ما تلقته من مساواة وحرية ..  
وعدالة .. ترضى بما كتب عليك .. للحكم الظالم .. والرزق اليسير ..  
يصبح معها للصراحة مرض وللجراحة غيباء .. تعيش فى جنة خيالية تمتاز عليها

بين انقراض العقل .. واطلال العلم وسحابة الغموض والأحيرة فماترك هذه  
الخرافات لحال سبيلها .. تمضى الى غايتها تخفف آلام الفقراء ترفع عنهم  
معاناتهم .. تدعمهم بالراحة بعد العناء بالجنة بعد للفناء :

— أريدها جنة حقيقية .

— يكفى أن يحلم للناس بها .

قال ذلك .. بعدها ران الصمت .. عاد يحرق في وجهي يسألنى :

— لكن من أنت ؟

— أنا زائر .

— أخشى أن تكون مثل هذا المجنون الذى شؤيناه على السيخ

منذ اسبوع .. هلعت .. أخذتني لجة الشك .. أين أنا ومن هؤلاء ..

ابدا .. ليسوا الأنبياء .. بذات استرجع حديثي معهم .. لديهم القدرة

على التلاعب باللفظ .. لسألتهم يقطر عسلا أشهى من بول ملكات النحل ..

ولكن مطوماتهم عن أنفسهم استقوها من الكتب الصفراء .. ابدا ليسوا

الأنبياء .. العبارة الأخيرة تدق على عقلى .. « مجنون شؤيناه على سيخ »

ليس ببعيد أن يفعلوا بى مثله احترت .. هل أكمل مسيرتى أم أعود من

حيث أتيت .. انهالت على الذكريات ..

— مستشفى للأمراض العقلية .. ونزلاء .. ومجموعة من الخبراء

والمختصين يسألون واحد من النزلاء لى لا يقرأ ولا يكتب .. السؤال تلو

الآخر .. عمليات حسابية معقدة .. جمع وطرح وقسمة وضرب .. عمليات

يعرفون نتائجها مقدماً .. لم يخطئوا النزلاء فى عملية واحدة يوماً آدمى أن

انشتين حل فى جسده .. جسد عبد السميع العليق وآخر ادعى أنه نابليون

لجانياته صحيحة .. سلبية حتى فى أدق أسرار .. نابليون فى مخدعه ..

مع عشيقاته .. يتحدث الفرنسية بطلاقة رغم أنه لم يتعلم حرفاً

منها .. ولم يدخل مدرسة والأغرب من هذا ذلك الذى ادعى أنه تقمص روح

المسيح .. يشفى المرضى .. ويعالج باللمس لعل ما إراه الآن ليس سوى

تكرار لما اتذكره .. سراديب من الشك أسير فيه وحدى .. شماع من نور

يضى، ظلمته الكثيفة سرعان ما تنطفأ شعلته .. وأنا أسأل الرجل عن مصدر هذا الإنسان الذى شوى على النار أجابنى ضاحكا :

— كان وليمة شهيبة .

فى تلك اللحظة تررت للعودة .. الا أنه جَذبني من يدي بِقَسوة تبتَم :

— الا تريد أن ترى خروفي المقدس .

— لقد رأيته منذ لحظات .

— ما رأيته هو النيجلتيف أيا للحيثي هنا عندى احتفظ به فى

كوكبي .. اعطني به .. اسقيه من ماء للورد .. ارعاه .. واحنى عليه .

قلت له :

— لكننى أريد للعودة لكوكبي حتى لا تلتق على عشييتى .

— هنا لا يطلق أحد على أحد .. سـيرتـة .. داعبني هذا

الهاتف .. وبدأ يؤرقني .. ماذا لو رشتوني فى السبخ وشوونى تبعته الى

لكوكج .. رأيته .. خروف عجوز وعنت عظامه .. وتكسرت أسنانه .

« ملما » فور أن رأيى .. والرجل يطلق :

— لقد سر برؤيتك .. أنه يرحب بك .

داخلي يحدثنى دون أن استطيع الانصاح « أنت الآخر تعرف لغة

الحيوانات .. « هاست » لكنه حديث لم يخرج من حلقى .. أخرجت علبة

سجائري أخذت واحدة .. أعطيت له أخرى .. سألته :

— هل بضيفتك أن أعمر سيجارة فى تواجم حضرتكم المقدسة

اشتم السيجارة .. قضمها .. بلعها .

صرخت :

— سيدى أنها ليست للأكل ولكنها للتخمين ..

— وكيف تخمنها ؟

— هكذا .

اشعلت السيجارة بدأت أدمخ وهو مندهش كيف تتحول السيجارة من

الحالة الصلبة الى الحالة الغازية فى صورة دخان يصعد من « النخاشيشى »

أعطيه إياها .. قلت :

— نحن .

جنب نفسا عميقا .. بدأ يسعل .. لكنها استهوتة قال في خصم :

— سأطلب فوراً من أمين المخازن أن يدرج هذا الصنف في ميزانية

المعلم القادم .. ماذا تسميه . فليكن اسمه من الروم سرائر .

مرت فترة صمت قصيرة خلقتها دهرا .. قلت بعدها :

— هل يلائن لى سيدى بالانصراف .

— ليس قيل أن أسألك .

— عن ماذا ؟

— العلم .

— أى علم تعنى .

أنه يستدرجنى .. يريد أن يوقع بى .. على أن أهاضه ..

أسايره .. حتى لا أقع في الشرك .

أجابنى :

— العلم إياه .

— آه .. كنت أن تخبئ ابنك لولا الخوف الملائكى .

— وما رأيك .

احتوت .. ماذا يمكن أن أقول له .. هل أنكر القصة .. فيقضى على

القضاء المبرم لم اعترف بصحتها .. وأنا لا أعرف موقفه منها أجبتة وأنا

أحاول أن أمسك العصا من نصفيها :

— الله أمرك بارتكاب معصية عندما أمرك بخبئ ابنك .

— حقا .. كيف قلت على ذلك .

— ومن أجل سبب غامض غير مفهوم .

— وهل اختبار الله لطاعة رسله والاستيثاق من إيمانهم سبب

غلب غير مفهوم .

— إذا تعارض مع كماله وتنزهه .

— كيف ؟

— هل يمكن للكمال أن يأمر أحد أتباعه بارتكاب جريمة لا يخطف حول تجريمها اثنان بدلا من انتهى عنها .. فضلا عن هذا .. التناثر الحاد بين الالتزام والالتزام .. فالالتزام لا بد وأن يترتب عليه للالتزام .. فالالتزام الإنسان بالامتناع عن معصية يسوتجب معها الالتزام الأمر بعدم الاتيان بها .. لانها امران يرتبطان ببعضهما وجودا وعدما .. والخروج عن هذا يعنى الفوضى ليس فى علاقات للكون بل فى علاقات الانسان بأخيه الانسان .. حاكما كان او محكوما .. بل هو اشارة خضراء للحاكم الذى يلزم المحكوم بقانون أن يخالف هو نص هذا للقانون ضاربا عرض الحائط بالالتزامه .. لأن الزام الحاكم المحكومين بقانون ما يستلزم بالضرورة للزام الحاكم به .. ماذا خرج منه يُعتبر خروجه .. انتهاك للالتزام .. وبالتالي إنهاء لعقد الالتزام والالتزام الذى يربط بينهما .. وسقوطه حقه فى البقاء حاكما ..

قال الرجل بحماس دافق :

— ليس هذا محسب .

سألت فى دهشة .

— ماذا قلت ؟

— دعنى اكمل .

— على العين والراس .. تفضل .

— يا ابنى أن الموضوع كله لم يتجاوز نطاق الأحلام .. ولكن الناس هم الذين نقلوا هذا الحلم من جعبة الخيال الى دائرة الحقيقة .. وتداولوه .. حتى أصبح احدى حقائق الكتب .. وهذا ما يحزننى فالسماء لا تمطر خرافا .. ومن المستحيل أن يقوم الأب بذبح ابنه لمجرد حلم ارتآه الا أن يصمه للناس بالجنون .. ثم ماذا تضيف تلك الرواية اذا آمننا بها كحقيقة .. الله يطلب من انسان ارتكاب معصية .. ويشرع هذا الانسان فى تنفيذهما طوعا لاثبات ايمانه .. وابنه لا يعترض على رغبة أبيه .. رغم

انف قاعدة جوهرية أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق حتى ولو كان هذا المخلوق أبواه .. مثل هذه الرواية تحمل كل مقومات أمراض الفكر المختلف ولم تكن سوى حلم .. حلم أثنى وسرته على الناس لتطوعوا ليجملو منه حقيقة في الاذهان .. ماذهنبى .

— وهذا الخروف الذى تحتفظ به فى كوخك .

— فكرى تعنيت أن اذبحه بسا لتسيل دماء الوهم على ارض الحقيقة ..

— ولماذا لم تفعل ؟؟

— الكهنة .. الكهنة .

- ١٩ -

هل هؤلاء هم حقا أنبياء الأديان بعد أن بحثوا ١١٩ عت استدرج أفكارى الى الحقيقة .. الى النقاط المضيئة من جديد .. دون جنوى .. واذا بى أعلم رجل ضخم الجثة .. أعطت فيه للنظر من أسفل الى أعلى .. صعدت اليه بنظراتى .. بجعد للشعر أشعث أغبر .. عينان أمدج فى حديقتهما الفصية لون الدم .. والنار .. أخفى على غره .. وهو يتقهقه .. متجها نحوى يهش براحة يده فوق كنسى .. صوته نقيق ضفدع :

— أهلا .. وسهلا .

— لا أهلا .. ولا سهلا

سألقى :

— ضقت بجننتنا .

— بل ضقت بكم .

— وقاحة غريبة لا تجدما الا فى الغربة .

— دعنى وشائى .

— حططت علينا كالطائر الجارح .

— ماذا تعنى بكلماتك ؟

— علينا ندف ريشك قبل أن تخطف الكتاكيت وتطو بها في الفضاء .

— أى كتاكيت وأى ريش ؟

أخذ يدور حولي .. يرتقص .. يفنى وهو يشير على اشارات مبهمه  
« الحداة .. للكتاكيت تبكى .. انتقوا للریش » صيحات الرجل تنوالى في  
غناء رديء .. خفا ان لأنكر الأصوات لصوت الحمير .. بعدها بلحظات  
كثت تحيطني شرفة من الرجال يرتقصون حولي .. يزعمون .. يرددون  
نفس الكلمات .. زعيمهم يرتدى قلنسوة سوداء .. ورداء أحمر .. يتقدم  
نحوي يتحسس عجزى .. جسدى .. يتمتم :

— جسده طرى كجسد النساء .

ثم يستلمود قائلا :

— وقعت في الفخ يابن الثنية .

أنهم يرتقصون حولي كما يرتقص أكلة لحوم البشر .. مجموعة من  
المجنين .. جنة مجائين .. مهاويس .. رفع زعيمهم عصا في للهواء ثم أخذ  
يردل كلمات منظومة غير مفهومة وهو يهزها بنفث وانفعال بعدما انقضى  
على رجلان زنة الواحد منهما هنا !! الأيادى تحاصرني تشجع ثوبى ..  
تحملني عاريا الى ساحة كبيرة .. حولي المجائين يتغنون « الحداة ..  
الكتاكيت تبكى .. انتقوا » للریش » جموع من الهمج تلثم في دائرة ضيقة  
حولى .. والخاطر يتمكن منى وزعيمهم يزعم :

— أوتسحوا النيران .

النار ترتفع المستنقعا .. يسكبون الزيت فوق جسدى .. الخاطر  
يمكن منى أكثر وأكثر وزعيمهم يطن :

— جهزوا السيخ .

أين مناع .. هل تبخر .. أين اتباعى .. زعقت .. لا أحد يسمنى  
يريد أن يسمنى .. صخب .. تتخلله كلمات السخرية والأزدراء أين  
الهاتف .. قدراتى .. معجزاتى .. لقد تبخرت هى الأخرى .. كم أود أن  
أحولهم الى فردة .. أن أذبحهم .. ولكنى لا أفسد .. أستطيع .. هباءا  
منثورا .. ما أفكر فيه .. لماذا !! قلتها مرات ومرات دون أن أجد أجابة ..



إن هؤلاء القوم لا يؤمنون بى صيحات الاستنكار والسخرية والازدراء وأنا  
لمسيح فيهم :

— هل خبلتم .. ألا تعرفون مولاكم ورب نعمتكم .  
لا فائدة .. لا جدوى .. وأحدهم يأتى بـسيخ ضخم .. يتقدم نحوى  
وزعيم القوم يصدر أوامره :

— هيا لنرشقه من جبره ليصل الى لمة .  
قلت فى سذاجة وبلاهة :  
— ولكنه سيخ ضخم .  
زعيم القوم يقترب منى .. يقول فى سخرية :  
— لن نثمر بشيء .. مجرد وخزة بسيطة يغوص السيخ بعدها  
فى أحشائك .

فى تلك اللحظة وانتنى قوى خارقة .. أنها قوى الخلاص من الشر ..  
كنت فى داخلها أشبه بمصفور تمضغه أتياب ذئب .. بنار مذعور يلفظ  
أنفاسه الأخيرة بين برائن تط .. رغم هذا الضعف .. وهذا اليأس فقد  
كنت أشعر أننى أملك العلم كله .. أملك كل هؤلاء الناس أستطيع أن  
أعلو بهم فوق أقدارهم .. بدأت ارتجف وزعيم القوم يقترب بالسيخ  
منى .. وكلماته كلها سخرية :  
— حانت لحظتك .

فى لحظات كنت أحتويه داخل قوتى .. أصبح أمامى شيئاً من الأشياء  
أسيره كما أشبه .. نظرت إليه .. أحسست أن إرادته تخور كلباً مستسلماً  
أهركه بطوق فى رقبتة .. على أن أهبم بشراسة .. بقوة .. قلت له  
مثلاً :

— ماذا تنسوى ؟!  
— ألا ترى هذا السيخ .. سأمزق به أحشائك .  
— أى سيخ ؟!  
دهش الرجل وهو يجيبنى :  
— هذا الذى فى يدي !!

— ما ملك ليس سوى شعبان ضخم !!

تردد الرجل قليلا .. وهو ينظر الى السيخ .. فجأة تخف به وصرخ :

— الشعبان .. الشعبان .. اتقذوني .. اتقذوني .

للزعيم يتلوى .. يحاول انقاذ نفسه من قوى مجهولة .. لقد تحول  
السيخ الى شعبان ضخم يحيط برقبة .. الناس تنظر اليه في دهشة .. لقد  
خبل زعيمهم .. أنه يستجد :

— اتقذوني .. اتقذوني .. للشعبان يعصرني .

اتقرب مني .. سجد .. قبل قدمي .. ابتل .. خلع قلنسوته  
السوادة .. غر رأسه بالتراب .. صرخ :

— اتقذني يامولاي .. اتقذني فأنا لست سوى عبدك الذليل .

للناس دهوش .. ماموش .. لا يفهمون مغزى ما يحدث .. ولكنهما  
للحقيقة مارآهما زعيمهم . للسيخ يتحول الى شعبان يحاول قتله . حل  
الصمت .. علا الوجوه الوجوم .. للتسلؤل .. وأنا أسأله :

— ماذا تظن أني فاعل بك ؟

— مولاي ورب نعمتي .

— اذهب فأنت طليق .

للصمت من جديد يطبق على الساحة .. لا تسمع فيها سوى همهمة  
الحيوانات المقدسة .. النار تخبو .. قلت ولادهشة تحوى الجميع :

— اسلموا للثيران .

استطردت بعدها قائلا :

— عليكم بالحيوانات المقدسة .. تخيروا منها ما شئتم .. ارسلوها  
الى النار .. اكلا شهيا للقاطنين .. فالיום هو عيد الضحية الأكبر ..  
عيد الانقاذ .

تعالت الهتافات .. للصراخات .. وأنا استطرد قائلا :

وهذا الوادي المقدس الذي حرم على الناس أن يطئوه .. واستأثر  
فيه الخاصة بالنعم والخيرات .. واستمتعوا فيه بكل « البفاشة »  
و « البقلاوة » !! من اليوم يصبح مشاعا للجميع .. ملك لكل شعبي من

أقصى الأرض ومغاربها .. بكل ما فيه من متع طعاما كان أو شرايا امرأة  
أو ولانا لا فرق بين الخاصة والعامة .. لكل سواء . صرخات التأييد ..  
عبارات الثناء .. صلاة شكر طويلة .. تعالت فيها كلبت المساواة ..  
الحق .. العدالة .

## - ٢٠ -

شردت أفكارى .. ذلك المعبود الذى يتواند عليه الناس مرادى  
وجاعات .. يطوفون حوله .. يتزاحمون ليقبلوا جدراته .. يبهقون فى  
وجه الشيطان .. يصرخون طالبين المغفرة .. أنهم يتالمون بلا دموع ..  
بلا مشاعر ألم الحيوان .. عذاب القرود .. رجال الدين يرتدون للرداء  
الأحمر والقلنسوة السوداء .. يطوفون معهم يصرخون صرخات الألم  
والعذاب .. يتطوحن .. يترنحون فى سكرة .. كسكرة الموت .. وفى  
داخل المعبد حيث تمتد سلحته آلاف الأمتار .. يتسكعون .. يتجالسون ..  
يعاقرون للخمر يأتون النساء والأطفال .. يمرحبون أتبها الجنة .. كل شيء  
مباح .. سألت مناع للشكوك تزاحم على :

— الى متى يا مناع هذه الطقوس ؟

رد على فى ربيعة :

— سبع أيام وسبع ليالى .

— لماذا يا مناع ؟

— التقديس يا مولاي عنجما يجتمعان .

— تنصد الحب والكراهية .

— نعم يا مولاي .. النور والاضلام .. سبع أيام وسبعة ليالى .

— ولماذا سبعا ؟

— الأرض خلقت فى سبع ويوسف حلم بمسبح والألوان سبع ..

والسموات سبع هذه مشيئته ..

التشوك ما زالت تراحم عقلى .. تقهره .. هل هذه هى الجنة  
حقا .. مجسوة من البلاء يقبلون الحلق .. يبعثون على الشيطان  
سالت مناع :

— أين هذا للشيطان يا مناع ؟

— مسجون فى قمعه .

— خذى اليه .

اتجه بى الى باب مولاي ضخم .. فتحة على مصراعيه لأجد أمامى  
فوق قاعدة من العقيق صندوق من الذهب صنع ببراعة .. وقد ملوئته  
للسلاسل والأصفاد .. ضحكى .. استطالت ضحكى .. دمت عيناى  
قلت بعد أن سكنت ضحكائى :

— فى هذا الصندوق يسكن الشيطان .

— هل تشك فى هذا يا مولاي ؟

— وتظنونه بلسلاسل خشية أن يهرب .

— تسخر من عقيدتنا التى أوحيت بها لنا .

— خرافة .. خرافة يا مناع .

— تنصد الشيطان !

قلت له فى خضم :

— أتنى ببطلنة .

حملت البطلنة الى قمم للشيطان .. رفعتها فى الهواء .. صرخ مناع :

— لا تفعل يا مولاي .

توقفت وجسد مناع ينطرح على التمتع وأنا أحذره :

— أبعد يا مناع .

مناع يستجدى .. يقبل قهقى .. يتضرع :

— سيترحل للشيطان من سجنه الى عقول الناس يوسوس لهم .

دفعت بكل قوتى صرخت وأنا أشق الهواء بالبطلنة أصوى بها

على التمتع :

— لن نجد فيه سوى الهواء العفن .

الجموع التى صممت منذ دقائق وهى تسمع حوارى مع مناع ..  
تجرى مذعورة .. تصرخ :

— الشيطان .. الشيطان .

توجست خيفة خامرنى الشك للحظة قصيرة فى جدوى ما انطه .. فى  
حقيقة هذا الشيطان .. ترددت قبل أن أهوى بالضربة التالية .. حسمت  
ترددى وأنا أهشم للصندوق الى شظايا صغيرة .. وصيحتى تسبقنى :  
— انظروا ملجأه .

ايقونة وخرقة باليه خيطة جيدا بذاتها بقايا قضيب رجل متهرى .

\*\*\*

حادثت مناع .. سألته عن الأرض المعونة للحت فى السؤال ..  
استمعى على .. أسواره محصنة بالرئض والاصرار اجابنى ؟  
— أنك تبحث عن الفناء يا مولائى .

— لماذا يا مناع ؟

— لأن الحقيقة تعنى الموت .

— وصفوة القوم الذين ارسلوا للضياع .. كيف نستردهم ؟  
لم يرد على .. نهض فجأة من مكانه .. اختفى .

- ٢١ -

زحام .. هتافات .. اصوات غاضبة متناثرة .. جماعة من النسوة  
يقتحم على القصر فى غضب جامح .. فرغت من نومى .. اسرعت خارج  
الحجرة .. مناع وقد علا وجهه الشحوب .. يحاول وقف التيار العاتى ..  
يصرخ فى فتاة جميلة :

— ما دهاك يا يسمينة !

النساء .. ساخطات .. شققن للثياب مبانث الصدور والنهود ..  
والبطون .. عبثا ما يفعلون يالسمينة تصرخ فى وجه مناع :

- خللى بنا المكان نرى مولانا .
- تقدمت نحوى .. تهمت :
- جئنا نستميز بك من الشيطان .
- أى شيطان ؟
- للرجل يا مولاي .
- ابتسمت .. غفمت :
- بات الرجل شيطاننا .
- ولسنا له سوى سقط الخاع .
- تناوشين القول .
- مولاي .. ما نصيب المرأة من الجنة .
- الكثير .
- بل أقل القليل .
- كيف وأنتم تشاركون للرجل فى كل المتع .
- مولاي .. للرجل أن يختار المرأة التى يشتهيها وله منها اثنتان
- وأريمون جارية .. أما المرأة فمسلوبة الإرادة والحقوق .. ليس عليها
- الا أن تقنع بامتاع الرجل والطاعة للمياه .. قلت بحسم :
- ملذا تريدن ؟
- العدل يا مولاي أن يكون للمرأة مثل ما للرجل .
- ضحكت .. استرايت يا سمينة .. وأنا أسألك :
- تريدن أن يكون للمرأة اثنتان وأريمون رجلا محظيا .
- تغامزت النسوة .. خبط مناع كفا على كف تعالت الهمسات
- وأحداهن تعقب :
- وماذا تفعل المرأة اذا رغبها كل هذا المجد فى ليلة واحدة ؟
- شهقت الثانية :
- يا وليناى كيف ولا تملك سوى تعذب واحد !!
- قالت باسمينة بخكاه :
- لئس هذا مقصدى يلبولاي .

- اوضحى .
- نعود الى قانون الأرض .. امرأة لكل رجل .
- ولماذا بعد ؟
- المطلب الثانى .
- نكلمى .
- الأمومة يامولاى .
- تقصدين المطلب الثانى .
- نريد ان نعود لطبيعتنا الأولى .. نحمل ونلد .
- تساطت فى دهشة :
- لكن الأمومة تمنى عودة العذاب .
- ولماذا تقول عن العمل .
- حلت فترة صمت قصيرة .. قبل أن تستطرد باسمينة قائلة :
- لم ننسى غرائزنا يامولاى .. نريد أطفالا نشقى بينهم ..
- نسعد معهم .
- لكن الا تعلمين أن الانجاب يعنى الموت .
- الأصوات تتعالى .. تتحد فى حزمة الاصرار :
- نريد الأمومة .. نريد الموت .
- تزاحمت للصراخات .. تداخلت الأهات :
- الموت .. الموت .
- قلت بضيق مكثوم :
- جنة قاطنوها مجانين وأنا لست سوى واحد منهم .

## — ٢٢ —

- البسطاوى متهم بالسرقة .. أول سرقة تحدث فى تاريخ الجنة ..
- اثانى مكبلا .. سألكه فى لبن :
- الا تعلم أن السرقة جريمة .
- ليس بعد للجوع شىء يامولاى .

- ولماذا لا تعمل حتى تاكل ؟
- وعدتنا بالجنة التي لا عمل فيها وأخلفت وعذك .
- كل ما أريده لكم هو الجنة الحقيقية .
- الناس راضون .. سعداء .. بجنتهم ؛
- رضاء مؤقت بالتخلف .. لأنهم لم يعرفوا الحضارة .. فإذا مارسوها لم يعد في استطاعتهم العودة الى قانون التخلف .
- دعمهم وشأنهم يامولاي فهم ياكلون ويشربون وينامون ويتمتعون بحتمهم الحسية ..
- من أجل هذا فقدتم الابتسامة .
- الابتسامة تعنى المذاب والعمل يعنى إلهذاب .. أرحل عنا ..
- نمئذ أن حلت حيارنا .. خلعت علينا للفوضى والخراب وودعنا سفينة السلام .
- ما تسميه للفوضى والخراب هو نتائج التحول .. هو آلام الوضع .
- لماذا .. وتطوف الجنة دائية .
- ضائق صدري بنقاشك .. فقد جئت للنينا متهما بالسرقة والامتناع عن العمل .
- للمتهم الحق في الدفاع عن نفسه .
- بماذا تدفع تهمةك .
- اتنى لم أخرق قانون الجنة .. فكل شيء فيها مباح .
- الاباحة مرتبطة بالعمل .. ومن يرفض العمل ليس مكلفه هنا .
- أى مكان أفضل من هذا الجحيم .
- اتنى لن أسجك .
- قال بسخرية :
- اذن فاقتلنى !!
- بل سأرسلك للأرض الموعنة .
- فى تلك اللحظة .. جثا على الأرض .. قبل قدمي عادت أنظاره



لفرشن وجهى .. أنه يرتجف ارتجافات الخوف .. يبتهل يستجدى :  
.. لا .. لا يملواى .. اننى امتثل لقانونك .



صحت الى سفين الخاطر .. بعد أن فككت عن بسطاولى قيوده  
وافرجت عنه .. كيف حوله الرعب من موقف العناد الى استسلام كامل ..  
ما هذه الأرض المعونة التى يرفض الجميع الحديث عنها .. لماذا يخشى  
الناس منها .. سفين الخاطر بلا ريبان بعيدة عن الشاطئ من بحر الامان ..  
تتلاعب بها الأمواج يظل مساعها الفوض .. تهب عليها أعاصير  
الفضول .. لا تجد من يتغذها .. يساعدها ليصل بها الى بر الحقيقة ..  
معى الأيقونة التى عثرت عليها فى صندوق الشيطان .. أطلامها على اعثر  
على أجابة شافية لما يعتمل داخل من أسئلة .. هذه الرسوم ماذا تعنى ؟ !  
الجعبة تعنى الموت .. المصباح يعنى المعرفة .. ولكن هذا الوجه الذى  
أراه مخلوقا بشاية ماذا تعنى وموزه أنه وجه قرد فى جسد انسان .. فهل  
هذا تنبؤ لمستقبل الانسان هل يستحول الانسان الى قرد ؟! وذلك النهر الى  
أين ينتهى .. أنه ينتهى الى الجعبة .. الى الموت .. هل الأرض المعونة  
هى نهاية هذا النهر ... وتلك الشمس التى تشع فوق صلحة المياه ..  
تحرقها كيف ؟! الأسئلة تحاصرني دون أن اعثر على أجابة شافية .. ولكن  
هناك فى هذا الوادى الملعون ينم للسر تحت قشرة من الفوض .. سر هؤلاء  
الناس .. سر وجودهم .. خطوهم .. كلهم يخشون الحديث عن هذا  
الوادى الملعون .. على أن اعثر على الحقيقة ..

حاول مناع أن يثني عن مزمى دون جدوى فقد قررت الرجوع ..  
أعدت كل شيء الطعام والماء .. ومعدات التسليح والحقن .. تدبعتني أرواح  
المعركة لتخطي هذا المجهول للجائهم على بعد أميال .. وفي فجر إحدى  
الأيام .. حملت أمتعتي فوق بغلين وبدأت رحلتي .. وقبل أن أصل إلى  
نهر الشيطان وجدت شجرا في انتظارى .. لم يكن سوى ياسمينة سألتها  
أجابتنى :

— أريد صحبتك !!

أصرت .. استسلمت لأصرارها .. بدأت معها مسيرة رحلة  
المجهول .. سألتني في فضول :

— إلى أين يا مولاي ؟

— إلى الحقيقة .

— الحقيقة لن تجدها .

— حتى إذا عجزت عن العثور عليها .. فهي تستحق المحاولة .

— مولاي .. أنك تبحث عن الحقيقة في أعماق اللوم ..



وصلنا مجرى الشيطان .. ثلاث أيام .. تواصل فيها لليل  
بالنهار .. مجرد سويكات قليلة نقضيتها في الراحة نعود بعدها إلى  
السير .. اقتربنا من دغل كثيف استطلعت المكان .. مستنقعات هائلة ..  
في عمق مياهها يحوم الخطر .. الثعابين والتماسيح عدت إلى مكاني .. رأيت  
ياسمينة تنفض .. تتململ « اللعنة .. اللعنة » على مقربة منها البغل  
« أرقم » يهتز اهتزازات الموت .. وعلى مسافة قريبة شعبان ضخم يتلوى  
مبتعدا عن المكان .. ريت على كتفها .. أخذت رأسها فوق صدرى ..

— لن نحتاجه بعد الآن فطريقنا الماء .

بدانا في صنع قارب بدائي .. بعض فروع اشجار ربطناها جيدا ..  
سفينة نوح .. قذفنا بها الى مجرى للشيطان فوق سطحها احملنا  
واجسادنا .. البغل « انشراح » ينظر لنا في عتاب لفراقنا له والموج  
يحملنا الى المجهول .. يومان والموج يلاطم للقارب .. اخرجت الايقونة ..  
ارتدعت ياسمينة نور رؤيتها صرخت !

— ايقونة الشيطان .

سألها :

— ماذا تعنى بكلماتك ؟

اجابنى :

— طريقها طريق الشيطان يامولاى .



احسست بالرغبة فى النوم .. رسوت بلقارب على الشاطئ ..  
ياسمينة تعد مكانا بجوارى .. وضعت جسدى .. رخت فى نوم عميق ..  
قمت من نومى مفزوعا .. صوت فية بخة ألم ورعب .. يردد ..  
« ملعون .. ملعون » فرشت بعينى المكان .. ياسمينة تنام بجوارى نوم  
اللائكة .. نهضت من مكائى ريت شبحا يجرى كأنه الشهب .. ترددت  
وأنا احول للحاق به .. أسرع، أعدو خلفه .. توقف عندما اقتربت منه  
عاد يقطى الرياح .. والسؤال الحائر .. ما هذا للشبح .. لماذا يدفعنى  
الى تعقبه ؟ صرخت بأعلى صوتى :  
— من أنت وماذا تريد منى ؟

ما سمعت سوى للصمت .. وهبسات الريح المخبونة .. الشكوك  
تسلورنى .. هل ما أراه حقيقة أم أنها خيالات .. اضغلت احلام .. ما هذا  
للشيء الذى أعدو خلفه .. انسان .. حيوان .. شبح .. طيف مجرد

سراب؟ وفى اللحظة التى قررت فيها للسودة .. اقترب الطيف منى ..  
ازداد اقترابا .. للتصاقا .. حاولت تبين ملامحه .. خطوت نحوه ..  
انتابنى الذعر ارتجفت .. وأنا أراه يرتفع فى الفضاء لسان من لهب يحرق  
فى طريقه الأشجار ..

بدأت اتحسس طريق السودة .. لقد ضللت الطريق .. درت  
دورتين .. عدت من حيث بدأت .. حل الظلم .. صرخت ..  
« ياسسينة .. ياسسينة » صدى الصوت يتردد .. لا أسمع سوى زفرة  
الريح .. حفيف أنفاس الكائنات قبل أن تغفو .. أحسست بالأعياء ..  
الحصى تجرئنى الى مؤرتها جسدى يشتمل خسارة .. رأسى تنفجر ..  
لم أستطع الوقوف .. تهاوى جسدى .. ارتطمت بالأرض غبت عن  
الوعى .. أفقت .. رأسى تتوسد فخذ ياسسينة .. نظرت إليها من خلال  
سحابة دلكة .. سألتها :

— كيف عثرت على ؟

تمنت .. لم أسمع كلمتها فقد رحبت من جديد فى غيبوبة .



اجتزت مرحلة الخطر .. بعد أيام كنا نمستقل القارب من جديد ..  
نوق موج مجرى الشيطان .. بدأنا نجف .. ياسسينة تسألنى ؟

— مولاي .. أن الإله لا يصيبهم علة .. ولا مكروه .

ضحكت .. استرابت .. وأنا أجيبها :

— إذا كانوا حقا آلهة يا رفيقنى .

رفت متسائلة والدهشة تعصرهما :

— قلت رفيقتك يا مولاي .

— مهلا يا يسسينة مأ تصدحت بك سودا .

— مولاي .. فذاك نفسى وحياتى .. أن تشربنى بكل هذا المقام الرفيع

لكيف للمابد أن يرتقى للمعبود . ضممتها الى .. رغبتيها .. قبلتها

استسلمت ليدى .. همست لى ؟

— خذ من أعماق البحر كتوزه .

قلت لها وأنا أعطي جسدها العارى :

— الاله لا يسقط على نفائس البشر .

القارب المتسكع يتحدد فوق صفحة المياه بسرعة مجنونة نحو شلال

هادر .. بدأت استجمع أراقتى .. خيوط أفكارى .. انه الموت .. وهذا

الشيء من جديد .. لسان اللهب على بعد أمتار يتراقص فوق الشلال ..

يجذبنا .. يشدنا .. سألت يا سمينة :

— هل ترينى .

أومات بالنفى .. صرخت :

— انتقنا يا مولاي قبل أن نضيع فى الأعماق .

لا أدرى هل هى الصفحة عندما تلعب دورا مهما فى حياة المخلوقات ..

أم أنها صرخة يا سمينة .. أم أنها أحد معجزاتى وفرس للنهر يحمل القارب

لوق جسده الضخم الى الشاطئ .. الى بر الامان .. ويأسمينة

تقبل تحمى :

— أحدى معجزات مولاي .. انتشيت .. سرى بداخلى اعتقاد أننى

هذا الاله .. ابتسمت ويأسمينة تستعرد قائللة :

— كم أحب مولاي .

كم هو رائع ذلك لأشلال نقاط من النضة تتصافق فوق مياه النهر

الزرقاء .. تتدبب فى بحيرة واسعة .. نهلية نهر الشيطان ١٠٠ الأرض أمامى

منبسطة .. شاسعة .. أين أذن هذه الأرض المعونة .. لاشيء سوى

السماء وهى تتطبق على الأرض .. وقول مناع مازال يتردد فى أعماقتى عندما

تصل اليها تنفقد اثرها .. كيف أصل لليها ثم أمقد اثرها ؟ بدأت أجول

الأرض .. ثلاث ليالى ونحن نتخبط فى أرجائها .. وصلنا جبل شامق ..

ياسمينة تصرخ :

— جبل للشهود .

بدأت أصعده .. أبهى اللون .. على قمة تتراكم كتل الجليد ..

اللياس ينشعب مخالبه وأنا أمطى القصة .. لأشء خلفها .. ككتبان رملية  
 تحيطها من كل جانب .. هبطت للجبل .. خطواتى حذرة فوق سطح الجبل  
 الأملس .. فجأة قفز الى دائرة رؤيتى ظلياً أبيضاً .. دهشت .. ازدبرت  
 ريقى .. لم ألق اللحم منذ أن حلت الأرض .. اقتربت من الظبي .. أو  
 اقترب منى .. لا أدري .. لم يجفل لرؤيتى سحبى للسكن من غده ..  
 ازدحت اقترباً منه .. للتصاقاً .. أمسكت برقبته هويت بالسكن عليه ..  
 رفع رأسه نحوى ذعرت فقد كان رأسه يحمل وجه أنسان .. حاولت  
 السيطرة على مشاعرى والظبي يخفى من أمامى .. يثوب فى شعاب  
 الجبل .. للحظات قصيرة تسمرت قدماى .. لم أستطيع للتقدم خطوة  
 واحدة .. أسأل نفسى .. هل ما رأيت حقيقة أم هو للصب والارفاق ..  
 مجرد خيالات .. لكن الظبي كان حقيقة لمستها .. وهذا السكين الذى  
 شهرته ومزال فى قبضة يدي حقيقة .. وتلك آثار حوافره فوق الصخور  
 الجيرية المساء أيضاً .. حقيقة .. أذن غلين هو للوم ١٩

عدت الى السفح .. ياسمينية فى انتظارى .. الشحوب والقلق ياميان  
 على ملامحى .. سألتنى .. لم أجبها فالله لا يشكى .. ولا يعترف بضعه  
 وقلة حيلته .. فى تلك الليلة بت أفكر .. أين تلك الأرض المعبونة ..  
 الأيقونة .. نعم الأيقونة .. بتلك البحيرة الصامدة التى يصب فيها النهر  
 وهذه الأصابع الممتدة لئى تقبض على شعاع الشمس الساطعة فوق  
 المياه .. ماذا تضى تلك الأصابع .. هذا الشعاع الساقط ٢٠

كيف يعجز الله عن تفسير سر أيقونة الشيطان .. لا يمكن أن  
 يكون مثل هذا العجز لاله .. غسقت بنفسى .. ياسمينية تواسينى ..  
 تخفف عني :

— مولاي لا تحل هما .

— ياسمينية أنها هوم للبحث عن الحقيقة .

استيقظت من نومي .. حاولت النهوض .. لم أستطع .. لم أقدر ..  
قبضات قوية غير مرئية تشل حركتي .. ساقى .. قدمي .. يدي ..  
توقني عن الحركة .. من التقدم .. وطئني في اذني .. لا تطأ تلك الأرض  
المعونة .. حاولت للتخلص من تلك القبضات القوية .. بلا جدوى ..  
اصفاد كبلت بها أطرافى .. صرخت صرخة مدوية :

— كيف تعملون هذا بآلهكم !!

انفكت القبضات .. ورياح عاتية تقتلع الأشجار .. أعقبها دوى  
هائل .. فرقة .. فرقعات .. الأرض تمديد .. تهتز .. تتشقق ..  
يا هذا .. ماذا أسمع !! صليل سيوف .. ضربات خناجر .. أزيز  
سهام .. قوى هائلة تخفي .. تحبيني أنها معركة بين قوى الخير  
والشر .. غير مرئية ولكني أحس بلهثات المحاربين .. بالحركة موج  
حولى .. بسنابك الخيل اعطيت ربوة .. صرخت :

— قاتلوهم .. انجحوهم .. هيا جنودى .. الموت للشياطين ..

احتدمت المعركة .. علت صرخات الموت وصوتى مازال يحدث ..  
ويشجع :

— تمقبو ملولهم .. لا تتركوا شيطاناً واحداً يفلت من عقابكم ..

بعدما هدأت الأصوات .. عم السكون .. احتوى المكان للصمت ..  
ياسينة تقف مشدوكة .. والسماء تنزف قطراتها .. لم تكن سوى  
قطرات دم !!

أنها نهاية المعركة .. والعين من جديد :

— مولاي .. نحن جنك المخلصين ..

احسست بنفثوة غريبة .. جند متخفى .. تفود منى .. تصون  
ذاتى .. ترفع رأيتى تستشهد من الجلى .. بات الكون ملكى .. تحت  
قدمى .. طوع اراحتى .. أسيره .. أحركه .. صرخت بأعلى صوتى :

— أنا الإله .. أنا الإله .

لن تستطع بعد اليوم أى قوة على الأرض مهما عظم شأنها أن تتحدى  
أرائتى أو تثال منى وتلك القوى الخفية تحمينى .. وهذه الجسود المؤلفة  
قلوبها على حبي تدافع عنى .. صرخت من جديد :

— الإله يناديكم .. انصتوا جيدا فلتخشع الكائنات .. وليمسجد  
الوجود .. للاله الأعظم . فى تلك اللحظة سمعت أنشودة شكر .. سيمفونية  
رائحة .. صوت الريح وهبقة الأشجار وزقزقة العصافير وهمس  
المجهول .. كلها فى حزمة صوتية واحدة .. خلعت على الكون ثوبا من  
الألقة .. من المحبة .. من السعادة .. تراقصت ألحان الأشجار ..  
سجنت للكائنات فى صلاة صالحة .. أنتجعت بانظاري لى السماء ..  
رفعت يدي شدتنيهما الى أعلى .. قفزت قفزة هائلة .. صرخت :

— لقد ملكت الكون .. لقد ملكت الكون .  
انزلت قصى .. لم أدر بعدها الا وجسدى يتدحرج لسفح الجبل ..  
الأم ينشب انظفره فى جسدى .. لقد للتوى كاحلى ولأول مرة أرى ياسمينة  
وقد كلل وجهها الحزن والأم تتمتم :

— كنت قلقه عليك يا مولاي .  
أخفتها فى أحضانى .. طفرت الدموع من عينيها .. صحت مهللا :  
— ياسمينة أنت تبكين !!  
قفزت فوق الأرض .. ترقصن .. وتغنى .. وتزغرد .



جاننى الهاتف .. اللطيف من جديد :  
— عد الى قومك .  
مسألته :  
— لماذا ؟  
— مساء خالهم .. وتيجلت أمورهم .. انظر .



- استيقظت ويد يأسمينة توزنى .  
 — مولاي .. مولاي أنك ترتجف .  
 هدأت أنفاسى تمتعت :  
 — ما رأيته أنزعنى .  
 — ماذا رأيت يا مولاي ؟  
 — كان كل شيء حطبا .



- تجادلت ويأسمينة .. شستت على عصا الطامة .. أغوتنى ..  
 اتهمتنى بالخنوثة .. صرخت محتجة :  
 — لماذا ترفضنى .. الست فى جمال تلك المرأة التى اختليت بها وانجبت  
 منها طفلا !!  
 ازدادت ندة ثورتها .. حاولت تهدئتها .. لكنها رحلت عنى وهى  
 تهجد .. وتتوعد ..  
 الهاتف من جديد يأتينى فى صورة لم أعهدها .. جسد أنسان ورأس  
 طائرله شفتان .. وعشرات من الأضحة تحمله وهو يهلهب بها فوق رأسى !!  
 تعجبت فكيف للطيف هذه الابتسامة الغريبة .. أنه يبتسم لا أدرى  
 مسخريه أم رثاء .. وقد تبهض باحدى يديه على شيء لامع .. أثار  
 انتباهى .. وهو يهمس لى :  
 — أنظـر ..  
 — أنظر الى ماذا ؟  
 — الى هذا اللوح المكتوب .

فك تبصفت .. لم تكن سوى الأيقونة .. استيقظت مغزوعا ..  
 لأبحت عن الأيقونة .. أنها مازالت معلقة حول عنقى .. خفا أنها تحل سر  
 الملكة الموعنة .. نهضت من مكثى .. ملزت ارتعد .. همس الجيهول  
 يتحول الى صرخات .. زعقات داخلى .. « أنت منقذ الناس .. » خلف عنهم

الامهم .. امسح عنهم اجزائهم « تمكن منى هذا الهاتف .. لست بسوى  
الاله فى ثوب بشرى .. حل بك .. ونخلت به .. انت هو .. وهو انت ..  
صانع المعجزات القاهر .. للقادر .. الصالح .. ارتقيت رتبة عالية رفعت  
يدى لى أعلى زعقت :

— يا شمس اغربى .. ويا سسما امطرى .. كررتها مرة واثنين  
وشلات .

احتوتنى الدهشة .. لا الشمس انصاعت لأوامرى ولا السماء نفذت  
ارادتى .. أن الطبيعة تتعبد على لها .. ليس لى الا أن اعاقبها ..  
صرخت من جديد ألقى بأوامرى :

— أيا مرسان للنار الى السحاب اذيبوه .. بدجوه .. حتى لا يتردد  
مرة ثانية .. أيا مرسان للظلام الى الشمس اظلموا انقها .. تمتوا اجزائها  
وانثروها فى الكون .. عقبا على غرورها ..

بعد أن هدرت كلمائى فى الفضا .. رأيت الرعد يدوى .. والبرق  
يأتى .. والشمس تختفى خلف للسحاب .. والمطر ينهمر .. ثيابى يبلها  
الماء وأنا اقتفز فرحا .. وأصرخ :  
— علوت عنكم .. عفوت عنكم



مككت الأيقونة عن عنى .. تجولت ميساى فوق تقوشها .. تلك  
الأشعة التى تخترق المياه .. هل هى المرة .. هل تخفى تلك المياه سر  
الملكة المعونة وعلى المعرفة أن تصل لأعماقها .. ثم ماذا تعنى تلك الأصابع  
التي تقبض على الشمع .. هل هو للعقل .. أم هى الإرادة .. وتلك  
البحيرة الراكدة التى أراها الآن أمامى ليست هى هذا المخطوطة المحفور  
بخطية فوق الأيقونة ؟؟ . لهنة المرة ترفع راياتها .. وأنا انزلق حول  
شطآن البحيرة .. أين حدودها .. لى أين تنتهى ؟؟ انصرم النهار ومازلت  
اتجول .. الشمس ترسل أشعتها الى البحيرة .. المياه راكدة .. على بعد  
أمتار أبصرت نافورة ضخمة المياه تتدفق منها .. تذكرت .. أننى رأيت تلك

النافورة على الوجه الآخر من الأيقونة .. فحصتها بدقة .. حقا أنها  
هى .. سأملت نفسى وقتها هل أنا فى الطريق الصحيح ؟



استيقظت على أصوات ولولة .. وبكاء .. نظرت نحولى .. بجوارى  
ابرة عجوز .. ضاعمت ملامحها وقد حفرت السنون خطوطها فوق  
وجهها .. ارتعدت فرائصى وصوتى يضج بالسؤال :  
— من أنت ؟  
لم تجبنى .. بكيت .. علوت سؤالها وأنا ابتعد عنها .. أبجابتنى  
بصوت ومن :

— لا تذهب هناك يا مولاي .  
— أى مكان تعنين ؟  
— المدينة الملعونة يا مولاي من وطنها ملعون ومن عاد منها ملعون .  
قلت وقد احتوائى الدهول :  
— أنت ياسمينة .  
— لم أعم كذاك بعد أن وارىت الخلود قبره .  
شق على أمرها وهى تبكى .. تولول .. تستعطف :  
— انتقضى يا مولاي .. أعد لى صباى .  
سألتها فى نهم شديد بالخرقة :  
— أين .. أين تلك الأرض الملعونة .  
تبخر تسألى وهى تبتعد عنى مسرعة يذوب طيلها فى جوف الأفاق  
تصرخ وقد احتواها اليأس :  
— لست سوى أكذوبة .. أكذوبة .  
فى تلك الليلة لم يغمض لى جفن .. وفى اللحظة التى مررت فيها  
العودة لى شعبي .. أثنانى للهاتف يهمس لى :  
— انهض .. انهض . فقد حان ميعاد الرحيل .  
وعندما سألتها :

— الرجل الى اهلى وعشيتى ؟

لجلىنى ؟

— بل للرجل للحقيقة .

سألته من جديد :

— اية حقيقة ؟

لجلىنى فى رقة ونعومة :

— لتباركها وتطهرها من لعنتها .

تجالت مع نفسى .. جدالا شرسا .. غنيا .. قاسيا .. معركة  
احتدمت فيها للحجج والأسانيد مساحة صراع بين العودة والبقاء رغبتى  
الجارئة فى للوصول الى الحقيقة .. ياسمينة التى تحولت الى عجوز شبطاء  
بعد أن وطئت الأرض الملعونة .. عجزى عن اعادتها لشبابها .. خشيتى  
أن اصبح مثلها .. لكن الأكلة لا يعترهم اللهن ولا تصيبهم الشيوخوة ..  
وقبل أن تنتهى لحظت الصراع .. سمعت صرخة .. صرخات .. أسرعت  
أتحجب صدى الصوت .. أنها ياسمينة تنزع شعر رأسها تلف وتدور حول  
نفسها .. تمسك بحجر تهشم به رأسها .. أسرعت نحوها أحاول  
منعها صرخت :

— دعنى وشأتى .

لقد خجلت ياسمينة .. حاولت من جديد تطويقها فكت قبضتى عنها  
ابتمعت .. صرخت من جديد :

— اكذوبة .. اكذوبة .. كل الأكلة اكذوبة اندفعت ترتقى قمة  
للجبل .. بعد ذلك بلحظت رايت جسدها يتحرج فى الهواء الى سفح الجبل  
وصوتها يردد :  
— اكذوبة .. اكذوبة .

\*\*\*

لغيرا .. داسست قدامى الأرض الملعونة .. نثرت ترابها .. نجت  
 أرجائها .. ابحت عن حقيقة تهدينى لسر اللعنة .. تطلعت الى وجهى على  
 صلحة مياه جدول ملأت كما أنا لم يمررنى الوهن أو الكبر ابصمت ..  
 هكذا الآلهة لا تصيهم اللعنة .. بدأ للظلام يكسو كل شيء يردائه الرمادى  
 وصعته المهيب .. انتحيت ركنا فى سقح الجبل لاقتضى فيه بقية الليل وقد  
 ملك اليأس على نفسى أن أعثر على سر هذه اللعنة .. عدت بذاكرتى الى  
 الأحداث التى مرت بى .. الأيقونة وياسمينه والهاتف الذى خالصنى منذ  
 أن طلت الأرض الملعونة .. لم يعد يائنى .. غسوت لطف يحدثنى دون  
 جدوى .. وعندما استيقظت .. كنت أحمل هما ثقيلًا .. انتابنى فزع  
 هائل .. يريق يخطف بصرى .. على بعد أمتار .. الأرض تشع ضوءًا  
 كيف .. انجبت الى الضوء .. أين مصنعه .. هل هى حيوانات  
 فوسلورية ؟ أم مسكت بحفنة من التراب .. نقرتها .. تناثر عنقود من  
 الضوء فى الفضاء .. ضحكك بهستيريا .. اهتز جسدى .. وجدانى ..  
 صرخت :

— حتى الأرض تحفى بالالة .. وقبل أن تسكن كلمأتى فى فضاء  
 الصمت رايت أمامى كهنا .. بنلية .. مسحت عنها للتراب .. نفس رسم  
 الأيقونة .. للشعاع النفذ الى الأعماق فى هذه اللحظة .. تكاد لى ..  
 أن الأصايق باطن الأرض .. وليس .. أعماق البحيرة .. بدلت من فورى فى  
 فتح باب الكهف .. صخور مدببة تلاق عني الحقيقة .. أحول بالمول أن  
 افتح ثغرة .. يوم كامل وأنا أكرر مدلولاتى .. أخيرا نجحت .. وقبل أن  
 أعبر الى داخل الكهف ألمت حاجياتى وأشيائى المبعثرة .. المؤونة والماء  
 والمعدات .

مسيرة يوم داخل الكهف دون أن أصل لشيء تصوت مبنى على  
 للظلام .. بدأت أتبين معالم الطريق الذى أسلكه .. اتحدار هائل ..  
 تشبشت بالصخور .. تخرج جسدى .. الى أسفل الى الأعماق .. فوق  
 سطح بحيرة أسدة .. صحت فرحا وأنا أسبح الى شاطئ البحيرة ..  
 وشعاع يفيض بضوءه على سطح مياهها لقد قاربته للحقيقة .. لكن

ما عثرت عليه .. أصابني بالياس .. بالاحباط .. فلم أصل لنبيع  
 الشماع .. ولم استطع ترجمة رسم الأيقونة لأصل للتحقيقة وسؤالي  
 الحاضر .. وماذا بعد .. أى طريق أسلك وإلمى عدة سراديب .. بدأت  
 استطع المكان بعين ملحصة عني أمتدى لى سرداب الحقيقة .. خارت  
 قواى وأنا اطعم بعض الأعشاب بعد أن تبعثرت مؤوننى فى شماب الكهف  
 ولم استطع العثور عليها .. احساس غامض يفتابنى أثنى صريع هذا المكان  
 وأنا اعثر على جماجم بشرية وسؤال يهز وجدانى .. كيف بالمودة ..  
 والى متى سأنزل صامدا ؟ .. فى الليل جاضى للهلك مبتسما .. سعت  
 برؤيتي .. فعد هجرنى فترة طويلة .. طباتنى :  
 — لا تخشى فكلنا فى هرامتك .

قررت بعدما أن أخطر .. أن اكمل مسيرتى بلا طعام او ماء فالتقوى  
 للخبية تحرسنى حتى من الجوع والمطش .. بدأت أتحسس طريقى .. ثم  
 هذا هو الطريق الذى على أن سلكت .. خطوات سريعة .. واثقة .. للتعب  
 بدأ يحل بى .. الجوع والمطش ينشبان مخالبيهما فى جسدى كم أريد قطرة  
 ماء تروينى .. لم أعد استطع للتتعم خطوة واحدة .. أنها النهاية لا ريب  
 فى ذلك .. صرخت قبل أن تحتوينى الفيوبية :  
 — كيف تتظنون من الهكم !!

## - ٢٥ -

صور غريبة مشوشة تمر بى .. رنجل وقد قُبت فوق جبهة مصباح  
 كهربائى .. صاح لزميله :  
 — أنظر ماذا وجدت .  
 زميله يرد عليه سالخرا :  
 — جئنا نبحث عن الآثار والمخطوطات لا من بقايا للقرود .  
 قال وهو يسلط على وجهى شماع مصباحه :  
 — هل رأيت هذا الوجه من قبل .. أو هذا للشمر الكت .. هيا أحمله

معى . فقد يفيد معامل الأبحاث . للصور تتابع . . سيرة أسماء تحملنى  
بسرعة رهيبة الى احدى المستشفيات . . اودعونى فى احدى حجراتها . .  
جرعات قوية من السلاج . . فقد كنت فوق قارب الموت . . وعندما استفتت  
رايت جسدى مشدودا الى سرير .



سألت :

— لماذا ؟ ؟

اجابنى اقدمهم :

— انت الانسان القرد .

ضحكت . . دهشت المروضة . . استدعت للطبيب . . سألتنى ان  
اضحك مرة ثانية .

— غرقت فى الشكوك . . اين انا ؟ وما هؤلاء الناس ؟ !

انهم من عوالم متقدمة . . لكل شيء لديهم يدار بالأزرار . . حركة  
الأبواب . . التوائذ . . للجدران . . الاثاث . . ما على الانسان الا ان يضغط  
على زر . . فيلبى طلبه فى الحال زر للطعام . . للشراب . . بل اكثر من  
هذا نوع الطعام او الشراب . . او اسلوب الترفيه . . المستشفى كله يعمل  
بالمبيوتر والانسان الكلى . . لا يوجد فى المستشفى من ليسر سوى  
ثلاثة . . المدير ومساعده .

فور لقائى بالطبيب الح على ان اضحك سألت :

— لماذا ؟ ؟

اجابنى والنضول بعصره :

— كيف للقرود القدرة على الضحك ؟

— لا ادرى من منا هذا القرد ؟

لم يمر لأهانتى انتباهها . . سألتنى من جديد :

— حاول ان تضحك لقد يفيوك هذا عند محاكمتك .

لأمامى ممرضة جميلة .. رفعت طرف ثوبها .. مثل ما كنت أفعل  
عندما كنت نزيل إحدى المستشفيات .. ساعتها كانت ضحكى تزن ..  
لكننى أصبت بالدهشة فلم أر سوى كبيوتر بين مخفيها .. أصابنى  
للوجوم .. كيف هى بهذا الاتقان وتلك الدقة فى الصناعة .. للدرجة التى  
لم اكتشف أنها امرأة آلية .. صاحت الممرضة معلقة :  
— أنظر ياكتور ماذا اعترى للقرء ؟

فى تلك اللحظة انفتحت كوة صغيرة فى جدار ذاكرتى .. حقا أى  
مستشفى تلك التى كنت أمارس فيها هوائى المفضلة .. فى أوقات ينحصر  
الثوب عن لخدان لا يسترها سروال .. ويتحول وجه الفتاة الى قطعة من  
اللحم الأحمر خجلا .. وفى مرات أخرى أرى سروالا كله ثقوب .. مهمل ..  
لينفذ منه الهواء والماء !! وتلطمنى كلمات للسباب .. والتحقير ..  
بلا جوى .. لقد أصبحت إحدى عادائى السمجة عندما أكون نزيل إحدى  
المستشفيات .. الكوة تزداد اتساعا .. نوال الحكيمة عندما أخطيت بها فى  
حجرة بالاستشفى .. كنت وحيدا .. أنت التى تعرض بضاعتها .. خلعت  
ملابسها أخذت تخطو أمامى عالية .. رائحة غريبة .. جسدها قوى  
البنيان .. رائحة التقاسيم بالونتان لم تتهدلا بعد .. الشعر يكسو أسفل  
للبطن .. شعر أسوداكن .. اغترنى .. ثم بدأت تربت على جسدى  
بيدها للريقة .. تهمس لى :  
— كم أنت عنيد ..

يدها تترهل إلى أسفل .. إلى أسفل .. وأنا اغوص إلى الاعماق ..  
إلى أسفل .. إلى اللحظة التى انفتح فيها الباب لنرى أمامنا مدير المستشفى  
وهو يقف متأملا الجسدان المارين جسدا واحدا لا يسترها سوى فضاء  
الحجرة .. وضجيج تلومات نونو الخيمة .. الكوة تزداد اتساعا .. نوال  
فصلت من عملها .. أنت إلى بلاكية .. تطلب الثمن .. رفضت زواجها  
انتحرت .. استيقظت والممرضة تصرخ :  
— أنه يبكى ياكتور .. القرء يبكى ..



سمات الكوة تتغلق من جديد .. والدموع تنهمز .. لا أدري لم ..  
ولكننى كنت في حالة من اليأس غريبة .



بعد أيام وبعد أن استرددت عمايتى بدأت الإبحاث ..  
ولجهزة .. وصور أشعة .. وعينات من كل جسمى حتى الشعر أخفوا منه  
عينة لتحليلها .. كنت أشبه بفار التجارب وهم يجرون على أبحاثهم ..  
ويدرسون عن قرب كل ظواهرى الانسانية .. من ضحك وغضب ..  
وابتسام .. وكلام .. وانفعالات حزن أو فرح .. واثققت المؤثرات  
العلمية للحديث عن هذه الظاهرة الفريدة كيف لقرد كل هذه الظواهر  
الانسانية ؟! كيف لقرد أن يتكلم ؟! أفردت الصحف والمجلات صفحات  
الحديث عنى .. وبث التلفزيون والراديو برامج تتحدث عن تطور القرد  
الى هذه الحالة التى شق عليهم تفسير ظواهرها .. واسلوب حياتى .. كيف  
أنام .. وأكل .. وأشرب .. والهو .. اعتبروها معجزة المعجزات التى  
عجزوا عن تفسير أسبابها .. شهور وأنا تحت الملاحظة الدقيقة .. الى أن  
بدأت الشكوك فتتابهم .. فقد قاموا بتحضير حيوان منوى مأخوذ منى  
داخل رحم قردة .. وآخر داخل رحم امرأة وكثت النتيجة مذهلة غير  
متوقعة .. فقد نجح زرع الحيوان النوى داخل المرأة بينما مات مثيلة فى  
رحم القردة .. وقتها قامت القيامة .. وخابت معظم التوقعات وبدأت  
افتراضات جديدة .. تضمنتها مانشينات الصحف .. « زائر من كوكب آخر »  
« جاسوس من كوكب متقدم » « للقرود الانسان » « أين الحقيقة فى القرد »  
« الآتى من السماء ؟ ! »

أخيراً وقفت منها أمام محكمة الحقيقة .. لو كما اطلقوا عليها محكمة  
التاريخ .. رئيس المحكمة يساعده قاضيان .. وكمبيوتر تغذيه أتوالى  
وأقوال الأدعاء وأسئلة هيئة المحكمة .. وأجاباتى .. ليساعد القاضى  
فى إصدار الحكم .

- سألنى المدعى :
- من أنت ؟
  - أنا زائر من الجنة .
  - وأين الجنة ؟
  - خارج هذا الكهف .
  - وكيف أتيت ؟
  - بمساعدة جنودى .. للقوى التى تحرسنى !!
  - وكيف هى ؟
  - قوى خفية .. لا يمكن وصلها .
  - وأين هم الآن ؟
  - معى !
  - هل تستطيع ان تعلقا عليهم ؟
  - نحسبهم لكن يتمرر علينا رؤيتهم .
  - اذا كنت لا تستطيع رؤيتهم .. فكيف عرفتهم ؟
  - الاله دائما له حراسة وجنوده .
  - كلامك غريب .
  - والاغرب منه حديثكم .
  - قال المدعى :
  - ان ما تقوله تهويمات وخرافات .
  - بل ما أقوله حقيقة .
  - أنت اذن الاله .
  - أنا هو .. وهو أنا .
  - عاد الصمت يطرق ابواب المكان .. وأنا اسأل :
  - لكن ما هى تهمتى ؟
  - التخطف والبدائية .
  - اذن لماذا هذا السجن للزجلجى ؟
  - ليس سجننا .. بل صندوق زجاجى نلقى به للناس احتمالات

العدوى التى قد تنتقل منك .

— ولكنكم قضيتم على كافة الفيروسات التى كنت تحملها بتمتيمى .

— معظمها .. وليس كلها .

— ومتى يتحدد مصيرى ؟

— بعد انتهاء المحكمة .

قلت ساخراً :

— امدحتم اذن مسودة حكم الاعدام .

فى تلك اللحظة ارتجت ارجاء القاعة .. عدة انفجارات متباعدة تنتاب

للجمهور وهيئة المحكمة .. شعور بالنفضب بالازدراء .. بالدهشة ..

بالحيرة . مرت لحظات كأنها دهر .. خلت بعمبارنى تلك اتنى قد أتيت لبرا

فريا والمدعى يسألنى يستوثق من كلماتى للقلته :

— ماذا قلت ؟

— قلت انكم اعدتكم مسودة حكم الاعدام .

فاجابنى بقوله :

— الاعدام كلمة شطبت نهائيا من قاموس قانون مملكتنا منذ آلاف

السنين .. بل أكثر من هذا لقد شطبت نهائياً كلمة العقاب .

— تقصد أنه لا عقاب على جريمة .

— المجرم عندنا مريض نعالجه ونقومه ولكن لا نعاتبه .

— وتتركون عقابه للاله

— أى اله تقصد ؟

— لكل عقيدة الايزود عنما ويحميها .

— الهنا هو القانون .

— اذن فلا ثواب ولا عقاب ولا بعث .

— الاثابة احدى المبادئ الأساسية التى تقوم عليها حضارتنا ..

وكذا للبعث .. لكن ما نقصده بالبعث هو بعث الانسان اثناء حياته

لا بعد الموت .

— والشياطين والملائكة والجن الصالح والطالح .

- وهو ما تسمية بجند الله .. خرائات خلقت منذ ثلاثة آلاف عام .
- واللجنة والنار ؟
- الجنة هي ما تراما أمام عينيك .. حضارة شعبنا .. والنار هي التي نشوى عليها للحم .
- وهذه الحضارة كيف وصلتم اليها ؟
- بالعلم واعمال العقل والارادة والاستفادة من عبر التاريخ .
- رغم انكم تعيشون في باطن الأرض .
- لهذا المكان تاريخ وحضارة وذكريات مريرة .
- كم أود أن اسمعها .
- هجرنا لى بطن الأرض هربا من الموت .
- مثلكم مثل نوح .
- شتان ما بين الاثنين فنوح هذا أشهر على الناس تهديده ليعتز منهم ايمانهم .. أما نحن فلدينا اختيار تام تؤيده وثلق ومستندات .
- لكن انكار الاثابة والمقاب بعد البعث يعنى القوضى .
- ضحك بسخرية اعقبها قولته ؟
- كما تراما الآن في مجتمعنا !!
- قد تكون حضارتكم مؤقته .. كالبرق الذى يومض فجأة لينطفأ بعد ثوان .
- تنصد بحديثك حضارة الأرض .
- تفكرت قليلا فيما قاله .. سألته في ريبه ؟
- وهل هي كذلك ؟
- يا اله الفرد .. أن أنكار فكرة الاثابة والمقاب يوم البعث العظيم وحنى انكار وجود الاله لم ولن يهدم مجتمعا .. انما الاتحلال يأتى من داخل المجتمع نفسه بتطل خلاياه .. فالحضارة بتناصرها الأساسية من أرض وشعب وإرادة عمل لا صلة بينها وبين الاعتقاد بوجود الجنة أو النار أو انكار وجودهما .. بمعنى أنه لا ارتباط بين الحضارة وبين هذه المعتقدات فقد توجد حضارة بين شعوب لا يؤمن بهذه المعتقدات .. وبالعكس قد تجد

البدائية والخلف في شعوب تنمرغ في وخل هذه الخرافات . والحليل على ذلك  
أنتم ونحن .. وبعض الشعوب للقدية التي كانت تمثل قمة للحضارة رغم  
أنها لم تكن تعتقد في وجود الآله كما صورته الأديان مثلثواب والعقاب بعد  
البعث لم يعد حافزا للمجتمعات على الأخذ بأسباب الحضارة .

بل وانتقلب لصدده وأصبح للوسيلة لاجترار الظلم ، الحصار الذي  
يمتطيه الحاكم وحوله حواريه من رجال الدين يخوض به برك الفقر والجوع  
بمنيا قاطنيتها بالجنة بعد الموت .. طلبا منهم الصبر على بلائهم انتظارا  
للآخرة التي سيجدون على جنتها الراحة التي افتقدوها في حياتهم والتي  
سينعمون في ظلها بكل متع الدنيا التي حرموها منها .. من لم يتزوج  
سيجد الحور العين .. ومن لم يعثر على حظيرة يسكن فيها سيقطن  
الجنة .. وتدفع هذه الآمال للكاذبة قطمان للبشر للاستسلام للظلم  
والاستبداد والقهر والاستغلال والجوع والحرمان أملا في جنة أخرى غير  
أرضية يقطع ثمرها الإنسان بعد موته وكان هذا هو الحادث عندنا قبل أن  
نلور .. الحكام يمتطون شعوبهم .. يهزون أرجلهم وحولهم حواريههم  
يتشققون بالجنة دون أن يسألهم سائل « ولماذا لا تحرمون أنتم أنفسكم  
من متع الدنيا .. أملا في تلك الجنة العذراء » . والغريب أن الناس صلبت  
وصدقوا من كان يظلمهم من الخلف بكلمات المواساة والتي تحمل في ثناياها  
كل الفس والخداع .

هل قرأت أو سمعت عن مجتمع إنهار لأنه لا يؤمن بوجود يوم  
للبعث والحساب ؟

لم أرد .. استطرد قائلا :

— المجتمعات تنهار عندما تنهار أخلاقياتها وتسمو عندما تسمو ..  
الانهيار والحضارة مرتبطة أساسا بإرادة الشعوب في البقاء ومقومات  
الحضارة ليس من بينها هذا الاعتقاد ومع ذلك فإن فلسفة العقاب والثواب  
لا يمكن إنكارها في القوانين الوضعية فهي التي تضع حد المسموح به  
والمنوع .. وعن الفلسفة العقاب للجنسية هذه أخذت الأديان فكرة العقاب  
الى ما بعد الموت وأخذت أيضا ما ارتبطت بفلسفة العقاب تلك .

قلت متسائلا :

تتصد القانون والحكم الذى ينفذ القانون .

أجابنى :

— هذه بديهيات .. بل أقصد بعض الأمور التى يشترك فيها الحاكم مع الإله حق المنع المقرر للحاكم ويقبله حق المغفرة لله .. للحكم يملك الأرض ومن عليها .. ويقابك الله ملك السموات والأرض .. الحاكم يرى بعيونه (جواسيته) والله يرى ويسمع هو الآخر وأخدى وسأله ملائكته .. الحاكم يخرج من طاعته خوارج .. والإله خرج من طاعته إبليس .. وفى نهاية المطاف نجد تطابق غريب مع تحويل ذكى فى الأديان . وهذا ما يدفع للتساؤل لماذا فشلت فكرة الإثابة والعقاب فى دفع الإنسان للتحضر .. أن الذى ينتظم تصرفات الفرد باعتباره إحدى الخلايا فى نسيج مجتمعه ليست فكرة الجنة والنار .. بل الاختيار .. فعندما يتمتع الإنسان عن ارتكاب جريمة فليس مبعث هذا الامتناع الإيمان بفكرة الإثابة والعقاب يوم البعث .. بل مبعث الاختيار الممنوح له من خلال التفكير فى آثار الفعل والمخاطر والضوابط والمنوعات التى وضعت على هذا الاختيار .. قد يكون الأحساس الدنى فى بعض المجتمعات البدائية وما يستتبعه من فكرة الجنة والنار .. قد يكون هذا الأحساس أحد أسباب المنوعات .. لكن لا يمكن أن ننكر حتى فى وجود مثل هذا الباعث الأسباب الأخرى التى تدخل فى بلورة صورة الاختيار النهائى .. كوضع الفرد الاجتماعى وقدرته على وزن الأمور والاختيار بينهما .. وقوة الردع الوضعى كالخشية من عقاب القانون .. أو لامعبارات أخلاقية قد يدخل بها الشعور بالخوف من الإله أو الغضابة .

قلت متسائلا :

— ومع ذلك فتوجد أمور لا يعاقب القانون مرتكبها ومع ذلك فقد أجمعت المجتمعات على نفيها وأنكارها فعلا الكذب والنفاق والغش والخداع والنميمة لا عقاب دنوى عليها فإذا كنا مستعرض بشائنها عقاب الله .. فما عقاب مرتكبها ؟؟

— طرح السؤال بهذه الصورة يعنى لهم خاطيء لعنى العقاب .. ذلك

أنه توجد قاعدة جوهرية علينا ألا نتناساها وهي أن الكذب .. والغش ..  
والخداع .. والتهمة مسميات قديمة .. للحد للفصل فيها بين الحلال  
والحرام حسب صيغة الأديان .. وبين للخطأ وللصواب حسب صيغة  
القوانين الوضعية هو عنصر الضرر .. إذا تحقق ضرر نتيجة الاتيان بهذه  
الأفعال .. أى نوع من الضرر سواء كان ماديا أو معنويا يعتبر خطأ ..  
أما إذا لم يحدث فيتراجم الفعل إلى دائرة النية التي لا يعاقب الإنسان  
عليها .. والتبعية التي وصفت في بعض الأحيان بأنها أكل لحم الميت ..  
إذا كانت تقيما يحتره الواقع فلا خطأ فيها ولا حرام .. تماما كمن ينعت  
للسارق بوصفه .. فهو لا يخرج عن نطاق التقييم المباح .

— معنى هذا أن يفلت المجرم الذى لم ينل عقاب للقانون إذا كنا  
سننكر عقاب الآخرة .

— أيها القرد الكبير لو استطلعت أن تفهم بعقلك فلسفة الحياة لما  
وجدت غرابة وأنت تطرح مثل هذا السؤال .. لأن أخذ نواميسها الصراع  
بين قوى الخير والشر .. فلشر واحد من أعمدة الحياة لا نستقيم بدونه  
وجه قبيح له وجه آخر حسن . فالموت شر يحاول العلم الإجهاز على أسبابه  
بشتى الطرق ومقاومته وتأجيل يومه وهو أيضا خير . فملاذا يحدث لو  
أجهزنا على الأمراض وبالتالى على أسباب الموت في تلك الحالة فن يكون  
لملم المجتمع الأ خيارات صعبة منع الانجذاب أو التقتيل .. فما يعتبر شرا  
قد يكون واحدا من أسباب لابقاء .. وإذا انتهت الشر كواحد من نواميس  
الحياة .. فلن تستقيم الحياة بدون .. رغم أنه من الد أعدائنا .. تحاربة  
وتحاول أن تقضى عليه .. ولكن لا يمكن القضاء عليه لأن في القضاء عليه  
نهاية لخير .. نهاية لمعنى الصراع .. نهاية لمعنى التقدم الإنساني  
ولا يجب إذا كانت للزهور تزهو .. والأوراق تخضر على مخلفات  
الحيوان .

— لكن هل تنكر أن الإيمان بلجنة والنار كانا من أحد أسباب التقدم  
الإنستى على مر العصور :

— ليس هذا بالضبط .. لكن الإيمان بهما كان حافزا للإنسان ليموت

من أجل تثبيت دعائم الأديان .. فقد سيطرت هذه اللحمة الفريدة على كل صغيرة وكبيرة في حياة الناس في حقايق معينة .. وانبثق من هذه اللحمة امتناع الناس بالبعد عن المعاصي فأصبح المحور الرئيسي للمحظور والمباح هو الخوف من نار حارقة أو الرغبة في جنة وارقة وليس من داخل مسببات التحريم أو الإباحة — لذلك فعندما بدأت فكرة الإثابة والعقاب تضحل ويقل تأثيرها بدأ موج الدين ينحصر تدريجيا خاصة بعد أن عقدت فلسفة الترهيب والترغيب والتي كان لها مفعول السحر في العصور المتقدمة تأثيرها في العصور اللاحقة ذلك أنه إذا كان منطقيا ترغيب الإنسان للبدائى المتعشش للماء والجنس والطعام بالجنة التى تجرى من حولها الأتجار بقطوعهم الدانية وجواربها والخمر الممتعة .. لم تعد مثل تلك المغريات تثير اهتمام الإنسان المتحضر .. فلما حتى مثلجا والمرأة حتى عارية والمكهة في غير أوانها لم تعد تلك الأمور تجتذب حتى الفقير أو تشدذ أيمقه ليفعل الخير أو ينتهى عن الشر بعد أن دانت له قطوف العلم واختراعاته .. ومع ذلك فالمقل يقف حائرا أمام تساؤلات عدة فنخر بنيان فكرة الجنة والنار التى عشت على العقول وهيمعت على الفكر الإنسانى خاصة ونحن لا نجد إجابة شافية على تلك التساؤلات لا من خلال العقل البشرى ولا فى الكتب .. ولا فى الحواس واللهوامش .. العقل يقف أمام باب سد بالاسمنت المسلح يحتاج لعشرات من أصابع الذنبايميت . أول ما يخطر على بال أى مفكر كيف يعود الإنسان للحياة فى هذا الفندق الالهى .. ثم ماهى صورة الإنسان عند بعثه ؟ ثم ماهى نوعية هذه الأجساد ؟ .. هل ستخضع لناومسها البشرى أم أن قانونا جيدا سيشملها .. وبغير من خصائصها للبشرية .. عجينة أخرى لا تحمل من البشر سوى الاسماء ؟ ثم ماهى اللغة التى يتحدث بها قاطنى الجنة ؟ .. واين يقطنون ؟ .. هل فى بيوت مؤثقة تائيتنا حيثما بهاحدث الأجهزة من تكييف وثلاجات أم أن قاطنيتها سيقطون الخلام ؟ .. ثم ماهى نوعية هذا المجتمع أى قانون سيحكمه ؟ .. وماذا عن الخلافات التى تحدث بين الناس .. وكيف تحسم .. وماهى أداة للحسم .. شرطة أم قضاء أم حاكم ديكتاتورى ؟ وماذا عن حاجة الإنسان اليومية من طعام وملبس ومسكن ..



مئات من اللماذات والتساؤلات تخرج بها النفس .

في هذه اللحظة خط على قلبي نمر يمزقة .. ان كل ما يشيره ليس سوى انكرا للجنة التي أعيش بين مسكاتها !! ان الأجابة على هذه التساؤلات من خلال ما رأيته .. وما أعيشه يعنى أمر واحد اننى لست على أرض الجنة .. شرده قصيرة عدت بعدها الى محدثى وهو يستطرد قائلا :

— فلنبدأ بصورة الانسان عند بعثة . الاقرب الى التصور للعقل أن الانسان يبعث بالصورة التي مات عليها الطفل طفلا .. والشباب شابا .. والكهل متكهلا لكن في اطار قانون النمو وخاصة للشجوية .. فكل شكل شباب رغم أنه ينمو .. ترى على الكهل آثار السنين بتعبيرات واخلاد بشرته .. لكنه يحمل جسد شاب .. بتوقد ذهنه .. بوميض خاطره .. بقوة جسده المحصن بطبيعته ضد الأمراض والتي لا وجود لها !! وبالتالي سيصبح للطفل لعبته .. وخضلته .. ومربيته ولففة .. ومدارسه .. وللكبار هوياتهم من الطعام والمرأة وضروب الاله المختلفة ..

قاطعتهم بتساؤلا وعلى تنومسه الحيرة .. وتنهشه للتساؤلات :

— لكن كل هذا يحتم وجود مرافق من مبانى .. وملاعب وأهوات مدرسية ومواد أولية كالأسمنت والحديد والطوب والورق .. فكيف يتسنى ذلك وأهل الجنة لا يعملون بل يستمتعون فقط بملذات الحياة ؟! اجابنى بسخرية لاذعة :

— الاقرب الى التصور أن الذى يعمل لخدمة أهل الجنة هم أهل النار هم الكادحون .. ينظفون الشوارع .. وقيّمون المباني .. وينشئون المرافق .. ويجمعون القمامات .. ويظفون الطعام .. ويعملون في المصانع .. كل المصانع من الابرة الى الصاروخ عدت أسأله من جديد عنى أضيف الى معارفى مليثرى عقلى ويبعد عنى السخابة للقائمة .. لفنوض الجائم :

— معنى هذا أن اجساد المبعوثين مستخضع لنفوس الطبيعة للبشرى بمعنى أنسجة وخلايا ودم وأجهزة وبالتالي مخلفات صلبة وسائلة ..

وما يستلزمه هذا من وجود دورات مياه .. وحمامات للاغتسال من الجلبة  
ورائحة العرق !!

تأطني رئيس المحكمة قائلا :

— وقد تخضع لقانون آخر غير بشرى .. أجساد بلا مخلفات مسائلة  
أو غازية كعادم السيارات .. لذلك فلا ضرورة لأجهزتها الداخلية من قلب  
وأمام ومعدة . ومن ثم يخضع الجسد لقانون آخر غير قانونه البشري ..  
وبالتالي يتحول هؤلاء المبعوثين الى نوع آخر غير انساني لا يحمل صفات  
للإنسان .. مجرد عينة أخرى لا تحمل من البشر سوى الأسماء والسؤال من  
أذن سينعم بالجنة .. ومن مستعجب بالإنار وقد تحول الإنسان الى بديل  
آخر لا يشترك مع الأصل الا في الاسم فقط!! وبعد أن يتحول الشيء الى  
نقيضه كيف نثيب هذا النقيض أو نعاقبه على فعل ارتكبه غيره !! ؟

مرت فترة صمت قصيرة .. استلرد بعدها متسائلا :

— فهل هذا هو ما عندكم في اللجنة ؟!

لم أنطق .. حل الصمت بالتامة وهو يوجه الى سؤال آخر :

— والفسحة التي تتحدثون بها في غندكم .. كيف يمكن للتفاهم بين  
بدائي لا تصدر منه سوى مبهات .. وبين متخضر ارتاد الفضاء .. بين  
قطن القمر وقاطن الكهف .. كيف استطعتم في جنكم التذلل على تلك  
الصموبة ؟

قلت في بهجة المكتشف :

— أراك تحاول أن تدق بهذا التطيل مسمار الأخير في نعش جنتنا .

تأطني في حاس زائد :

— وأين تظنون .. في العراء أم داخل كهوف أم فخلق مكيفة أم داخل  
اكواخ من الطين .. أم فيلات فوق السحاب !!

ثم ماهى نوعية المجتمع لديكم .. أسرة وأولاد أم مجتمع فردي اناني  
يفيب عنه الاحساس بالتضحية والسماحة والحب والاخلاص والتفاني ..  
لأنها معاني منتقدة لدى مثل هذا النوع من البشر لأنه لا يمكن الاحساس بها  
الا مع الألم .. وبالتالي يصبح الإنسان مجرد حجر صلد أجوف ..

فلا أجهزة داخل تجويف بطنه أو صدره أو رأسه .. فهو ليس سوى تمثال  
من الصلب الأجوف .. ثم كيف يزوح الانسان عن نفسه لديكم .. اسراويل  
يفنى على انغام جوكة الملائكة مع رقصات المسامبا للجن الأزرق والأحمر  
وزعقت للشياطين وهز بطن أبيليس العاق .. الذى سيهبطه رواد الجنة  
كما ينطلي السائحون الجمال .

ضجت القاعة بالضحك والتصفيق ورئيس المحكمة يستطرد قائلا :

— وللثياب .. هل يمكن اقتناع القردة بارتداء الثياب والسراويل ..  
خلصة وأن إحدى المحرمات شديدة اللهجة تقضى على الفتيت بارتداء الملابس  
« للحشمة » ثم كيف بتجهيز هذه الثياب .. وتلك للسراويل هل لديكم  
مصانع لتصنيعها .. يديرها الملائكة والجن الطلح !!

لم ارد .. سخرينه لازمة .. عاد للصمت يلف القاعة .. وعاد صوته  
جهوريا .. قويا .. واثقا :

— لقد قلت ان الانسان لديكم خالد لا يتألم .. فى هذه الحالة مستر  
على طبيعته العذرية بعد أن فقد احساس الحياة .. من حب .. وخجل  
والطعام .. الحق يقال انه لا يمكن ان يقتصر على ثمار الفلكية فقط لكل  
ما يطلبه الانسان يجاب فى ثمضة عين .. يصلق بيديه فتاتيه الموائد كما فى  
الف ليلة .. أما كيف فهذه سلم لعنى !! لا يعرفه البشر .. فهل عرفته  
أنت يا اله القردة وعرفتني به .. كيف يأتيكم الطعام مطهيا مزخرفا  
نواعه .. لم يأتيكم فى الاحلام فقط ؟

قلت مقاطعا :

— خلاصة قولك أنك تنكر الجنة .

لم يابى لسؤالى بل استكمل حديثه قائلا :

— ثم أين يقع هذا الفندق الالهى .. أين موقعه فى الاجرام السماوية ؟  
أجبتني :

— فى السماء السابعة .

— وأين تلك السماء السابعة ؟

— يفصلها عن الأولى ست سماوات !!

— تقصد بلاسماء الأولى تلك التى بنيت جدير عمد .. عليك أن تعد  
 سبيع أسقف بعد البدروم .. لكم نود جعيما رؤيتها .  
 سألته فى بلاهة :  
 — الجنة أم للسماء ؟  
 — ما أتصده هو الجنة .  
 — أشحذ ذهنك لقد تستطيع ذلك كما فعل الأولون !!  
 فى تلك اللحظة أضاء الكمبيوتر بجسارة :  
 — « اجابة تدل على قتل بشرى متقدم » .  
 أعقب ذلك قول رئيس المحكمة :  
 — تم بوصفها لنا .

— ليست سوى حديقة وأرمة الظلال .. تجرى من تحتها أنهار  
 المسل واللبن والخمر .. ويلبس قاطعوا ثيابا سندسى واستبرق ويتحلون  
 بالجواهر ويتكئون على الارائك ويطوف عليهم ولدان مخلصون وتحنى أغصان  
 الاشجار ليلقم قلعونها الفاكهة .. وتجذ أيضا قاصرات اللطوف لم يطمئن  
 انس ولا جان كانهن الياقوت والمرجلن وكواعب اترابا اجسامهن من المسك  
 مبراة من نقائص البشرية وآثامها لم تنقص الأيلم ولا الأعمال ولا الموت من  
 جمال أجسادهم .. ولكل رجل من الصالحين اثنتان وسبعون من أولئك  
 الحور جزاء له على ما عمل ..  
 قاطعنى رئيس المحكمة :

— يا اله القردة لسنا فى حاجة لهدم هذا المفهوم الى ادلة خارج  
 مقاطع الحروف بعد أن استكشف الانسان بعقله آفاقا أخرى للاستمتاع  
 الحسى والعقل تفوق مثل هذه الأوصاف والتى أصبحت نقطة فى محيط  
 الأعاجيب والتى نراها كل يوم فما عاد الانسان يشغل أن يكون طوع بنانه  
 الطعام متمثلا فى الفاكهة والتى تتحنى أغصانها ولا عشرات من النسوة أغفل  
 السلف الصالح من تبيان كيفية الاستمتاع بهن هل بالقبل والأحضن أم  
 بالماشرة أم بالنظرة الزانية .. ولا للجواهر والنفائس التى يمتلكها أهل  
 الجنة .. رغم أن مثل هذا التملك يحصل معنى الردة والأثانية وحس للذات

والصراعات من خلال غريزة التملك والتي تنبع من احساس الانسان بقيمته  
 لشيء الذي يرغب تملكه نتيجة التنافس عليه بعكس ما اذا كان هذا الشيء  
 مباح .. ومتوفر فلا يصبح لاقتناضة معنى او مضمون ذلك أن قيمة الشيء  
 ترتبط وجوداً وهدماً بالتنافس على اقتنائه .. ولن يحدث هذا للتنافس طالما  
 أن الشيء قد فقد قيمته نتيجة توفره في أي وقت حال طلبه .. يعنى هذا أن  
 الوعد بالفضة والذهب لن يحصل أى معنى للاغراء طالما أن هذه المعادن تفقد  
 قيمتها نتيجة طلبية حاجة طالبها وقت طلبها دون غناء ..

حل الصمت .. داعبت الحيرة المتول .. وهو يستطرد قائلًا :

— ان المتفكرين حاولوا سد هذه الثغرات بالالتجاء الى قاعدة نادوا بها  
 حتى بحت أصواتهم من كثرة الزعيق رغم أنها قاعدة تخالف للتفكير العقلى  
 وهى الايمان بكل ما فى الاديان من نقائص تحت حجة مظلة حظر النقاش لكل  
 لمر يصعب على العقل ادراكه حتى لو خالفته أحكامه للبيهييات المنطقية ..  
 وانتهكت حرمة قدسية العقل .. لأن من يجرؤ على مثل هذه لفظة الشنيعة  
 ماله النار خالداً فيها حياً أو ميتاً .. وبالتالي يصبح اليقين فى الخرافات  
 أقوى من اليقين فى المنطق .. وكان أن وقعت تحت هذا البند مئات من جرائم  
 الوحشية الفكرية واستعبيح كل ما يرفضه العقل وخبج التقدم بنصل للتخلف  
 ولربقت دماغه .. واستفحل غول الارهاب الفكرى الدينى محاولاً تطعيم  
 البيهييات العقلية تحت مستل هذا الخطر الالهى المفروض على كل نقاش  
 لأحكام الاديان .. ولكن ماحدث حينئذ غريب .. لقد حاول البعض اتصال  
 العقل والفكر والنطق .. ولكن قوبل من رجال الدين بالاتهام بلعكس  
 والردة .. والسحر الأسود !!

لكن ذلك لم يفنّه من عزمة .. وظل يضرب فى قسوة بسيطى العقل  
 على لجسد هذه المسلمات للهشّه لاستظهار الحقيقة خلف كل صرخة ألم ..  
 وبعدما اخفقت اشباح كثيرة من المسلمات فى جنب النسيان وبدأنا عهداً جديداً  
 أصبح العقل هو الفارس الوحيد الذى يستل صهوة الفكر يقدر به فوق نياق  
 الجهل وتعم للخرافات ..

قلت فى سداجة عفوية :

— لقد انكرت الجنة رغم أنني آت فيها .. فما بالك نالنا ؟  
في تلك اللحظة ضجت القاعة بالضحك .. والتصفيق .. حتى  
للكمبيوتر علق على شاشته الصغيرة « نكتة ظريفة » ..  
الدمى يتصدى للأجالية في لهجة غرورة :

— تقصد إحدى المسلمات للتبوية التي انشغل علماء الفقه منذ  
مئات السنين في تثبيت دعائمها وتقوية أساسها لتصبح واحدة من أمتى  
أساليب الإرهاب والتخويف من المذاب في الدار الآخرة مع أنها تستمد  
جذورها من فكر بدائي قديم يقوم على التعذيب للجسد .. انتقلت  
عدواها إلى الأديان بعد أن تحولت فكرتها من التخويف البشري إلى التخويف  
الإلهي .. فقد هيمن هذا الفكر الإلهي على الأديان لأن أصحاب الدعوة إليها  
لم يكن يملكون السلطة أو القوة لتطبيق تعاليمهم .. لذلك فلم يكن أمهم  
سوى الالتجاء إلى الترهيب أو للترغيب الغير منظور .. فتحثوا عن الحياة  
الأخرى التي يحياها الإنسان .. اعتمدوا على الفكر الخفى ليدعوا دعوة  
حقيقية لا تسندها سلطة أو قوة على أرض الواقع .. فلجأوا إلى التخويف  
بالنار بعد البعث أو الترغيب في الجنة بعد الموت .. وكان أن سيطرت فكرة  
الجنة والنار على للعقلية السائدة في المصور القديمة واستحوذت على كل  
نفس فيه إلى أن خاض الفكر-الإنساني عندنا معركة رهيبية في مضمار ملعب  
للحقيقة واستطاع في النهاية أن يطرح هذه الأفكار أرضاً .. ويدوسها  
بقدميه زاعماً زعقة الانتصار فوق الجسد المحضّر أما عن فكرة النار فهي  
ليست سوى هرطقة عقلية .

قلت بأسى وألم وضيق أفق :

— كيف ؟

— العذاب بالنار يستلزم لتحقيقه وقوعه على شيء محسوس . بعد  
الموت يقع هذا العذاب على الجسد بعد بعثه حياً .. أما داخل القبر فقد  
اصطفم الفكر الديني بمقبحه كؤود .. كيف يتحقق مثل هذا العذاب المادي  
على خراف .. مخلفات بشرية لا تخش الألام !! لذلك لم يكن أمام هذا الفكر  
سوى الالتجاء للفكر الخفى .. القول بعذاب الروح .. وأساس هذه التفرقة ..

للغريبة بين مذابح الجسد في الآخرة وعذاب الروح في القبر .. هو عجز الفكر  
 الدينى عن تفسير مخلول هذا العذاب داخل القبر . فربط العذاب وهو معنى  
 محسوس بالروح وهو معنى خفى غلض من شأنه تمويت القضية .. ولتصبح  
 مثل غيرها من الخرافات غير محددة .. وغير مفهومة لكن على البطل أن يقبلها  
 على علاقتها دون أن يناقش صحتها مع ما فى هذا القول من خلل .. وخلاف كثير:  
 فالقول بعذاب الروح وما يحمل العذاب من معنى محسوسة يتناقض مع أبسط  
 قواعد المتسل الواعى .. ذلك أنه لا يمكن بناء حقيقة على وهم فكيف يقع  
 العذاب وهو « معنى نعرفة جميعا » . على الروح التى تجهل كليهما أو  
 مدلولها مثل هذا القول يدل على هروب الفكر الدينى من مواجهة الحقائق  
 الملموسة والتى يدركها الإنسان العادى فهو يرى الجسد بعد أن يوارى  
 للتراب والود يدخر نية ليتحول بعد ذلك الى رماد وهو يدرك أن الجسد بعد  
 الموت يفقد الاحساس بأية مؤثرات خارجية من زهريز أوحى أو لفتح نار مع  
 هذه الحقائق الملموسة لم يكن أمام الفكر الدينى سوى لم أذبال الخيبة  
 والهروب الى كهف الوهم والمادة بعذاب الروح حتى لا يصطدم بالحقائق  
 الملموسة والحجج الدامغة .. ثم اذا كان الفكر الدينى قد نفى علمه بمخلول  
 هذه الروح فكيف اذن يتحدث عن النار التى تسوم هذا المجهول ؟ !!  
 فى تلك اللحظة تملكنى العناد .. للحدى .. رغم أن مايقال لا يخالف  
 المتسل ولكنى صرخت بأذى صوتى .. لا دفاعا من القفساىا التى  
 يثيرونها .. بل دفاعا من نفسى .. عن وجودى .. عن كينونتى .. أن كل  
 ما يقال يهدمنى :

— تفكرون علينا عقيدتنا .. وإيماننا وأسلوب حياتنا .

لم يابه رئيس المحكمة لتطلى بل استطرد قائلا :

— واذا انتقلنا الى صورة هذا العذاب البعث العظيم .. الإنسان الذى  
 يشوى ويقلى على جنبه .. ويكوى على جبهته .. ويتغير جلده لتعود عليه  
 الكثرة .. الإنسان الذى يشرب من ماء النار والوقود الذى هو الناس  
 والحجارة .. والطبقات المصبغ الذى ينقسم ليها المخبون .. كل طبقة  
 تتناسب مع الخبز الذى ارتكبه الإنسان العاصى .. والزهرير .. والأحنية

التي تصنع من الفار .. كل هذه صور ملهية بحثة على الانسان أن يؤمن بها دون أن يناقش صحتها أو جدواها بل عليه أن يتقبلها وان يؤمن معها بالبعث والذي ستكون من علاماته ضعف ايمان الانسان ونفساد أخلاقه، وكثرة حروبه .. وسيكون الانذار بنفختان في الأولى يهلك كل الناس ماعدا جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وللذين يموتون بعد حين .. ثم يحيى الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ في الصور النفخة للثانية فيقوم الموتى ويتهبأون للحساب .. في تلك اللحظة يتجلى الله لعباده تحف به الملائكة يحملون للكتب التي دونت فيها أعمال الناس جمعه .. ثم توزن الحسنات أمام السيئات « ولا ندري أى ميزان هذا الذى يمكن أن يزن الأعمال » .. الا اذا كانت الأعمال ستتخرج في النهاية الى أثقال وموازين !! ثم يحاسب الانسان على ماقدمت يده .. هل يده فقط أم ماقدمه عقله ويشهد الأنبياء على الكافرين ثم يسير الأشرار والأخيار على الصراط المعلق فوق الجحيم وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف فيسقط في الجحيم الأشرار ويجتازه للصالحون لى الجنة .. كل هذه الأوصاف المادية لو أخضعناها لميكروسكوب المثل لوحننا آلاف الفيروسات التى تقضى على الفكر قضاء مبرما ..

أول هذه الفيروسات .. هو غيب الحقيقة العقلية من خلال ماورد من أوصاف لا تتفق والعقل لغياب الحكمة التى تكمن وراء هذه الأوصاف .. ثانيا اذا ما حاولنا ربط كل هذا بقضية الوجود المطلق والوجود الحقيقى لما وحننا حقيقة تؤيد هذا المجهول أو الموجود المطلق ليتحول الى وجود حقيقى لذلك فيبقى مجهول غير معلوم لا يمكن تصديقه .. ثالثا أن فلسفة العقاب من اختراع الانسان .. فاذما تفرقت تلك الفلسفة على أساس أن المجرم مريضاً وليس مخطئاً تبدلت جهنم لتصبح مصحات للمرضى والخطائين .. كما هو عندنا .

سكت محدثى .. اتجه نحوى .. أبتسم .. سألنى :  
— الآن جـه دورنا لاكتشاف حقيقة تخلفك من خلال أسئلة  
نوجهها لك :

يلح ريقه .. أخذ نفساً عميقاً .. استطرد متسائلاً :



— الانسان .. ماذا كان قبل أن يصبح انسانا ؟

— للجاجة على سؤالك توجد نظريتان متعارضتان متصلتان ..

الأولى الانسان ليس سوى مخلوق ارضى جاء نتيجة تطور مذل في عالم  
مأدى عمره ملايين السنين نتيجة تفاعلات كيميائية منذ اللحظة التى انقسمت  
بها خلية الامبيا ليشتملها التطور الى الانسان ارقى الحيوانات ..

رد الدمى معقبا : « برافو .. برافو » ورايت بعدها على شاشة  
الكبيوتر عبارة ( تفكير علمى مطلق ) .

قلت مستطردا :

— اذا كانت تلك للنظرية صحيحة فالانسان ليس سوى نظرية مادية  
بحث .. وجد بالصدفة وسيموت بالصدفة وبموتة يصبح مجرد ذكرى في  
لوعة الحياة فلا لله ولا ثواب لا علق ولا جنة ولا نار ولا جن اذيق لو احمر  
ولا ملائكة بيضاء او خضراء تهتف باجنتها وللرسل ليسو سوى مجموعة  
من التجالين .. والاديان صيغ بشرية ذكية .. والانسان ابن الطبيعة ..  
خلق نفسه . هو الاوحد والاخرى والافضل والجهل والتكبر  
وبلدلى فقد وجد بالصدفة .. وسيفنى جنسه البشرى ايضا بالصدفة  
وطى للبشرية في هذه الحالة الأخيرة أن تبدأ للمرة الثانية من نقطة الصفر ..  
اي من نقطة البداية .. وقد يختلف شكل المخلوق القادم عن الانسان المحدث  
بعد فناء للعالم .

علق رئيس المحكمة قائلا :

— ومن ادراك قد يكون هذا الانسان الذى يسيطر الآن على مقدرات  
علما خليفة فصيلة من البشر سيقته اقل حضارة واندرت هي الأخرى بعد  
ان قضت عليها الكوارث نتيجة فشلها في تحقيق رسالتها على الأرض ..  
لكل .. اكمل .

استطربت قائلا :

— ما قلته هو الفرض الأول أما الفرض الثانى هو وجود ارادة عليا  
ترسم لهذا الكون تابلوهاته الرائعة وتخطط وتهندس له مشرعية وان  
الانسان ليس سوى صورة من الصور التى ارتضاها هذا الرسام المامر

لتحقيق مبادئ. وان صلة الله بالانسان هي تماما كوصلة تيار الكهرباء من محول ضخ يغذى مصابيح صغيرة .. هذه المصابيح ليست سوى للبشر .. تنظنا وتموت اذا انفصل التيار عنها .. يرتبط بهذا الفرض الثاني قضية الخلق .. صلصال تبعث للروح في الصلصال .. شحياة ..  
 فما رأيك أنت .

سحب رئيس الحكمة نفسا عميقا اجابني في هدوء غريب :

— ما تحدثت عنه ليس سوى حديثا بالشفرة نستطيع خل رموزه من خلال متلفعات عدة اولها انه تصوير مادي ساذج لخطوات في الخلق يعجز العقل البشري عن فهمها صلصال فتبثال .. فننفخ .. فانسان .. كيف يتسق هذا التصور مع حقيقة القانون الكامل او الوجود المطلق ثم كيف يتفق هذا التخيل مع الحقائق العلمية .. ثم مامى الحكمة التي تكن خلف اتباع هذه الوسائل بعينها ثم لماذا لم يخلق الانسان كما خلقت الأرض كما يقال من المصمم ؟! واذا كان الانسان قد خلق حقا من قطعة صلصال بعد النفخ فيها .. فماذا كانت الوسيلة في خلق الحيوان هل صنعت منه اشكالا واحجاما وانواعا مصلصلة ثم نفخ فيها هي الأخرى . فانبثقت الأرض سخالى وديناصورات وقرود .. واسود .. وظلمة وثمانية أم أن الإرادة الالهية تدخلت بصورة من الصور نجعلها فخلت للحيوان وانبتت للنباتات اذا كان هذا كذلك فلماذا حبس عنا كيفية نشوء الحيوان بينما بولغ في وصف نشوء الانسان .. ثم اين كانت تلك الجنة التي هبط منها آدم .. ثم كيف هبط . ببارشوت أم بصاروخ ؟! القضية في الحقيقة هي قضية القانون الكامل ..

قضية القانون الكامل تعني أن قانون الحياة على الأرض قانون صارم وضع بدقة شديدة لا يحتاج من الإرادة الالهية للتدخل كلما عن لها ذلك .. والا كان ذلك معناه .. نقص أو عيب شللب أحد فروع اللاموس الالهى يستدعى التدخل الالهى بين كل أونة وأخرى لسد هذا النقص .. أو رفق هذا العيب .. ورواية للخلق التي تحدثت عنها ليست مسوى تدخل مباشر من الله لصنع انسان وتعنى في النهاية أن قانون الله ناقص استدعى

تدخله المباشر لصنع انسان .. مع ان قانون التطور من الاميبيا الى الانسان يسد مثل تلك الثغرات وهذا للنقص .. فالكون ليس في حلجة لتدخل مباشر او غير مباشر من الارادة العليا لطة اصلاح ما قسده الدهر .. لأن القانون الالهى ليس ثوبا يبلى يحتاج بين كل آونة واخرى الى رتوق تنطى بدنه العارى ورواية للخلق بهذه الصورة تعنى أمر واحد مقط عقل بشرى حاول ان يجد لنفسه الخلق اسبابا مقنعة .. فانتزعها من عادات وتقاليد واساطير .. وخرافات شعوب سبقته بمقات السنين ثم عاد ليؤكدها بدعوة اليهسها ثوب الهى .. حتى يصحقها الناس .. ولم يجد بديلا آخر فالتبدل تحكيم للعقل ثم انصراف عن الداعية لها لذلك فقد لجأ العقل البشرى الى الصق مثل هذه الروايات المعاجزة وغيرها بالقدرة الالهية حتى يكسبها حصانة ضد أى مناقشة علمية .. منطقية .. وحتى تصبح الاجابة دائما .. هكذا أراد الله .. ردا على أى نقد أو تحليل أو تجريح أو استنتاج عقلى يخالف أساس العقيدة .. اذن فالقانون الالهى قانون كامل متكامل لا يختلف على صحته اثنان وتعثر الانسان فى رحلته نحو حقيقة هذا القانون وهو يخطئ ثم وهو يصحح ليستكمل مسيرة ملايين السنين .. مثل هذا التعثر لا ينتقص من القانون الالهى الكامل أو يقلل من قيمته .. فهى عمرات للبشرية للوصول الى المعنى الحقيقى للقانون المتكامل .. فاذما ما وصلت للبشرية لحقيقة معناه .. فلا تغيير ولا تبديل فتانون كقانون الجاذبية الأرضية لا يختلف حول صحته أحد .. ودوران الأرض حول نفسها ايضا قانون متكامل ومثله قانون انبثاق .. كثير من هذه القوانين ثبتت أقدامها امام عواصف البحث والاستقصه .. وباتت فى سجل العلم قوانين كاملة لا يعثرها .. ولا يشوبها عيب ..

سكت محدثى يستعيد انكاسه اللاهثة .. عدت انفزه بمسؤولى الحاضر :

- ما حدثتني به هو القانون الكامل .. فكيف بالوجود المطلق هنا .
- حتى يتحول الوجود المطلق لغير معلوم الى وجود نسبى ملموس
- يجب ان يستند الى حقيقة علمية او استنتاج عقلى .. وتقضية الخلق كما

صورتها الأديان لا تستقيم مع الحقائق العلمية ولا مع للحقائق العقلية ..  
لذلك لمبقى هذه للروايات وغيرها فى جعبة الخرافات حتى تؤكدما حقيقة  
علمية أو تاريخية أو انسانية أو يسندما استنتاج عقلى .

— ورسالات الأنبياء وللرسل .. أو ليست من عند الله ؟

سكت محدثى قليلا ثم استطرد قائلا :

— حتى نعرف اذا كانت تلك للرسالات من عند الله أو من تأليف  
البشر .. علينا أن نبحث أولا هل ما تثيره الأديان من قضايا تعتبر حقائق  
كلملة لا يختلف عليها أحد بحيث يمكن أن نطلق عليها القوانين الإلهية  
للكاملة .. ثم هل هذه للقضايا تسندما حقيقة أو استنباط عقلى .

— الأجابة بالثنى على السوالين معا . ومع هذا فالبعض ينكر وجود

الله .. فهل ينفى هذا الاختلاف وجوده ؟

— قضية وجود الله .. ليست قانون سنة الله لدوام بقائه ..  
واستمرار حيواته على مر للعصور .. بل هو قانون لا ينفصل عن ذاته ..  
بمعنى أنه اذا كان لا يوجد خلاف حول وجود قانون يحكم للكون بحقة  
شديدة .. وأن خلف هذا القانون ارادة منظمة .. امتزجت به حيث يمكن  
للقول أن القانون هو الله .. والله هو للقانون .. وأن البديل لفياب هذا  
القانون هو الفوضى .. اذا قلنا بذلك وقلنا أيضا أن محاولات للبعض  
لتصوير الاله بالصورة البشرية لتقريب مفهومه للعقل البشرى قد باهت  
جميعها بالفشل ونتيجة لهذا باهت صورة هذا الاله غامضة .. تناولها  
الشكوك .. واذا كان الاستنباط العقلى هنا تتوفر أركانه من حيث قيامه على  
حقيقة حتمية . وهى وجود القانون الذى يحكم للكون وارتباط الله بهذا القانون  
وجودا وعدما .. بحيث يمكن القول أنه تعبير لمضمون واحد منه ماشئت  
الله .. القانون .. للوجود .. فهى كلها أسماء بشرية لا دخل للاله فيها  
لكنها تعبر عن فكرة جوهرية .

قلت مقاطعا :

— نعود لى موضوعنا الرئيسى .

اكمل محدثي بنفس الهدوء الغريب :

— نستطيع القول بلا لف أو دوران أن القانون الالهي قانون متكامل غير منقوص يصلح دائما لكل زمان ومكان .. لا يحتاج لتدخل مباشر أو غير مباشر لتبديله أو تغييره لأنه يحمل في ثناياه الكمال الدائم .. والحل الأمثل .  
والرسالات ليست قانون الله لأن ذلك يعني إذا اعتبرناها قانون للهي أمر واحد فقط أن القانون الالهي منقوص غير كامل .. يقوم الله بتعديل نصوصه ونسخ أحكامه كلما تبين له خطأ في التمهيج الذي وضعه لتفسير دفة للكون .

— خطير كلامك .. خطير .

الدعي يحاول استدراجي من جديد في شرك صنعه ببراعة :

— نعود الى سؤالنا الذي سبق أن طرحناه وخاب ظننا في أجابتك حتى أننا اعتقدنا أنك أحد القرود .

سكت قليلا ثم استطرد قائلا :

— قلت أنك الاله ؟

— نعم .

— وكيف أصبحت كذلك .

— الناس نصبوني الها .

— تقصد ملكا !!

— لا .. بل لها .

— وما صفات الاله ؟

— الأمر النامي .. أمره لا يرد .. وملكته نالذه .. وله حق الموت على البشر في تلك اللحظة أضاعت شاشة الكمبيوتر « ما يتحدث عنه جاء في صحائف للتاريخ الاله من البشر ثم انتقلت عدوى هذه الفكرة لصحائف الأديان .. الاله الخنسي للقادر المالحق والذي لا يحد سلطته ذاتون ولا يقف في طريقه بشر » .

عاد الدعي يستكمل أسئلته بهدوء شديد :

— لكن كيف للبشر بتكرة الاله ؟

لجيبته :

— الله يحل في اجسادهم فاذا هم مثله او ابناؤه يحملون صفاته  
وقدراته .

— حدثني من تلك التدرات .

— بعضهم احب الموتى وشفى المرضى والبعث الآخر قد ثورة  
في الفكر والعلم والسياسة والنظريات الاقتصادية والفلسفية ..

— وانت ؟

— احرك للريح والمطر واخفف بالشمس واميد الحياة للانسان  
والطير !!

— الله قاتون .. فهل انت هذا القاتون ؟

— انا الكل داخل للجزء .. وانا للجزء داخل الكل !

— ازاهد انت !!

قلت وقد تملكني الضيق :

— الى اين تتجهون بهلكتكم !!

— الى الحقيقة .

— وما شان للتهمة بما نتحدث عنه .

— انها ليست محكمة لشخصك .. بل محكمة لعصرك ..

فالحضارة تحكم النخلف .

— والنهاية ؟

— قبلها تطيح المحكمة فرصة اخيرة لتثبت فيها صدق دعوتك .

بعد لحظات كان رئيس المحكمة يقبض بيده على طائر .. فبحته ثم

اعطاني اياه وهو يتمتم ساخرا :

— هيا لكشف لنا عن قدراتك .. ارنا كيف يطير الذئبع .

فشلت .. بكبت .. اول مرة للتي بالدموع والمجز والاحباط

ورئيس المحكمة يرفع الجلسة بعد ان اصدر قراره ..

— يسمح للمريض بزيارة العينة ومعالها .. ليتعرف على اسباب

حضرته .

سيارة لا تسير على الأرض بل على وسادة من الهواء سمكها نصف متر تتحرك في الشوارع .. الأطفال والرجال والنساء على جوائب للشوارع يلوحون لى بأيديهم . الشوارع نظيفة .. عارية من ثوب للقدارة .. مرصوفة بطبقة بلاستيك بيضاء .. البيوت زجاجية .. النوافذ بلاستيك ملونة .. الاشجار والأنبتة تغطي مساحات كبيرة .. الملاعب وحمامات السباحة والحدائق والملاهي منزرعة في الميادين . أشياء لا يصحقتها عقل بشر .. ولا يصل اليها خيال شاعر أو كاتب .. ان ترى للشوارع خالية الا من البشر .. أما كثافة وسائل المواصلات .. من سيارات ومetro .. فهي تسير في الأنفاق .. ان تجد للجو مكيف والهواء للرطب يداعب وجهك .. ان ترى الابتسامة دائما على الوجوه .. لا غضب ولا حزن ولا ألم !!

للسيارة تتوقف امام بقايا ضخمة .. مرافقتي تفتح باب الزنزانة للزجاجي .. تطلب منى ارتداء بذلة .. كبذل رواد الفضاء .. فجأة انفتح كبف ذاكرتي عن كوة صغيرة ثلاثة رواد أنا واحد منهم يسبحون في الفضاء داخل سفينة احدهم يصرخ « لقد انقطع اتصالنا بالأرض » الكوة تزداد اتساعا والسفينة تحط على أرض ذلك الكوكب .. نعم ذلك الكوكب الغريب الذي استقرت عليه السفينة بعد ان فقدنا نهائيا الاتصال بالأرض .. ولكن كيف ولماذا ؟؟

بدأت الكوة تزداد اتساعا .. ازور للصاروخ .. ابتسامات اصغفائي ابليهم تلوح لى قبل ان ارحل فوق السفينة .. والكوة تنفلق .. أحاول ان انتح الثغرة من جسدي .. بلا جدوى .. لقد توقف كل شيء حتى قطار للذكريات على محطة المجهول .. وأنا أسأل نفسي أسئلة لا أستطيع لها اجابة .. كيف رسوت على أرض الجنة .. هل هو بعث جديد بعد ان انفجرت المركبة وقضى على لأبعث من جديد في ثوب حياة هذا الإنسان الذي اكونه الآن .. حاولت مرارا ان أحرك تاطرة ذكريتي .. بلا جدوى فقد نفذ كل ماعدى من طائفة .. ميسورة تطلب منى بأحب جم ان ارتدى السرداء

النضائي .. وبعد أن ارتدته همست برقة ونعومة :

— هيا ممي .

سألته :

— للى أين ؟

— أرشيف الحضارة .

هبطنا من السيارة الى بناية ضخمة .. دخلنا من بابها .. مجرد ان  
تمتمت ميسورة بكلمة للسر انفتح الباب على مصراعيه .. ميسورة تسألني :

— بكى جناح تبدأ ؟

أجبتها :

— للطم .

تحركنا .. ميسورة تسألني ونحن ندخل لقاعة هائلة .. أرشيفنا  
هائلا تنتشر فيه شاشات للكمبيوتر . ميسورة تهمس لى وهى تضيف على  
أحد الأزارار :

— هيا أطرح ما تشاء من أسئلة .

قلت بلا اكترات :

— نيل أرمسترونج ؟

ذهلت والأجابة تضيء فوق شاشة للكمبيوتر « عام ١٩٦٩ أحد رجلين  
مشيا فوق سطح القمر .

سألت من جديد :

— نيكولاس ؟

— الأجابة تضيء حرومها فوق شاشة للكمبيوتر .. نيكولاس

كوبرنيكس .. أول من نادى بأن الشمس مركز الكون .

— اورانوس ؟

— كوكب يبعد عن الشمس ٢٨٧ مليون كيلومتر طول قطره  
٤٧١٠٠ كيلومتر .

سألته من جديد :

— هل سعد اليه رواد الفضاء ؟



اجاب :

— أربعة بدات رحلتهم في يناير ١٩٩٠ .

قلت بلا تفكير وبتلقائية غريبة :

— ليسوا أربعة بل ثلاثة .

للكمبيوتر تضيء كلماته :

— حقا .. ثلاثة .. لكن كيف استطعت تحديد هذا العدد بهذه الدقة ؟

سألته من جديد :

— متى وصلوا ؟

— لا اجابة .

— ما مصيرهم ؟

— لا اجابة .

بدات اوجه له كل ما تخايل على ذاكرتي من أسئلة والاجابات تصلني  
دقيقة .. حاسمة .. الى ان سألته :

— اينشتاين ؟

دهشت وأنا ارى أمامي فوق الشاشة فراغ .

سألت من جديد :

— كيف تجهلون انشأين، وهو مكتشف نظرية النسبية ؟

سألت من جديد :

— للتفجير الذرى الانشطرنى .

— لا اجابة .

سألت ميسورة اجابتنى :

— كل هذه معلومات تعمدنا استطلاعها من ارشيف العلم .

— لماذا ؟

سألتنى هي الأخرى :

— كيف لك بكل هذه المعرفة ؟

اجبتها بصدى :

— لا ادرى !

تمتعت ونحن نتوقف داخل جناح التاريخ :

— انك تخفى سرا .

عاودت الاسئلة وانا اتف مبهورا امام ما يحويه الجناح من

معلومات .. واجهزة .. وامكانيات .. بدأت بسؤالى :

— التاريخ ؟

اجابنى :

— كمادة ام علم ؟

— كمادة ؟

— وقائع حدثت ودونتها الاجيال .

— الملائكة ؟

— خيال بشر .

— للشياطين والجن ؟

— خرافات .

— الجنة والنار ؟

— لا دليل عليها .

— البعث لحياة اخرى ؟

— تنبؤ .

— الكتب السماوية ؟

— الهلم .

— للحرب العالمية الثالثة ؟

لم اكن اتصد من طرح هذا السؤال سوى المزاح .. الا اننى فوجئت

بشاشة الكمبيوتر وقد نقش عليها :

— ما بين سنة ٢٥٠٠ حتى ٢٥٠٥ !!

للحظات تسمرت فى مكائى .. كنت أشبه بقطعة جماد .. صخر ..

تخف بها من قمة جبل الى السطح فتحوط الى شظايا صغيرة .. للحظات

أحسست فيها بالعجز .. بالضعف .. بالهوان وأنا أعجز عن فهم كل ما يدور حولي هل حقيقة ما قرأته على شاشة الكمبيوتر .. هل حدثت هذه الحرب ؟ وكيف انتهت ؟ خرجت من شرفتي وميسورة تسحبني من يدي إلى الخارج .. إلى السيرة .. لحظات توقفت بعدها للسيارة غادرناها إلى مكان فسيح .. أمام بناية ضخمة .. تحيطها الأشجار وتنمو في ثلثي ساحتها أزهار .. ورياحين .. وباسمين .. في تالسق غريب .. وفي رسم هندسي بديع .. دلفنا إلى الداخل ميسورة تنبتم :

— إحدى المصحات .

— إحدى المصحات ؟!

استطردت ميسورة بعدها :

— سنبدأ بزيارة الحالات الصعبة ثم ننتجها بالحالات البسيطة .

سرنا في سرداب طويل .. انتهينا إلى حجرة .. افتتح بابها على شاب بشوش يبتسم لنا وأمامه كمبيوتر يحرك مفاتيحه يلعب عليه مبلرة كرة قدم ..

سألت ميسورة :

— ما جريمته ؟

— تقصد ما مرضه .. لقد تأخر عن عمله حقيقة .

سألت في دهشة :

— من أجل حقيقة واحدة تودعوه مصح ؟!

— النقية لها حساب عندها .. لقد ترتب على تأخيرها تشابك الدوائر

الكهربائية وانصهار أحد الصهاريج التي تغذي المدينة بالماء .

— وكيف يعالج ؟

— أولا نتقصى الأسباب التي دفعته للتأخير .. ثم نوصي له بالدواء

المسبب .

— وهل وصلتم إلى أسباب المرض ؟

— لرهق عصبي .

— والدواء !

— جبال الباهاما .

— مقاب هذا أم اثابه ؟!

ابتسمت مانت واكدت على قولها :

— كم انا ممجبة باسلوبك الفريد في الحديث .

قالت ذلك ثم استطردت قائلة :

— هناك فوق هذه الجبال فندق عشرة نجوم يقضى فيه المريض فترة

نقاهته .

واجهتنا حجرة اخرى .. استقبلتنا نقاة جميلة .. ما رايت اجمل

منها قدا .. ولا اصف منها جسدا .. ميسورة تسالها :

— كيف حال مريضتنا اليوم ؟

لم تجب .. ابتعدنا عنها وميسورة تجيب عن تساؤلى :

— لأنها صرخت في وجه حبيبها بعد أن اشتتهه ورفضها .

سألت في دهشة :

— وهذه ايضا جريمة .. اقصد مرض ؟

— نعم فالصراخ واحد من الامراض البدائية .

قالت ذلك .. اخفنتنى من يدى .. استطردت قائلة :

— علم مى .

سرت خلفها الى احدى الحجرات .. رايت جثة رجل ضخم تنام على

سرير .. غطيته عال .. سألت مرانقتى :

— ما جريمة هذا السجين ؟

— بصق في الطريق .

ضحكت .. مال جذمى الى الوارء .. قلت محببا :

انهم يبعثون على الناس .. ويضربوهم بالبرطوشة .

ابتسمت ميسورة :

— اعجابى يتزايد بك .. هيا لى الحالات البسيطة .  
جراح دخلنا اليه .. رجل وامرأتان .. جلسنا قدموا الينا مشروباً  
سالحنا .. سألت مرافقتى :

— ما بالهم ؟

— هذه المرأة الجميلة تشكو من سوء معاملة زوجها وذلك الرجل  
زوجها .. وتلك الفتاة طيب تحاول راب الصدع بينهما ..

اسرنا الى الخارج .. الى حجرة اخرى .. شاب نحيل يجلس  
وفى يده كمان يلعب عليه لحنا شجيا .. بقينا دقائق نستمع وفور أن انتهى  
صلقنا له .. ابتسم .. تتمع فى حزن :

— أشكركم .

قلت :

— نحن جليل ولكنه حزين .

— هيا .

اخذلتى مرافقتى من يدى وهى تبتعد .. سألتها :

— وما جريمته ؟

— نفاق رئيسه .

خفئنى الى الخارج .. قبل أن يفنى على .

وفى المساء كنت فى احضان ميسورة ارتشف الذة .. نصف ساعة

واذا بها تنفلس فى حزن وأسى .. سألتها :

— ماذا دهاك ؟

— لقد انتهى الوقت المحدد .

— لكننى لم أنتهى بعد منك .

— سنزودك بهتة ميكا آلية فافعل معها ما يحلو لك .

ارتدت ملابسها .. تركت الحجرة على عجل .. فى نفس اللحظة التى

شرقت فيها الفتاة الآلية .. رفعت طرف مستاتها .. قالت :

— شبيبك لبيبك انا فتاتك بين ايديك .. كيف تريدنى ؟!

ضحكت .. أول مرة اضحك من كل قلبى .. تمنيت فى قرارة نفسى  
 ان ابقى .. وصوتى يرن فى أرجاء الحجرة :  
 - لا اريدك .. ولكن كل ما اريده فنجان شأى يافتاة للجيشا ياحلوة  
 اختفت من الحجرة وصوتها يسبقها :  
 - أشكرك .

## - ٢٧ -

فى قاعة المحكمة من جديد .. القاضى والكمبيوتر والناس ..  
 تقاطر للناس فى ذلك اليوم تقطر الذباب على نسمل امتلات القاعة عن  
 آخرها والمدعى يصلانى .. لا ادرى لقد تغير أسلوب استجوابه .. بعد ان  
 انتفى به بنحى الاهتمام :

سألنى :

- من أين أتيت ؟

- من الجنة .

- وأين هى ؟

- فوق هذه المدينة وعلى بعد أميال قليلة .

- فوق هذه المدينة وعلى مدى آلاف الأميال لا يعيش أحد فمن

أين أتيت ؟

- سبق أن أجبتك .

- نصر على أقوالك .

- لأنها الحقيقة .

- وكيف وصلت لى هذه المعرفة العلمية .

أجبتة :

- لا ادرى !

.. هل أتيت من كوكب آخر ؟

— لا .

— إذن فكيف عرفت كوكب اوراثوس ؟

— لا أدري !

وكيف استطعت تحديد عدد رواد ذلك الكوكب ؟

— أيضا لا أدري .

— لقد غشنا الكمبيوتر بمعلومات خاطئة من عدد رواد ذلك للكوكب حتى نعرف هويتك وكان تصحيحك للعدد سليما .. فكيف وصلت الى هذه المعرفة .

في تلك اللحظة ذهمنى خاطر .. حقا كيف تسنى لى تصويري للخطا .. كيف عرفت انهم ثلاثة رواد .. وليسوا اربعة .. والكوة من جديد تفتح في جدار ذاكرتى .. نعم ثلاثة خطوا على كوكب اوراثوس .. أنا واحد منهم .. لكن كيف والوصول الية يستغرق عشرات للسنين .

السدعى يردد سؤاله من جديد .. دون أن يشر على اجابة .. عاد يسألنى من جديد :

— هل كنت أحد الرواد الذين خطوا عليه .

مهمات غريبة .. الرؤى .. تتقارب ثم تتباعد .. وللكمبيوتر يضىء بمباراة « احتمال توى » .

— لكن كيف استطعت الحياة هذه للحقبة الطويلة دون أن تموت ؟  
أجيبه :

— لا أدري !!

الكمبيوتر يرد على السؤال :

— قد يكون لأسباب خارجة عن ارادته او لأسباب طبية .. ولكن لا توجد اجابة حاسمة .

في تلك اللحظة فجر المدعى انهله :

— هل أنت جاسوس ؟

فُضحك .. شر البلية ما يضحك اجبتنه :

— أنت تخسوف .

حل الصمت والمدي يضغط على زر .. أمامنا شاشة صغيرة ..  
بعدها .. كان صدى صوتي يتردد في أرجاء قاعة المحكمة وصورتى أنا  
وميسورة عاريان على الشاشة .. صرخت في حدة :

— اوقفوا هذه للخسة وللخناة .

صوت رئيس المحكمة يعلن في خصم :

— على المتهم أن يلزم للصمت ..

الصورة على الشاشة للصغيرة .. ميسورة تتقلب في أحضانى ..  
تبتعد وللرعب يسيطر عليها وهى تتلمس جدى تهمس :

— أنت لست فى حاجة لى فتاة بل الى بقرة !!

— لا تخشى منى فانا قوى كالثور ناعم كاللحن .

الصمت يطبق على القاعة .. ذابت حتى للهيمسات وأنا اهللق عليها  
بجسدى وصوتها وقد دغلغته الرغبة :

— ليس هكذا .

— ذوبى فى أحضانى حتى ينقشع عنى ضجبل الماضى .

— أريدك كما أنت بخاضرك وماضيك .

— أنا رجل بلا ماضى .

— ايا كلن فانت رجل لحظتى .

الجسدان يتلاسلان .. يتلاصقان .. يتداخلان .. وصوتها  
ندى رطب :

— أنت تؤلمنى هكذا .

— ألم للحدة .

وتتوه معى .. واتوه معها .. وهى تخفم فى غنج :

— كم اريدك رغم أنك تمزق أحضانى .

لحظات وصوتها يصلنى فى حيره :

— من أنت ؟

اجبتنها ضاحكا :



— أنا الحاضر أعلق المستقبل .. استروح عطره ونسماته .. ولذعة  
لفظه .. كم أريد أن اتهم كل شطيرتك !!

ابتعدت عنى مثالة وهى تتمم :

— لقد أصببتى بنزف .

تمالت الضحكات والتعليقات .. والكمبيوتر يعلق على شأسته  
للزجاجية :

— اتهام الجلوسية يحتاج لى أسانيد وادلة.جديدة ؟!

صرخت محتجا :

— عمل حقير .. حقير .. غليست هذه هى الحضارة .. بل

التخلف .. للردة .

رئيس المحكمة يسألنى :

— ما أوجه دفاعك ؟

سأله ؟

— فى مواجهة أى تهمة ؟

— الجاهلية !

— اتهم بلا أسانيد .

— ودخول الملكة عنوة ؟!

— أنا لم ادخل فقد نقلنى جنودى اليكم بعد أن أصبت بالأعماه .

— تقصد عمل الحفريات .

— لم يكونوا سوى أداة فى يد جنودى .

تمالت الضحكات من جتيد والمطرفة فى يد القاضي تدق بعنف وهو يعلن :

— للحكم بعد المدالولة .

سبع ساعات وهيئة المحكمة داخل الحجرة المظلمة .. بعدما خرج

القاضى ليصدر القرار :

— يتأجل اصدار الحكم مدة ثلاث ايام .. يزور الاتهم خلالها أوشيفا

للتحضر والحضارة .. يتعرف على أسبابه .. فقد يساعده هذا على التعرف

على القضية التى ينتمى إليها .



عشت في ذهول .. وميسورة تطوف بي ارجاء الارشيف ..

وسؤالي لها :

— او ليس هذا ما مررنا به .

اجابتنى مبتسمة :

— هذا ارشيف التحضر .

— وما الفرق بين ارشيف التحضر والحضارة ؟

— ارشيف الحضارة تاريخ .. اما للتحضر .. فعلم .. اسباب

واسانيد واطلة .

امامي كل ما يشغل الانسان .. تطوره من الامبيا الى القردة

الى الانسان بالصورة .. بلكلية .. بالحنريات .. اسانيد واطلة

ومقارنات واستنتاجات ارشيف هائل .. به من ثمار المعرفة للكثير ..

وميسورة تشرح لي الغامض من الاسباب .. امامي التحضر أنهل من مائة

المصّب .. أدب وفن وعلم واختراعات وفلسفة ومنطق .. الاسئلة

تنزاحم .. تقرأص وميسورة تجيب على كل خاطره .. شهادته في ذهني ..

سألتها في نهاية جولتنا :

— هذه حضارة ثلاثة آلاف عام .

— نعم .

— وكيف وصلتم الى هذه الحضارة .. اتصد نقطة البداية .

— سؤال يدل على ذكاء .. أعني ذكاء القردة .. ويدل على خواء

اتصد خواء للعقل البشري ..

— للحضارة تعتمد على ثلاث الانسان والأرض والمعمل ..

اما التحضر فيعتمد على فكره .. على دعوة .

— وانتم كيف وصلتم .

— بدعوة التنوير .

— من صاحبها .

— نجهل صاحبها .. فقد اختلعت الروايات بشأته .. فمن قاتل أنه

أني من السماء ثم أخفى .. ومن قاتل أنه دفن في مكان مجهول ومع ذلك

لقد بقي فكره على مدار السنين محفوظا لا يتغير ولا يتبدل .. تلقنه  
 تلاميذه لينتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم .  
 مرت فترة صمت قصيرة قبل ان تستطرد قائلا :  
 — هل تريد ان تسمح المزيد .  
 ضغطت على زر .. اضضعت الحجرة كلها بالأنوار ثم عادت  
 وانطفأت .. وهي تهمس لى :  
 — انظر الى الشاشة .. وسترى مفكرنا بالصوت والصورة .  
 سألتها مندهشا :  
 — لقد قلت منذ لحظات انكم تجهلونى .  
 قالت فى سخرية :  
 — انه تسجيل للأحداث يا اله القردة اسمع ماذا يقول .  
 نور ان ألقت ميسورة بظك الكلمات بدأت للصور تتتابع فى حوادة  
 ورنق .. وانا اسمع واتأمل .. وأرى .



افقت من غيبوبتى لأجد نفسى فى العراء .. للششم تصهرنى ..  
الرمال تحرقنى .. فى مكان لم اطأه من قبل .. سساورتنى للشكوك .. أين  
أنا .. وماذا حدث بدأت استعيد الأحداث للفاقتة .. آخر ما أتذكره أننى  
مثلت أمام المحكمة .. وأصغر للقضى حكما بأبعادى عن المدينة بمبعوثا  
الى قولى انتقل إليهم ما بشوء ايلق من علم ومعرفة .. لكن كيف أتيت  
هنا .. بدأت استعيد الأحداث منذ اللحظة التى دخلت فيها للكهف ..  
أين تلك الكهف .. بدأت ادور حول الجبل .. لاشيء .. لا أحد ..  
تحسست لحيتى .. لمساء ناعمة .. للشكوك من جديد تزامم على ..  
والشريط يمر بطيئا .. هل كنت أطم .. أهذى .. كيف !!

الشكوك تهر شجرة يقينى من جذورها .. وأنا أحول ربط الأحداث  
هل ما ربى كل مجرد ظم .. وميسورة .. والمدينة للفاصلة بشوارعها  
وانفاتها وثامسا .. لا .. لا .. لم يكن ظم ..

بدأت استجمع أرائتى .. استنهض نفسى من خلال عشرات الأسئلة  
التي تلوقت على وأنا أرى على ذراعى آثار حقن .. ومع أمتنى كتاب ..  
تصفحته .. أنه كتاب «التنوير» الذى أهدنى إياه ميسورة .. حملت أمتنى  
لأعود الى ديارى وعشيرتى .. لأجد فى انتظارى نمرود ومصابته يقبضون  
على يضعون فى يدى الأماناد .. وفى رقبتي مقود يسحبونى الى سجن  
المصى .. انتظارا للمحاكمة ..



لم يكن الطريق الموصل الى المحكمة طويلا .. باب واحد انفتح على  
دهليز طويل الى قاعة المجد الرئيسية حيث تقعد جلسات المحاكمة ..  
القاعة معدة .. مكتظة بالبشر .. فى الخارج وقف الآلاف ينتظرون

الحكم .. حتى هذه اللحظة لم أكن أعرف أعضاء المحكمة .. وممثل  
الادعاء .. دوى. التنير يعلن تدوم هيئة المحكمة .. ابتسمت .. بسطوى  
في المتعة وخلفه سليم والذهل وسليط ودحروج .. وفي الطرف الآخر نمرود  
ممثل الادعاء . يتجه نمرود نحوى متباها .. طلووس مجوز أجرب ..  
بنذرنى بقولته :

— سامعرك .

لم يكن أملنى سوى أن أبصق عليه .. وأنا أتمتم :

— سنرى من سيقفل ذلك بالآخر .

بسطوى ينظر الى شخرا يتمتم فى وقار :

— فكروا اغلاله .

ثم يستطرد بصوت جمهورى :

— باسم الله .. مولانا .. ورب نعمتنا .. وباسم الحق والعدل

نبدأ المحاكمة .. المتهم حاضر .

أجبتة :

— نعم .

قال من جديد ؟

— الادعاء يتلو للتهمة .

نمرود فى غرور :

— انتحال صفة الاله واتجديف .

سألنى رئيس المحكمة :

— مذهب أم برى ؟

أجبت :

— مذهب .

استط فى يد الجميع .. حجر ثقيل سقط على رؤوسهم لتقدم التوازن

لصمت المطبق محبق بالقلق والحذر .. بسطوى يسألنى من جديد :

— دون أن تجدى دفاعا .

— لماذا والحكم قد صدر بإجماع الآراء قبل أن تبدأ المحاكمة .  
نمرود يلحظ من على المقعد واقفا على قدميه يروح ويجيء ثم  
يشير لى وهو يحدث هيئة المحكمة :

— سيدى الرئيس .. أنها مناورة خبيثة من المتهم .. حتى يؤلب  
طينا ألقاس : .. وأيضا لأنه لا يملك دليلا واحدا يدحض به الاتهام .. لذلك  
لما مصر على استجوابه حتى يثبت أمام الجميع صدق الاتهام الموجه إليه .

بسطاوى يسأل :

— ما رأى المتهم ؟

— أريد نقاشا الطلبة فيه للقتل لا استجوابا .

عوى نمرود :

— يا سيادة الرئيس أنه شرك جديد يريد المتهم أن يوتغنا فيه .

قلت :

— لماذا تخالف أيها الرد وقد امددتم مسودة حكم الاعدام .

قال بسطاوى مهددا :

— نحظر المتهم من احقة الاعماء مرة ثانية .

اعتب ذلك غفرة صحت .. اقتربت قبيها رؤوس هيئة المحكمة ليعلمن

بسطاوى بعدما :

— المحكمة ترى اجابة المتهم لعلبة بشرط أن لا يخرج بمناقشة عن  
موضوع التهم الموجهة إليه .

سأل نمرود فى صلفه :

— حدثنا عن الاله الذى هو انت .

قلت مقبلا والابتسامة لا تفارق شفتى :

— انتم الذين صنعتكم منى للها .

فى تلك اللحظة هاج نمرود .. صرخ :

— سيدى الرئيس يجب منع المتهم من الابتسام وهو يدلى بأقواله .

قال بسطاوى فى ضيق :

— على المتهم الامتناع عن اتيان أى افعال تؤثر على فهم هيئة  
الحكمة أو الادعاء سواء كان هذا بالابتسام أو الإيماء .

سكت بسطاولى يلتقط أنفاسه ثم استطرد قائلاً :

— الآن تكلم .. ولكن أوجز فغير للكلام مائل ودل .

قلت :

— تريدون حديثاً عن الله .

رد بسطاولى :

— نعم .

— فلنبدأ إذن بمهامته .

— نحن منصتون .

— هذا الإله الذى يتحدثون عنه تنكروا الأغلبية بينما الأقلية مازالت

تدرس وتقاتل لذلك فأنا أريد منكم الصمت والأصغاء .

قاططنى نمرود بصوته المتزز :

— لتفاهاتك .. الأصغاء لتجديك .

استكنه بسطاولى بإشارة من يده وبكلماته :

— لك هذا الحق أيها المتهم .

— فلنبدأ بلفظ الله .. الذى اختلفت فيه لغات العالم مما جعل البعض

يردد أنه لو كان الله موجوداً لألقى على نفسه لقباً واحداً تشترك في نطقه

كل لغات العالم بلهجاتها المختلفة ولكن لفظ الله يختلف من لغة إلى أخرى

ويطلقون بهذا على أن الله كجوهر أيضاً صيغة بشرية من اختراع الإنسان ..

اللفظ والجوهر مما ..

قال نمرود في زهو المتصر :

— للبداية حرجة .

— وحتى تكون لفظى مفهومه لديك ولإسائر البشر الأغبياء أمثالك

ليس أمامى إلا أن أكون مترجماً للقانون الإلهى إلى اللغة البشرية العادية

لماذا ؟ لأن الإنسان لا يستطيع أن يفهم قانون الله إلا من خلال إيمان

آخر .. لذلك كان الوسيط في صورة انسان .. مخترع .. فنان .. أديب  
موسيقار .. مصلح .. مبدع وليس مخلوقا من نوع غير بشرى .. ذلك  
حتى يتمكن البشر من فهم قوانين الاله الأعظم .

قال نمرود :

— لقد افترضت هنا وجود اله .. وقانون يضعه هذا الاله .. وبهذا  
نكون قد اعطينا للحكم قبل الحثيات .

— كل ما أرجوه أن لا تتعجل وتصمت حتى لا تضيع مني الكلمات  
بشرثتك الفارغة .

قال بسطاوى بحسم موجها خديته الى :

— لك هذا الحق .

استطردت مستكهلا :

— قبل أن نخوض في تعريف محدد لله .. ماهيته وجوهره .. نقول  
أن الأكوام منظورة أو غير منظورة تحكمها أنماط معينة من القوانين التي تنظم  
سيرها ومسيرتها وحركتها .. من هذه القوانين الثابتة على مر الدهور والأزمان  
أن لكل شيء سببا .. ولو شئنا الله بخلية أبداعية لا تثنى وإن مخلوقاته  
ليست سوى انقسام لهذه الخلية الأبداعية ولكن بعد إضافة مواد أخرى  
كيميائية ( مواد بشرية ) اكتسبت بها خواص جديدة ظاهرة بالانقسام الى  
خواص الخلية الأبداعية .. إذا قلنا بذلك فنحن لم نبتعد عن جادة الصواب  
ولكننا في نفس الوقت لم نقترّب كثيرا من الحقيقة ..

ثم إذا اعتبرنا الانسان قبل أن يتوحد بثوبه البشرى جزءا من نظرية  
اله الهندسية ثم البسنا هذا الجزء الثوب البشرى بما فيه من غرائز ..  
لتغيير بالتالي خصائص تلك الخلية الأبداعية لتصبح خلية بشرية تحمل صفات  
جديدة .. هذه الصفات الجديدة لا تمحى للخاصية الجوهرية الالهية بل  
تتمزج بها .. إذا قلنا ذلك فقد قلنا شئنا كبيرا نحو المعرفة الكلية  
لحقيقة الاله .

سأنتى بسطاوى بتؤده :

— حتى الآن لم تقل لنا ما هو الله ؟



— الله هو تلك الخلية الأبجية وكذلك مخلوقاته من انسان وحيوان  
ونبات وجماد لا فرق في ذلك بين الشمس والبقرة والقمر والشجرة والنجم  
الثابت والقطر الخائب .. كلها مخلوقات الله انقسمت من الخلية الابجية  
بعد ان ارتدت ثوبها المادى .. كلها حتى الجماد يحكمها المقتل الواعى رغم ان  
ظاهرها الجمود .. وحتى تقترب أكثر من مضمون تعريف الله نسال اولاً مامو  
الإنسان ؟ هو ذلك المخلوق المتطور للماتل الذى نفس الأرض منذ ملايين  
السنين والذى هو جزء من هذا المقتل الواعى حتى ولو اكتسب ظاهرياً صفات  
لا يحملها الله وهى صفاته المادية التى ترتبط به وجوداً وعمداً ويخطف بها  
عن الله .. فانه لا يجوع .. ولا يمشى .. ولا يأكل .. ولا يرتوى ولا يرغب  
امراً .. ولا يبول ..

سأل نمرود وكأنه امسك للذئب من ذيله :

— اذا كان الله فى تلك المخلوقات فكيف يسن القانون الذى يعاقب به  
نفسه فى مخلوقاته ؟  
قلت فى برود :

— مثل هذا التساؤل سطحي ويمكن الرد عليه بالرجوع الى القاعدة  
النورية البشرية واحد اعتمدنا ان القاعدة الصحيحة تستمد وجودها من  
قاعدة اعم واشمل صحيحة ايضاً .. فروع من فروع قانون الاله .. فالأب  
ينجب الأولاد من صلبه ومع ذلك لا يتوانى عن عقابهم ويتطابق تلك القاعدة  
البشرية على الله .. نجد أن عذاب الله لأبنائه من البشر ليس بمستبعد ..  
ولكن حتى مثل هذا الرد سطحي .. ذلك ان الحقيقة تكمن فى أعماق البهر  
فى سن المقلب كعبداً .. هل هو من صنع الله أم صيغة بشرية تداولها  
البشر بعد أن قاموا على تاليفها .. وبالتالي فلا عقاب فى الآخرة ..  
ولا جهنم .. ولا نار ..

قال نمرود فى غرور .

— أراك تنقذ على حصان اشهب فوق تلال السحاب لتزلق الى  
الأدلة .

— يا صديقى للندود .. اذا اردت رؤية الله مجسماً فتأمل الشمس

والنجوم والحيوان والانسان والنبات .. اما القول بأن الله يجلس على عرش .. وإن له مكانا محددا يجلس فيه يمكن التحدث معه بلسان طلق .. بهذه أوهاام صنعت بمهارة وضحتنا عقول تعيش في دروب الجبلية المربطة .. ولكن اذا اردت معرفة الله فليس أمامك سوى أن تصرف كل القوانين التي تحكم الكون ولن يتسنى لك ذلك الا اذا تحولت لكيونتك السابقة على ارتدائك للثوب البشرى .. وحتى في هذه الحالة لن تستطيع نقل هذه المعرفة للبشر لأنك لن تكون سوى قانون ؛

— تصد نص قانون .

— اذا قلت لك قانون عاقل نستضرب رأسك في اول جدار يملكك .

— قانون وعقل كيف ؟؟

— في منتهى البساطة .. القانون يفهمه الانسان ويقوم على تفسيره وشرحه ... والنظرية الهندسية ايضا يستظهرها ويستنتج منها المثلوق .  
هنا عقل الانسان منفصل تماما عن النظرية الهندسية او نص القانون .. ولكن في حالة القانون المائل بالقانون يمتزج تماما بلعقل .. وحدة واحدة والنظرية الهندسية هي الانسان قبل ان يدخل اطار بشريته المادية .. هنا لا توجد فقرة بين القانون ذاته وبين العقل فيعتبر قانون عاقل .  
— لقد صنعت كل ما تملكته البشرية اياه عن الروح التي تهلف على الميت بعد وفاته .

— للروح ماهى الا كلمة تحمل معنيين المجز والتلويح .

— تقصد التاريخ من خلال للمجز عن تفسير كينونة الانسان .

— نجحت في استنتاجك لذلك لن ابخل عليك بمطومة أخرى .

— ان كلامك كله يدور حول ماهية الله .. ولكن اما كان من الاجدى ان نبحث عن وجود الله قبل ان نبحث عن ماهيته .. فهل حقا يوجد الله ينظم هذا الكون ... أم ان هذا الكون ينظم نفسه ذاتيا دون ما حاجة لقوة منظمة .. متحركة .

— ان للسؤال المطروح خطير .. والاجابة عليه حرجة ذلك لأنه ليس في جيبنا أمام هذا التاريخ الطويل اكلة مادية ملموسة على وجود الاله ..

كل خصيلة الانسانية مناقشة تاريخية مثيرة بين المدينين والفقيرين لم تكن الى نتائج حاسمة فكل له حججه القوية .. ونحن ننحى تلك النقاشات جانباً .. لنبدأ حواراً مع انفسنا حول قضية وجود الله .. والزمان في هذا الحوار الصعب يعتمد على الأخذ بأسباب القتل والمقتل .. بمعنى رفض ما يرفضه القتل .. وقبول ما يستسيغه القتل والمقتل الخلاب .  
قاطعنى بسطواوى فى ضيق :

— نعود الى سؤالنا هل الله موجود ام غير موجود .  
— قبل الاجابة على هذا السؤال اود ان اطرح عليك انا الآخر سؤالاً آخر .. ماهو مال الأسرة خلية المجتمع الاولى اذا لم ينتظمها قانون يلتزم افرادها به .  
— وما صلة هذا بذاك .

— من نفسك اجبنى .. ماذا يحدث لو استباح كل فرد فى الأسرة لنفسه ان يفعل مايريد دون ان يحد رغبته قانون .. فيطير الشاب اخيه .. ويمتنع الأب عن الاتفاق على أفراد الخلية .. وتهمل الأم صغارها ويمبت الأطفال بكل مايتق فى أيديهم .. يحطوهم أو يقتلوا به .  
— انها الفوضى إذن .

— وإذا انتقلنا من فوضى هذه الخلية الصغيرة الى فوضى أوسع نطاقاً .. فوضى المجتمع كله .. عندما يرفض الإنسان العمل فى مصنعة أو حقله أو مكتبه .. عندما تضأه أشرف المرور لا تجاهين متضادين فى وقت واحد عندما يزعج بالبرىء فى السجن .. عندما يحكم للقاضى حسب أهوائه ومزاجه الشخصى .. عندما يقتل للقوى الضعيف دون حساب .. عندما تفت الوساطة والمحسوبية سمومها السرطانية داخل خلايا المجتمع .. عندما تترك السيارات فى عرض الطريق .. ويتوقف المرور .. عندما ترمى القمامة على أرصفة الشوارع .

صرخ نمرود بدمعة :

— هل تسمعون حديث العهد .. والغازه عن المرور والسيارات والقمامة .  
— أن ما قلته ليس سوى مدخل لقضيتنا المويصة بعد أن انتهينا

الى انه في غيبة القانون تحل الفوضى . فلابد لأى مجتمع كبير أم صغر أن ينظمه قوانين ويحكم تصرفات البشر الالتزام بهذه القوانين .. ومن هذا النطلق نستطيع القول أنه اذا كان القانون والالتزام به ضرورة حتمية للأسرة كخطة من خلايا المجتمع ... وبالتالي ضرورة حتمية لجسد المجتمع الذى ينظم هذه الخلايا .. فما بل هذا الكون الهائل الذى يمثل الانسان داخله أحد عناصره .. لقد ثبت علميا أن هذا الكون تنتظمه قوانين عدة تسير حركته يقوم العلماء باكتشافها على التوالى ... وما استطاع العلم اكتشافه رغم ضخامته .. وتنوعه ليس سوى نقطة فى محيط .

— انى لم أهم حتى الآن للصلة بين وجود الله وتلك القوانين التى

تحكم الكون .

— رويدا .. رويدا .

صاح نمرود :

— سلسطه سيدى الرئيس .. سفسطه .

— عودة معى الى الأسرة .. الخلية الأولى .. اذا تمنا نجد انه يوجد داخل الأسرة ثلاث عناصر أساسية تمثل مثلث الحياة .. قاعدة هذا المثلث الانسان وضلعاه القانون الأسرى ومنفذ القانون . فوجود القانون يستلزم وجود منفذ القانون وكذا من يطبق عليه هذا القانون .. واذا عبرنا خطوة أخرى وجاء تطبيقات تلك النظرية الى الكون نجد ان المثلث ينقص ضلع وهو منفذ القانون على اعتبار ان الكون أحد أضلاع هذا المثلث والقانون هو الضلع الثانى فالقانون لا يخلط عليه أحد وهو الذى ينظم حركة الكائنات الذاتية وكذلك ينظم كينية وجود ونشوء وبقاء تلك المخلوقات .. وكذا علاقتها بغيرها من الكائنات .. فالانسان والقمر والشمس والنجوم لها خصائصها الذاتية وقوانينها التى تحكم حركتها ووجودها .. وأيضا تحكمها قوانين تحدد الصلة بينها وبين غيرها من الكائنات .. لأن حتمية وجود مثل هذه القوانين يترتب عليها انتظام الكون فلا الشمس تقترب من الأرض فتصهرها ولا الكواكب تتناطح كالثيران غيفى للكون .. ولا الأرض يتوقف دورانها فتضمر فيها الحياة فلو لم ينظم الكون كل هذه القوانين

لحلت النوضى .. هذه القوانين ليست وليدة الصلحة .. لأن قانون تلده  
للصلحة يصبح مشا يمكن أن يتغير بمكسه تماما بين لحظة وأخرى ..  
وتصبح النوضى هى قانون الكون .. لذلك فإن هذه القوانين التى تحكم  
الكون قوانين عاقلة ملتزمة .. وكذا الكائنات التى يطبق عليها هذا القانون  
حقيقة لا خلاف على وجودها .. فبدون الكائنات تنفى الحكمة من وجود  
القانون ذاته .

— حتى الآن تلف وتدور كالنطة دون أن تلدغ .. فإن مكان الله  
فيها أثره من قضايا .

— اثبات وجود الله هنا لن يكون عن طريق التبر للكرى الذى  
لا يحتاج لاثباته الا لكلمات قليلة « الله موجود ومن ينكر وجوده فهو ملحد  
بآله النار خالدا فيها » بل اثباته سيتم بطريق العقلى .  
— نحن فى شوق لمعرفة نتيجة هذا التجديف .

— اذا كنا قد انتهينا كنتيجة حتمية بوجود قانون ينظم حركة الكون  
وعمله .. واذا كنا قد قلنا بحتمية وجود أجهزة لتنفيذ القانون .. كعلائل  
فى الأسرة .. والحاكم فى الدولة واذا قلنا بنظرية تطابق المثلثات نجد أن  
اضلاع المثلث الوضعى تتمثل فى القاعدة وهى المجتمع الذى يطبق عليه  
القانون وسلكا المثلث وهما لقانون والجهاز الممثل فى الحاكم .. وهذا هو  
المثلث الوضعى اما المثلث الالهى نجد أنه مثلث ناقص ضلع ويمثل هذا الضلع  
فى حاكم الكائنات .. أى الله الذى ينكره البعض . ذلك أن ضلعا المثلث  
الأخران وهما للقانون والكائنات لا يجعدهما أحد .... إذن فالخلاف حول  
الضلع الثالث هو الحاكم أى الاله .. وسبب هذا الخلاف ... أو الجحود  
أو الإنكار هو الفصل بين القانون وبين الله .. وذلك أنه فى المثلث الوضعى  
القانون ليس للحاكم بل منفصل عنه تماما .. أما الله فى مثلث الكائنات  
فهو غير منفصل عن القانون .. فالقانون هو الله .. والله هو القانون . وهذا  
هو وجه الخلاف بين النظرية الهندسية للوضعية والنظرية الهندسية  
الالهية ... فى النظرية الوضعية ينفصل الحاكم عن القانون .. ويتغير  
الحاكم رغم استمرار القانون .. بعكس النظرية الهندسية الالهية .. لقانون

هو الله وبالتالي لا يتخير الله بل هو موجود وباق لأن هذه إحدى صفات القانون . بمعنى آخر ما ضلعان في ضلع واحد !! وبالتالي فله إذا كان للحكم في المثلث الوضعي يحتاج لجهاز مستقل لتنفيذ القانون .. كالجهاز التنفيذي والتشريعي فإن الحاكم ( الله ) في المثلث الإلهي لا يحتاج لهذا الجهاز المستقل لأنه مندمج فيه .. وبالتالي لا يمكن فصل الله عن قانون الكون بكل دقائقه والذي يحوى بداخله أجهزة تسييره فالإنسان والحيوان والنبات وكلية الكائنات ينظمها قانون له بداخلها أمسوان ( أجهزة ) تقوم بتنفيذ هذا القانون .. هذا القانون ليس مسوى فروع من فروع القانون الأشمل والاعم وهو الله ..

بحيث تنتهى الى أن المخطوبات والكائنات سواء التي ندرجها أو التي لا نعرف عنها شيئاً محكومة في نشوئها وفي حركتها .. وفي منافعها بقوانين مدة هي في النهاية إحدى لدوع القانون الأكبر وهو الله .. وإذا كنا نريد معرفة كنه الله فليتنا أن نحيط بكل أفرع هذا القانون الأكبر وأن تتسع مداركنا للمعرفة الكلية بهذه القوانين صغيرها وكبيرها لأن هذه المعرفة هي الطريق الوحيد لمعرفة ماضية الله .. هذه المعرفة معرفة علمية تتسوم على حقائق واستنتاجات .. وليست مجرد انشاد في كتب دينية .. هذه المعرفة تتطلب الإلمام بكل أسرار القوانين التي تحكم الكون ..

سألني بسطلوى :

— وهل هذا ممكن .

أجبتني :

— ولم لا ؟

— بلى ؟

— هذا هو جوهر المشكلة .. أن الفكر الإنساني مزلزل متخلفا .. كما وأن الوصول الى مثل هذا الهدف يستلزم تكثيف الجهود العلمية واحتضان العلم للمثل .. وقد يستغرق ذلك آلاف السنين .. والإنسان يمكنه اختصار هذه المسافة الزمنية الطويلة إذا مركز عقله على اكتشاف القوانين التي تحكم

المخلوقات وربط بينها وخرج بنتائج محددة .. لكل قانون يرتبط بقانون غيره .. بل واعتقد أن العقل البشرى إذا تعمق للعلم وكثف المعرفة واستوعب العلوم الإنسانية يستطيع أن يصل إلى ما يعتبر معجزة من الصعب تحقيقها وهي صناعة الإنسان .. فالإنسان اختراع كالطائرة واللفزيون .. بل يمكن تطوير هذا الاختراع بصورة أفضل .. لننقل صناعة الإنسان من صورتها البدائية إلى أخرى صاروخية .

قال نمرود في غرور وثقة :

— سؤال أخير ياسيادة المتهم .. قلت أنك وباتى المخلوقات تفتخرون

في قانون هو أحد فروع القانون الأشمل الذى هو الله .

— صدقت .

— إذن فانت لست سوى فرع من فروع هذا القانون .

— صدقت .

صرخ من جديد :

— كما سمعتم أنه يدعى الألوهية .. أو كما قال بعضهم ليس في

الجنة غير الله .

قال بمسطاوى بتمدد .

— حتى الآن لم تجبني إلى تساؤلى .. كيف الله ؟؟

— للإجابة على هذا السؤال سننتبع هنا قاعدة أساسية

تحكم المجتمعات منذ وجودها منطقية في نشوئها وفي استمراريتها

على مر الأجيال هذه القاعدة تستلزم أن يكون للحاكم أدواته في

تسيير دفة البشر في المجتمع وهي ما عبرنا عنها بالأجهزة

التشريعية والتنفيذية .. وكذلك للكون لابد أن يكون له أدواته ..

هذه الأدوات هي الأجهزة الذاتية التى تدير حركة الكون من شمس وأقمار

وكائنات وللعقل الإنسانى ليس سوى واحد من تلك الأجهزة باكتشافاته

واختراعاته وحتى لا نضيق وسط هذا الزحام الهائل المتلاحق من الأسئلة

والاجابات نعود إلى السؤال مامو الله خاصة وقد جاءت الأديان خلوا من

اجابة مقنعة لهذا التساؤل .. وهذا ما حدا للبعض ان يتساءل في خبث  
« اذا كانت الاديان من قبل الله والرسول قد تحشوا الى الله مباشرة او  
بواسطة ملائكة فلماذا لم يسر لهم بكيونته .. لماذا لم تصل الينا صورة  
هذا الاله الاعظم .. ولسنا هنا في مجال اللرد على هذه الاتهامات فانها تحتاج  
لشرحها مجلدات .. ولديكم والحمد لله شيوخ وكهان يفتلون في سبات الكتب  
التقديمية ويرتمون في احضان الخرافات والخزعبلات .. ولكن ليس ايضا  
مستحبا ان يتصف الله بالأوصاف البشرية .. فنطلق عليه أوصاف  
للجبار .. والتكبر .. وغيرهما وهي أوصاف يمجها الانسان العاوي ويرفض  
اتصافه بها فكيف بالله إذن ؟؟ الصعوبة في تحديد ماهية الله ناتجة أساسا  
من الفكر الذي يسيطر على العقل وهي تحجيم الله بنظرة بشرية لذلك فقد  
شبههموه بذلك الذي لا ينلم وييطس على العرش وحوله أعوانه المخلصين من  
الملائكة وغيرهم .. لذلك فعندما يوصف الله بأنه قانون الكون .. وان القانون  
هو الله يصبح لازما علينا عدم اسس هذا الفكر ومنها تحجيم الله وكذا  
ما ارتبط به من أوصاف وبالتالي هجر ما امنتة الأديان من وصف الله بالملك  
القدس الذي يجلس على العرش ومعه أعوانه المخلصين في السماء من  
الملائكة .. وعلى الأرض أعوانه من الأنبياء ينفذون قانونه الذي اوحى به  
اليهم .. علينا ان نهجر هذا الفكر للهائنا نجد فيه تعارضا بين المثلث الوضعي  
« الانسان والحكم والقانون » وبين المثلث الالهي « الكائنات والملك  
والقانون » .. ففي هذا الفرض ينتفي للتعارض بين المثلثين بعد ان أصبح الله  
مندمجا في ( القانون ) وللقانون مندمجا في الله وبالتالي لم يعد  
ثمة حاجة للاعوان من الملائكة والرسول لأن قانون الله ينفذ تلقائيا  
ذلك لأن بداخله كل مقومات تطبيقه .. أي أدوات التنفيذ ..  
ويقتصر دور الانسانية على اكتشاف اسرارها .. ويترب على هذه التفرقة  
انه اذا كان الله هو القانون فهو قانون ابدى أزلي غير قابل للتغيير والذي  
يتغير عندما يكشف العلماء نظرية ثم يتبين خطأها ليست جزئية في هذا القانون  
الأبدى الأزلي بل هو تعبير عن عجز الانسان أو من مخرات للعقل البشري



في طريقه للوصول الى الحقيقة .. نعمتي وصل العقل البشرى الى هذه  
 الحقيقة فلا تبديل فيها ولا تغيير .. وهو ما يجبر عنه بالقبول الكامل أو  
 لقانون الالهي .. والله ليس هو احد نروع هذا القانون .. بل ان الله هو القانون  
 الكامل لهذا الكون الذي نعيش فيه أو نراه .. وحتى نصل لحقيقة هذا الاله  
 علينا ان نلم بكل القوانين التي تحكم للكون .. وبالتالي فإذا كنا بصدد  
 قوانين تتعدل وتتغير فهي ليست قوانين آلهية وعلى هذا فإذا كنا قد سلمنا  
 بوجود قوانين تحكم هذا الكون .. وبضرورة حتمية تلك القوانين لانظام  
 الحياة حتى لا تحل الفوضى .. وسلمنا بهذه الأمور تسليما لا يقبل الجدل  
 أو للنقاش وإذا كنا قد انتهينا الى ان هذه القوانين التي تحكم الكون ليست  
 من صنع البشر .. فهي قوانين سابقة على وجوده لها قواعد وأسس  
 ونظريات يقوم الانسان باكتشافها واستيعاب مفاهيمها ثم تطويرها أيضا  
 من داخل شعاب هذا القانون .. هذا التطوير ليس أيضا قانون صنعه  
 الانسان .. بل هو احدى وسائله في الوصول الى حقيقة هذا الكون أو  
 القانون الشامل ... الله .. ولكن تجسد الفكر لحد معين يضي في النهاية  
 تصور العقل البشرى عن استيعاب الأسس العلمية والحقائق المتكفية التي  
 تؤدي في النهاية الى المعرفة الشاملة بهذا القانون الأعظم .. لذلك فملاعتقد  
 الكيرسرى في عروق أحد الأديان أن كتابا ما أو نظاما أو دعوة هو نهاية مطلق  
 البشر وإن لا قبله ولا بعده .. ليس سوى دعوة للتجدد .. والجهل .. والعودة  
 الى احضان التخلف والتكوص من السير في ركب هؤلاء الذين يبحثون بالعلم  
 عن وجود الله حتى ولو لم يكن ذلك مقصدهم .. وعلى هذا فإن توقف العقل  
 البشرى على لوح الأديان واعتبار هذا اللوح أمل البشرية المستقبلية مع انه  
 في الحقيقة ليس سوى مرحلة من مراحل محاولات الفكر الجادة التي بذلت على  
 مر العصور لاكتشاف نصوص هذا القانون .. والتي كانت في ذلك الوقت  
 إحدى الضرورات الحتمية لاتخاذ البشر مما هم فيه من معاناة وتخلف ..  
 لم تعد مثل هذه الإنكار الوسيلة المثالية والحل الأشمل والأمثل للوصول بها

الى معرفة ذات الله أو الالهام بكل قوائمه .. بل أصبح العلم هو البعث  
للايجاد للوصول الى تحديد ماهية هذا الاله بعد ان يتم الربط بين النظريات  
العلمية المختلفة للوصول بها الى الوحدة الواحدة التي تمثل وحدة القانون  
الى وحدة الله ..

ان نهاية مظالم الأديان لو تحققنا العتل في مفزاهها وضموها نجد انها  
تعريف للانسان بمضنون للخطا والصواب .. هذا المضمون الذي يمر بمرحلة  
احتضار بعد ان هجرت القوائن للوضعية والعرف السائد أغلب مائه من  
أحكام .. وبعد ان طرحت أرضا كثيرا من المسلمات الدينية التي استحوذت  
على العقل فترة ليست بالقصيرة واستطاعت أن تغفن تحت أرضها في عصور  
الظلام بسطوة وقوة الداعين لها نور العقل وضياء المتعلق ووضعية العلم ..  
لم يدم ملائمتها العودة الى هذا المضمون أو الدعوة الى الارتقاء في أحضانه ..  
مثل هذه الدعوة اذا لم يواكبها فكر مستنير .. وتطور في المفهوم تصبح مثلها  
كمثل الرحالة الذي يحاول للوصول الى القطب الشمالي بلحدي الدواب في  
عصر الفضاء والركبات .

قال نمرود في زهو :

— أنت اذن تنكر الأرواح .

بـ هل تقصد بها بحر الاعاجيب .. البحر الذي لا تجد فيه نقطة ماء  
واحدة .. والذي ملازلنا ندرج على تسميته بالزوح .. أم تقصد بها  
« الأرواح » ( البيمونه ) التي كانت تبيعنا اياها ( أم الرزق ) وأنا طمئذ غر امام  
المدرسة الابتدائية .. أم تلك الأرواح الشريرة التي تنتمص البعض فتحيل  
حبيته خبيثا .. حقا أنا لا ادري من أين أتت تلك المقولة الدارجة لكنها تعبير  
شائع ليس له أساس علمي .. ورد في كتب الايمان وسبقها الى الميدان  
بعض مخطوطات قديمة .. ثم تداولتها المذاهب لتحاول الوصول بها الى  
تعريف جامع مانع .. ولكنها عجزت فبقيت تلك الكلمة الشائسة على مدار  
القرون سبة للفكر .. حجة رقطاء ثبتت سمومها في العقل تعبر أولا عن عجز  
الانسان عن تفسير مكون نفسه هل هو مجرد جسد ينطرح في النهاية على

أرض أو في أعماق بحر أم أن بداخله قوة خفية جبارة دائمة غير منظورة وهو ما يطلق عليه الروح .. وتعتبر ثانياً عن المجزأ البشري في فهم ماهية هذه الروح على أرض وجودها .. ويستدل بها ثالثاً عن الامان المسببت لتحويل هذا المجهول المطلق الذي لا يعرفه أحد .. الى وجود حقيقى دون أن تسنده حقيقة أو نظرية علمية أو استنتاج عقلى .

سأنتى بسطوى خاتقا :

— وما رأيك ؟

— رأى أن الانسان مازال وسيبقى لفترة بعيدة مخلوق مستطلق على انهم .. قد تفهم ظواهره .. ولكن تبقى اسبابه سرا يستمضى على عصا موسى تحويله الى حقيقة مرآه ... والدعش أن هذا المجهول الذى مجزأت للكتب السماوية عن الايتان له بقبس من نور يضى قلعة معانيه .. هذه الكتب تتحدث عن صعود هذا المجهول للغير معروف الى بارقة وتضيقه بشنى أنواع المذاب في القبر .. كيف وهو مجهول غير معلوم .. غير معروف ... كيف يصعد الى السماء ما لا نعرفه .. وكيف يعذب ما لا نغفبه ؟؟

— اذا كنت ستعرض الروح .. لماذا بقى من الانسان .. جسد ينطرح في البيداء ..

— ليس أمامنا سوى مفهوم آخر يستحوذ على الفكر بمقلاتية .. فالانسان ليس سوى نظرية هندسية محفوظة في عقل الله .. وبامتزاج هذه النظرية الهندسية بالنظرية المادية يتكون لدينا مخلوق يسمى بالانسان تباعا كالمخترع الذى صنع الانسان الآلى .. نظرية هندسية ومادة خلم .. النظرية الهندسية لا تختلف من انسان الى آخر .. ولكن الذى قد يظف هو لدائن الصنع .. وبالتفليس نجد أن الانسان يتكون من نظرية هندسية وكذا مادة .. المادة فى الانسان واحدة .. لا تختلف من شخص لآخر .. لكن الذى يميز الانسان البشرى عن غيره من المخلوقات ليست المادة .. ولكن كيفية صنعها للمادى وهو ما يطلق عليه بالنظرية الهندسية ..

وما تحله من صفات وراثية .. ونحماً يموت الانسان .. فالذى يموت فيه للخلايا .. أما نظريته للهندسية فتبقى خالدة .. تماماً كما يحدث عندما يحطم انسان الى ويتحول الى قطع من الصلب ، تندثر المادة أو تدخل من جديد في صناعة أخرى كما يحدث الآن للانسان في حالة التجديد الجزئي الذي يستعين فيها بعمليات للزرع لكن في النهاية تبقى النظرية الهندسية خالدة .. باقية .

— هل تعنى بذلك ان الله هو تلك النظرية الهندسية .  
— بل اعنى ان هذه النظرية الهندسية ليست سوى إحدى فروع القانون الالهي .. وحيث ان هذا القانون يتوحد مع الله .. اذن فالله هو القانون والقانون هو الله .

قال بيسطاولي :

— كم نريد ان نسمع مزيداً عن هذا القانون والذي منيت به الله .  
— ليس القانون الذي اقصدته نصاً في كتاب .. بل هو قاعدة تفسر عليها حياة الكائنات وحركة الكون .. بدونها تحل الفوضى .. فاذا قلنا ان الجاذبية يحكمها قانون علمي فليس المقصود بهذا القانون النظرية التي وضعها نيوتن .. لأن النظرية لم يخلعها بل اكتشفها . بمعنى ان قانون الجاذبية كان سابقاً على استظهار نيوتن لها .. كل ما فعله انه استطاع بقدرانه وملاحظته الدقيقة ان يكتشف وجوده .

سأل بيسطاولي بذلكه :

— تقصد ان الاكتشاف مسبق بالقانون .  
— بل اكثر من هذا ان القانون لا بد وان يكون سابقاً على وجود الكون والكائنات .. لأن تلك الأكوام لم تنشأ من فراغ .. بل كلن مسبب نشوئها مقون سابق على وجودها .

في تلك اللحظة علا صوت نمرود محتباً بمسخرية :

— ولذا لا يكون العكس هو الصحيح يا ملهم .

### أجبت به بحدة :

— كلامك يعنى أن وجود الكائنات سابق على وجود القانون مثل هذا الفرض لا يتفق مع مسلمة المنطق فالقانون هو الذى يحكم الأشياء وينظم سيرتها .. لا الأشياء هي التى تنظم القانون .. فضلا عن ذلك فإن مثل هذا الفرض يتعارض مع نظرية السبب المتشعب .. فكل شيء سببا .. فسبب نشأة الكون وجود قانون ينظم نشأته واستمراره .. وزوال الشيء الذى أنشأه القانون لا يعنى البتة زوال القانون الذى يحكمه .. فالقانون يبقى حتى مع انعدام الشيء أو موته : كل ما فى الأمر أن شروط تطبيق القانون على شيء بعينه لم تعد متوافرة لزوال هذا الشيء أو انعدامه .. وعلى هذا فالقانون لا يتعرض للموت أو الانقراض أو الزوال أى أنه ابدى دائم .

عقب بسطوى قائلا :

— تقصد الله بحديثك ؟

استطردت دون أن اعلق على حديث رئيس محكمة الجازيرين :

— كذلك نجد أن هذا القانون هو الذى يحكم حركة الأشياء من نقطة البداية وأثناء دورتها حتى النهاية .. يسيطر عليها وهى تتحرك داخل نطاق تطبيقه وفروعه المختلفة .. لكن هل تعنى هذه السيطرة إلغاء إرادة الكائنات .. هل تعنى أنها ليست سوى تطلع شطرنج يحركها القانون .. لا .. بل تعنى أن الكائنات تتحرك داخل نطاق هذا القانون لا تتعداه ولا تنفصل عنه ولكنها وهى داخل هذا النطاق لها إرادتها وحريتها الكاملة .. أى الاختيار .. فالظواهر الطبيعية من حرارة وبرد وأمطار ورعد وحركة الكون من شمس ونجوم وأقمار .. وحركة الإنسان والحيوان والنبات .. كل هذه الظواهر الطبيعية يشعلها القانون بفروعه المختلفة .. وتقدر فى ذلك لا نستطيع أن نتعدى نطاقه إلى الفوضى .. لأن الفوضى لا ترسم لوحتها الشريفة إلا فى غياب القانون لكن هل يعنى وجود قانون يحكم حركة الأشياء ونشوتها ونهايتها التزامه بها .. هل يعنى هذا التزام القانون بنفسه ..

صاح نمرود زاعقا :

— تخريف وتجديف سيادة الرئيس .. يريد أن يقول أن الله يلتزم  
مثل التزام البشر .

قلت والابتسام لا تغادر شفتي :

— مهلا يا نمرود .. مهلا .. والله لو كنت كلبا لبترت ذيلك حتى  
لا تبصيص به لصاحبك .. ولو كنت قطا لقطعت لسانك حتى لا تموء ..  
تاطمني نمرود في حده :

— هل تسمع ياسيادة الرئيس ؟!

قال بسطواى :

— المحكمة ترفض الِذاء .. وتطلب من المتهم الالتزام بالموضوعية .  
ابتسمت في اللحظة التي صرخ فيها نمرود من جديد :  
— أنه يبتسم .. أمنعوه .

قال بسطواى :

— وبعدمالك يانيابة .. خلى عنك قليلا من النظر .. اكمل يا متهم  
اكملت قائلًا :

— هل يعنى هذا تطبيق قاعدة الِزام والالتزام على المخلوقات والاله  
بمساواة مطلقة .. فلا يجوز أن يخرق القانون نفسه كما لا يصح أن تخرج  
الكائنات عن نطاق القانون .. بمعنى أن الِزام يقابله التزام .. فانه  
عندما يلزم البشر بقانون يلتزم هو الآخر بهذا القانون .. ومن ثم فلا يجوز  
تعديله أو تغييره . لأن تعديله يعنى الاخلال الجسيم بقاعدة الِزام التي ألزم  
بها للبشر .. فإذا هو خرق القانون .. فليس عليه أن يطلب البشر بالالتزام  
ببأنفان .. أى الزامهم به .

سأل بسطواى في هدوء :

— إذا كان حينئذ صحيحا فلماذا تخرج الكائنات على القانون الالهي  
— الكائنات لا تستطيع أن تخرج عن القانون الذى وضع بحكمة وبمهارة  
لأن هذا يعنى الفوضى .. والانهيار وللزوال .

— وإيمان الشر ليس خروجا على القانون .

— أن الخير والشر اثنان من فروع القانون .. للالسان الاختيار

بينهما .. فالإنسان عندما يسرق يرتكب جريمة .. وعندما يقتصب ثمنه يرتكب معصية .. كل هذه تفصيلات .. لكن هل يعني أتيانها خرق القانون الإلهي وانتهياره .. لا .. لأن الشر والخير توأمان متصارعان لذلك فمثل هذه الجرائم تتدرج تحت نص القانون رغم أنها مرفوضة من المجتمعات .. وتعاقب عليها .. ومضطور أتيانها لأنها تسبب ضررا بالغير .. وبالمجتمع .. لأن القانون كامل .. والله لا يغير من كماله .. لأنه إذا فعل فسيتم تعديله لقانون ناقص لأن القانون الكامل لا يتكرر كماله مرتين أو ثلاث في موضوع واحد .

قال بيسطاوى :

— إذا كنت تقصد بحديثك أن الله يلزم نفسه بنفسه لماذا لا يلتزم الحكم بالقانون .

— صديقي رئيس المحكمة اللدود .. أن الإجابة سهلة يستطيع نمرود أن يجيب عليها .. فهلا وجهت إليه سؤالك .  
تصدى نمرود للإجابة :

— أولا .. الإله يستطيع أن يفعل ما يشاء .. لا يلزمه قانون وضعه .. يغير فيه متى شاء وكيف ما شاء وبالتالي والحكم يمثل الإله على الأرض له أيضا هذا الحق .  
قلت في استياء ظاهر :

— هل يصدق أحد هذه الخرافة .. إن الحكم الذى لا يلتزم بالقانون باسيد نمرود لا يفعل ذلك الا مع شعب من الماعز أو الخراف .. شعب لا يعرف حقوق الحكم وواجباته .. فإذا تجاوز وخرج على القانون .. نرحوا به وهلوا .. بدلا من أن يمزقوه أربا .

نجاة دوت في القاعة صرخة .. اتجهت بتظارى الى صاحبها .. لم يكن سوى ضناح :

— والخوارق يا مولاي أو ليست خرقا للقانون الإلهي .

بيسطاوى يصرخ هو الآخر :

— اتحد .. اتحد .. أنها محاكمة .. وليست ندوة .

أجبتة في هدوء :

— يا صديقي قصر القائمة أن الخوارق التي يكتشفها الانسان أو تلك التي اكتشفها ليست سوى أحد نروع القانون الكامل .. وتتم في نطاق هذا القانون وما ندعيه نحن من خوارق كالمخترعات العلمية .. أو النظريات الهندسية أو الكيميائية ومعجزات البشر ليست سوى واحد من فروع هذا القانون العام الشامل .. لذلك فلا تعتبر خوارق .. لأن الخوارق معناه خرق القانون .. والطو عليه بمعجزة ليست فيه وهذا يتناقى أصلا مع وجود قانون كامل يشمل كل شيء حتى ما ندعيه من خوارق ..

مرت فترة صمت قصيرة .. طلب مني بسطاوى استكمال ما انقطع .  
أجبتة وقد حل بي للتعب والارهاق :

— فلنؤجل ذلك للغد يا سيد بسطاوى .

قال بسطاوى :

— إذن فلنؤجل القضية للغد .



في اليوم التالي انعقدت المحكمة .. الهيئة تجلس خلف المنصة .. الناس يتابعون وقائع الجلسة بشغف واهتمام .. مناع يبتسم لى .. الوحيد الذى يستطيع الابتسام في جنة للشقاء .. رئيس المحكمة يطلب مني وصل ما انقطع .. قلت في هدوء مريب وأنا اقلب صفحات الكتاب :

— موضوع الحديث لليوم مخلف يا سيد بسطاوى . بعد أن انتهينا من حديثنا عن الله .

— المهم أن لا نخرج بالحديث عن نطاق التهمة . هيا اقرا تعاويذك !!



## الاختصار

— قيل إن العقل هو ما يميز الإنسان عن الحيوان .. لذلك وصف الإنسان بأنه حيوان عاقل .. هذا التمييز ثوب فضاض يسمح كثير من المعاني .. فماذا يعنى العقل ؟ .. هل هو الفهم .. أم الإدراك .. أم التمييز أم القدرة على التصرف .. أم هي تلك المعاني كلها وغيرها مجتمعة ؟  
قيل أيضا أن الإنسان حيوان متكلم .. فهل للنطق وحده يكفى للتمييز بين الإنسان والحيوان مع قصور هذا المعنى عن استيعاب كل أسباب الاختلاف الجوهرى بين الإنسان والحيوان .. فضلا عن أن اللغة والتحدث بها ليس سوى نتاج تطور طبيعى قد نجد مثيلا له في لغة التفاهم بين الحيوانات التى نكتشف بصيص نور من المعرفة عنها قد يوصلنا الى أسرارها ..

لذلك كان الاختيار بمعناه حرية اختيار البدائل هو المعنى الكلى الذى يندرج تحته كل أوجه الاختلاف بين الإنسان والحيوان هو البوتقة التى نصب فيها كل العلوم الإنسانية .. والاختراعات العلمية مصارة فكرها ..  
فمن خلال هذا الاختيار وما يعنيه اختيار البدائل أورتقت شجرة المعرفة أوراقها وبات الإنسان يستظل بها قرونا طويلة .

وعودة الى التاريخ القديم .. الى الإنسان البدائى الذى كان يخاف فى أسلوب حياته اليومية بين بدائل كائنة وموجودة وبين انسان العصر الذى يختار بكامل ارادته بين بدائل كائنه أو بدائل من اختراعه هو .. بين هذا وذاك عصور أخرى هبت فيها عواصف الجهل .. تقطع من أرض المعرفة شجرة الفكر وتغذف بها فى غياهب الظلام وعصور أخرى طرحت فيها بدائل الفكر على ساحة للنقاش واستطاع العقل البشرى أن يفتو معال الفكر الأسود يحطبه وينحيه جانبها لينهل بعد ذلك من ينابيع العلم .. للعلم هذا الامبراطور العظيم الذى استطاع وحده أن يستحوذ على الساحة بكل رأسه تاج

المهمة .. ويزين صدره نياشين النظريات الحديثة في الطب والهندسة وعلم  
الفناء ولكن منذ متى يبدأ هذا الاختيار ؟

الاختيار يبدأ منذ مولد الإنسان وينمو بنموه ويتدرج حسب مراحل  
حياته من طفولة .. لصبا .. لشباب .. لكهولة .. هذا الاختيار يدخل في  
تكوينه عنصران للشخصية وما يؤثر فيها من صفات موروثية ومكتسبة ..  
والموقف وابعاده النفسية وردود أفعاله .

ونتيجة لهذا يختلف رد الفعل للحدث الواحد من شخص لآخر .. بحيث  
يمكن القول أن رد الفعل هو ناتج مزج الموقف بالشخصية وإذا ما حولنا هذا  
الكلام الى أمثلة نجد أن رد فعل الزوج الذي يضبط زوجته عارية في أحضان  
عشيبتها يختلف من شخص لآخر حسب توليفة شخصيته .. فقد يتمثل رد  
الفعل في القتل .. وقد يقتصر على الصراخ أو البكاء .. أو إبلاغ للشرطة ..  
رد الفعل في هذا قد يختلف أيضا للشخص الواحد حسب أبعاد الموقف الذي  
يواجه نفس الشخص .. فمرد فعل للزوج الذي يجد زوجته عارية تماما في  
أحضان عشيقته .. غير ذلك الذي يرى فيه نفس الزوج العشيق خارجا من  
حجرة نومه فقط !!

الاختيار .. بمعناه الحقيقي وهو اختيار البدائل يعني  
بالضرورة الحرية في اختيارها أي أن الحرية أحد مستلزمات قيام مبدأ  
الاختيار لكن هي تعني تلك الحرية استعمالها بلا قيود أو ضوابط .. بمعنى  
آخر هل لكل إنسان أن يختار ما يشاء وأن يفعل ما يريد ؟

نعم الاختيار بهذا المعنى الواسع يؤدي الى كارثة في حالة ما اذا الحق  
فعل صاحب الاختيار ضررا بالغير .. لأن مثل هذا الاضرار الذي يفرض على  
الغير قسرا يعني في النهاية الحاق الأذى به دون أن يختاره .. وبالتالي فهو  
هدم للاختيار المكنون له !! فمثلا اذا سار شخص عاريا في الشارع فهو  
يمارس حرية اختياره .. ولكنه في نفس الوقت يلحق ضررا بالغير الذي  
يتأذى من هذا الفعل الفاضح ويرفضه وبالتالي يضع قيда على اختياره يتمثل  
في عنصر الاجبار الذي يفرض عليه برؤيته عاريا .

ولكن اذا كان ولا يبد أن يمارس حريته في التعري فليكن ذلك في مكان لا يلحق الضرر فيه بالغير .. على سرير رغبته مع امراته او في الحمام مع الماء الساخن أو للبارد !! ومع ذلك فقد مر التاريخ بمراحل لم يكن الانسان ليتأذى من منظر العرى وكان للرجال والنساء سواء لا يستدرهم حتى ورقة توت وهذا ما يدلنا الى القاء الضوء على الموقف وابعاده النفسية .. فصاحب الاختبار عندما كان عاريا في الحمام او بجوار امراته لم يلحق ضررا بلعده .. ومن ثم فينمقد له اختيار كامل في العرى وارتداء امرأة لباس البحر ( المايوه ) في أحد الشوارع يرفضه المجتمع .. بعكس الحال اذا كان هذا المايوه يحيط بجسد امرأة في أحد حمامات السباحة او على أحد الشواطئ .. في الفرض الأول اختارت المرأة ارتداء المايوه في الشارع فحدث اختيارها هذا ضررا نتيجة تأذى جمهوره للناس من رؤية هذا المشهد .. وفي الفرض الثاني مارست المرأة اختيارها الكامل من خلال لائحة اجتماعية قبلها رواد هذا الحمام او هذا الشاطئ .. هذه اللائحة تتيح لها ارتداء المايوه وتوجب على الآخرين عدم استهجان مثل هذا الأمر لانهم بقبولهم اللائحة الاجتماعية يفترض رفضهم بكافة النتائج المترتبة على ممارسة غيرهم أحد الحقوق التي كفلتها تلك اللائحة ومنها ارتداء لباس البحر ..

وما يقال هنا ينطبق على مستعمرات العرا .. فليس من القبول أن يتأذى أحد أعضاء هذا المجتمع الخاص من العرى ويرفع شعار التحجب للمرأة التي ترتاد هذا المنتدى . وينعكس الحال اذا حدث مثل هذا العرى في شارع أو زقاق .. لذلك فلا غرابة أن توصف قبلة الحبيبين في شارع من شوارع بعض البلدان أو في أحد المركبات العامة قبلة زانية غير شريفة !! بل وتمتد من الجرائم للوضعية التي يجرمها القانون ويسجن من اجلها مرتكبها .. بينما تعد مثل هذه القبلة في مجتمعات أخرى من الأمور المستباحة اتياتها .. رغم أن الموقف واحد في الحالين ويمثل قبلة عاشقين !! فلماذا أذن اختلف الأمر من تجريم لاجابة ؟! السبب في ذلك يكمن في الضرر .. فمجتمع ينظر الى مثل هذا الأمر نظرة تحريم وتجريم اخلاقية تسند لها تقاليد وعرف

مسائل يوتب عليها ضرر اجتماعي بغض النظر عن صحة هذه النظرية  
التجريبية .. بينما مجتمع آخر يجد فيه أحد روافد الاختيار يمنع مع  
حدوثها الضرر ماذا كنت لا تريد أن تقبل حبيبك أو لا تستطيع فدع غيرك  
يفعل !! كما قلنا الاختيار يبدأ منذ مولد الإنسان .. أما قبل ذلك فالاختيار  
كان معقودا لذكر وأنثى في مواجهة جنسية ناتجة هذا الجنين الذي يولد  
نتيجة هذه العلاقة حتى ولو لم يكن قصد الإثنان الحمل والولادة حتى ولو  
كان ما يحركهما رغبة أو نزوة طارئة أو حتى اغتصاب مادام الحمل أحد  
النتائج المحتملة لتلك المعاشرة الجنسية لكن بعد أن يتم التخصيب ينقذ  
الاختيار للأشئ على اعتبار أن الجنين أصبح - رءا من جسدها الى أن  
تلد .. لكن بعد الانفصال الجسدي بين المولود ومذيمة الأم يبدأ اختيار  
الطفل نتيجة استقلاله .. هذا الاستقلال الجزئي الذي تستمره الأم بتلبية  
احتياجات المولود تبدأ دائرته في الاتساع ويبدأ .. رويدا ويفمو تدريجيا  
حسب نمو الطفل .. وتزداد أوجه اختياره .. فيترك ثدى أمه الى لمبه ..  
ثم يهجرها الى اصقائه حتى اذا ما بلغ مرحلة الشباب .. شحته المراهقة  
الى شباكها ماذا ما تخلص منها بدأت مرحلة للنفسج وتحقيق الذات  
والاستقلال الكامل عن المستمر الفاشم .. الأم والأب ...

وحتى يكتمل الاختيار لدى الإنسان يجب توفر عنصران التمييز والحرية  
التمييز أى للتسيرة على الاختيار فالمجنون لا اختيار له .. والحرية  
أى الحرية فى استعمال هذا الاختيار بحيث يمكن القول أن الحرية أسلوب  
ممارسة .. وليست هدف فى حد ذاتها .. إنما الهدف الحقيقي هو  
الاختيار .. كما وأنها شرط لنشوء الاختيار وسبب لاستمراره ففى غيبة  
الحرية لا يمكن للاختيار رؤية النور ولا البقاء حيا .. فالحرية هى الهواء  
الذى يساعد الاختيار على الحياة .. بدونها يختفى .. لكن ممارسة الاختيار  
مشروطة أيضا حتى تحقق هدف الاختيار بعدم إلحاق الضرر بالغير .. وتبد  
عدم الإضرار بالغير هذا شرط جوهرى حتى لا تتحول الحرية الى فوضى ..  
لكن للتوسج فى هذا الشرط بوضع ضوابط كثيرة على الحرية بحجة الضرر ..  
ومنى فى النهاية إلغاء الاختيار والحرية .. لذلك كان لابد من استعمال هذا

التقيّد في أضيق الحدود .. وحصره داخل دائرة الضرر الفعلي الحادث للفرد  
وما يخرج عن نطاق تلك الدائرة فهو حق للإنسان له أن يباشره بحرية  
كاملة ..

والديمقراطية بصورها المختلفة من حرية التعبير إلى تكوين الأحزاب ..  
إلى التظاهر ليست سوى صورة من صور ممارسة حرية الاختيار .. في  
غيبتها يتوه المعنى السياسي للديمقراطية .. ويتوه الطريق إلى هدف  
الديمقراطية وهو إدارة الإنسان لشئونه وعلى هذا محورية الاختيار لها معنيان  
إنساني فردى وسياسي .. للفردى يقصد به تحقيق الفرد لمطالبه دون إلحاق  
الضرر بالغير .. والسياسي يعنى مشاركة فردية في صياغة مجتمع يضم  
مجموعة أفراد من خلال لائحة دستورية يشرعها .. لذلك فالنظام السياسي  
الذى تنقلص فيه قاعدة الاختيار أو تنعدم يطلق عليه نظام ديكتاتورى يعكس  
النظام الذى يتنوع فيه الاختيار .. وهذا هو المعيار الحقيقى للفرقة بين  
الديمقراطية والديكتاتورية .. لهذا فرفض الديكتاتورية كنظام حكم فى أية  
صورة من صورها سيبيح أنها تعطل خرقا للقانون كامل وهو قانون  
الاختيار .. لأن الديكتاتورية تعنى القسر والإرهاب ولوى ذراع الاختيار من  
أجل حكم الفرد ..

فمعنى الإرهاب داخل عبادة السوداء .. القصور  
والاشكال تتأرجح أمام عيني .. أننى انسلط .. تماكنت نمتى حاولت  
التماكك دون جدوى .. وجه بسطواوى وقد تحول لثلاث وجوه بيضاء أعين  
ضغطت على جبهتي براحة يدي .. ساقاى تتخللان أننى أهوى .. انسلط  
كورقة خريف .. ورئيس المحكمة يطن :  
— ترفع الجلسة على أن نقعد غدا .

## البدائل

السامى يزعم ( محكمة )

الجميع يقف .. رئيس المحكمة « بسطاوى » يتخايل وهو يدلف الى  
مكائه .. يجلس . حوله هيئة المحكمة المؤسرة . وفى للركن القصى يجلس  
نمرود بهيأته للحمراء .. رئيس المحكمة يوجه حديثه الى .. يسأل :  
— انتم حاضر ؟

رغم انه فى كل مرة يرانى الا انها أصبحت عبارة بالولة . هذه المرة لم  
أجبه .. استشاط غضبا صرخ من جديد :  
— اذا لم يجب انتم فسنوجه اليه تهمة امانة المحكمة .  
ابتسمت .. فى تلك اللحظة صرخ نمرود :  
— انه يبتسم سيدى للرئيس ..  
لا ادرى لماذا تستفز ابتسامتى نمرود رغم انها الصفة الوحيدة التى  
تميزنى عن هؤلاء القردة .

رئيس المحكمة يصرخ غاضبا :  
— هل انت حاضر يا متهم !!  
قلت فى مسخرية :  
— نعم يا سيد بسطاوى .  
سأل من جديد ؟  
— ماذا عندك من الطبخة ؟  
استفزنى بمبارزة صرخت :  
— تطلق على الفكر طبخة يا جرسون للكلب .  
حذرنى بقولك :  
— تادب يا متهم .. فالتت دخاطب من يملك حياتك .  
هل اعدت نفسك للقراءة اليوم .

اورامت .. استعطر قللا :

— اذن ماتلو علينا ملجاء بكتابك المون ..

امسكت بالكتاب قلبت صفحاته .. صسوتي يهسر كانه الود ..

الطوفان .

— هل للانسان قدر .. صفحة او صفحات مدفونة لا يحيد عنها ولا يبتعد

عن مضمونها .. ويلتزم بنصوصها .. وينفذها حرفيا دون ان يكون له حرية اختيار النص الاصلح له .

بمعنى آخر هل الانسان مسير .. اى ليست له ارادة فى تسيير دنه

اموره .. وانه ليس سوى منفذ لقدره المكتوب .. فالإيادة والابتسامة ..

والفحسية والكلمة حتى تحريك الحاجبين لمنازلة امرأة غائقة .. كلها كتبت

بهداد مجهول فى صفحة مجهولة .. تسمى القدر .. وبالتالي لان محاولات

الانسان للتخضر والرقى لن تجد لها صدى سوى ما كتب بهدام هذا القدر

المجهول .. بالمعنى الشائع .. « المكتوب على الجبين لازم تشوئه العين » .

ان هذا الكلام مهما اكتسب من قدسية نتيجة تداوله

والايمان به باعتباره احدى القضايا الالهية التى لا يجوز الاقتراب منها او

المساس بها .. لهو اشبه بظك الألفاظ التنويمية من شياطين وجن احمر

واسود واخضر .. وابليس ورقيب .. وعقيد .. وعوالم ما بعد

الموت .. لماذا ؟

اولا لأن القدر يعنى ان الامر ان يسير فى فلك اعمال واتوال كتب

عليه ان يفلها .. بل ونتائج حكم عليه بها وهذا يعنى ببساطة شديدة ان

كتاب الانسان مهما عظم شأنه فهو مرتبط بنتيجة سبق ان رصدهما القدر

لا تغير فيها ولا تبديل .. فالثروة والسلطان باعتبارهما هدفين يصبو اليهما

البشر يتأتيان متى شاء القدر ولا عبرة بمحاولات تبذل او كفاح يدى ..

لان ما هو مكتوب هو الحادث لا تغيير فيه ولا تبديل .. وبالتالي تصبح

محاولات الانسانية على مر العصور فى مجالات الطب والهندسة والفناء

والكيمياء وغيرها فى فروع العلم المختلفة مرتبطة بمشيشة القدر اذا عن له

وكتبها في صفحته فستؤتى ثمارها والا فلا ؟! وعلى الانسان قبل أن يخطو خطوة نحو التقدم أن يعرف مقدما ما هو حظ هذه الخطوة في صفحة للقدر المجهول ؟! ..

ثانيا - أن القدر يعنى رفض علاقة السببية بين الفعل ونتيجته .. فلا ارتباط بينهما بل انفصام كامل ( شوزنرفيا ) فالنتيجة لا تحدث بسبب الفعل .. بل تخضع لمشيئة القدر .. يحددها بالصورة التي يريتها .. فسقوط المطر ليس سببه نظرية علمية .. بل ارادة القدر والتي يكون من احد جوانبها ابتهاج الناس ودعواتهم .. وشروق الشمس وغروبها ليس منشأة دوران الأرض حول نفسها بل في المقام الأول هو مشيئة القدر فلو غير القدر تلك المشيئة لوجنا الشمس تشرق من الغرب وتنام في الشرق .. والموت صفحة مكتوبة لا تغيير فيها ولا تبديل .. فمن أتى أجله ياتيه الموت ولو كان في بروج مشيدة من الصحة والعافية .. بلا أسباب ظاهرة أو خفية .. ياتيه عزرائيل يحجم حوله .. ويلف ويدور .. ثم يطعنه هذا الممون طعنة نجلاء .. ناذا هو جثة هامدة تدمر كالكثير الذبيح فوق الأرض بعد أن يجذب روحه « بماشه » كذلك التي تستعمل في التقاط جبر النار من « الجوزة » العصماء ، ومن يصاب بقتوف نارى في قلبه وينفذ .. ليس سبب نجاته تدخل المشرفة ويد الطبيب .. بل لأن القدر يريد ذلك !!! والمريض يشفى لا لأنه مصولج بل لأنه كتب في لوحة قدره أن يشفى !! ونصدق من خلاها قصة أيوب للخرافية والذي شفى بعد أن نخر في جسده اللود !! ونفتى بهذا لى رفض علاقة السببية بين الفعل ونتيجته في كل مناحى حياتنا .. لنتيجة الفعل لا يصيغها سوى القدر .. ومن ثم نعدم علاقة السببية على مقصلة التخلف .. ليصبح القدر هو صفارة الحكم للوحيدة في اللعب يوقف المباراة متى شاء وينهيها كما يريد لصالح أى فريق حتى ولو كان للفريق المهزوم ..

ثالثا - أن تطبيق تلك القاعدة هكذا بلا ضوابط يعنى في النهاية غيبة القانون الكامل الذى يحكم الكون بمعنى أنه اذا كان للقدر اليد الطولى فلن يتم ذلك من خلال قانون محدد يحكم الكون تانى فيه الحثيثات قبل المتطوق بل من



خلال غيبات غير مفهومة .. وبالتالي يصبح القدر رمز للنتائج التي لا تحكمها أسباب أو مسببات .. نهى ثأني كما يشاء القدر وفي أي وقت يشاء .. وتصيح هكذا رمزا لفوضى ليس مكانها سطور قانون كامل استتبعت في أرضه بذور المتعلق .. وشجرة العقل بل تهويبات وخرافات .

رابعا - الله لا يتدخل في حياة كل فرد تدخلا مباشرا ليرسم له لوحة حياته بما فيها من ألوان باهتة وزاهية .. وخطوط متعرجة ومستقيمة .. وظلال وضباب .. واضواء .. بل الأقرب إلى العقل القول أن الإنسان يجري ويلهث ويأثم ويبتسم ويغضب .. ويضرب في الأرض بلا هدئ ويصل بعقله للنظريات العلمية .. ويحرك السحب والمطر .. كل هذا من خلال قانون كامل متكامل .. هذا القانون ليس قدرا .. ولكنه قانون يحكم هذه الأكوام .. هذا القانون لا يرسم لكل شخص حياته .. ماذا يأكل .. وماذا يشرب .. ومن يعشق .. ومن يكره .. لكنه قانون عام شامل له نظرياته العلمية والاقتصادية والانسائية كل فرد تجرئ شئونه من خلال هذا القانون الذي لم يكشف الإنسان بعد من فروعه سوى القدر اليسير .. هذا القانون لا مكان فيه للحظ المطلق .. ولا مجال فيه لتحديد عمر الإنسان إلا إذا كان من خلال أحد قوانين العلم .. ربيض السرطان الذي يحدد الطب آفته ووقته موته .. هذا التحديد ليس ناتج القدر أو جنيته بل سببه قوانين العلم التي أصبح في مكنيتها تحديد نوع الجنين والذي كلن يعتبر في وقت من الأوقات إحدى المعجزات التي لم يسر بها الله لخلق !! ومن منطلق تقولات شائنة « لا يوجد دابة على الأرض إلا وعلى الله رزقها » « ربك يفرجها » « تجرئ جرى الوحوش وغير رزقك ما تحوش » « لن يصيب الإنسان إلا ما كتب له » « الأعمار بيد الله » « اعقلها وتوكل » من هذا المنطلق للمعجز الكسبيح بدا بعض الناس يذمن الكسل أملا في جنة أرضية تكتيه من حيث لا يدري .. السماء التي تمطر ذهبيا أو الأرض التي تنجر ينابيع للثروة .. وساعد على تقوية هذا الاعتقاد ما هو الحادث فعلا في كثير من البلاد .. الثروات الهائلة

التي تفقت أيضا من حيث لا يدرون فادمنوا الكسل أكثر فأكثر وأصبحوا  
السلادة الذين يشنون بملايينهم العمال الفقراء .. وعادت أسطورة —  
العبيد تدق أبواب الحاضر والمستقبل .. فإذا كان كل شيء دان .. المال  
والعبيد .. فلماذا الكفاح والنضال من أجل التقدم لماذا تعب ( الجاهل ) وهم  
يستوردون العلم من الخارج بخبراته وآلاته .. لماذا العناء في البحث والابتكار  
والاختراع والملايين تنفق في شراء أحدث مخترعات هذا الإله الجديد .. للعلم.  
لكن كثيرا ما تحدث كوارث كالزلازل والبراكين، والسيول والحروب  
والأوبئة والمجاعات وهو ما يعبر عنه بالقوى القاهرة فالإنسان لا يفقد  
اختياره أمامها .. كيف؟! لأن له أمامها بدائله واختياراته لدرء ضررها ..  
نهي ليست قدر ولكنها ظواهر لها أسبابها وقوانينها .. والإنسان في تقبـه  
المذهل نحو الحضارة يحاول جماعيا أو فرديا أن يقاوم مثل هذه الكوارث ..  
جماعيا بعلاج الآثار للضارة الناجمة عن حدوث هذه الكوارث .. أو بالوقاية  
منها .. بعمل السدود أو الابتعاد عن مصدر خطرهما أو محاصرة أسبابها  
أو للتحصين ضدها .. وقد تكون ردود الأفعال فردية فيختار الإنسان أفضل  
السبل المتاحة لتفادي مثل هذه الكارثة أو تلك .. فاحتراق عمارة يحدث دعر  
كرد فعل للسكان .. ولكن رد الفعل هذا يختلف من شخص لآخر .. لكن  
ثمة قاسم مشترك يجعب هذه الردود وهو محاولة الحفاظ على الحياة ..  
فالذي يحاول إطفاء النار .. غير الذي يهرب .. غير الذي يقفز من النافذة ..  
ولكن القاسم الذي يجمع هذه الأفعال هو محاولة الابتعاد عن الموت هذا يعني  
أمر واحد أن الجميع كان له فرصة الاختيار بين البدائل المفروضة عليه ..  
فالكامل كان متساوي أمام فرصة اختيار بقلته حيا أما الاختلاف فهو في كيفية  
درء الخطر بالقفز من النافذة أو للهرب أو محاولة الإطفاء .. وهذا ما يدفعنا  
للتساؤل هل الناس متساوون أمام هذا الاختيار ..

خلق نمرود خليه .. صفق بيها .. صاح مرحا :  
— انه للكفر يمينه .. انه الالحاد .. لقد فخل المصيدة .. انكر  
القدر .. انكر قدرة الاله .. الاعدام وليس سوى الاعدام بجيلا ..  
قاطعه في حدة :  
— ايها الكلب الازعر .. هلا سمعتى للنهاية .  
رئيس المحكمة يرد في ثقة :  
— وهل بعد الكفر بالقدر شيء ؟  
— نعم .. بل أشياء .  
أذن ماتوا ايها الملعون فقرأت كتابك الملعون فقد اقتربت المتصلة من  
رقبتك أو دفوت أنت منها . هيا يا ملعون .. هيا .  
صوتى يهدر من جديد .. كأنه الزمن عندما يفيق من انغماسه بعد  
ثورة دامية .

المساواة أحد دعامات الاختيار .. بها يطمئن الإنسان على حريته ان  
تنهشها ذئاب القمع .. فالفقرنة يستلزم لاستمرارها خبج اية صحيحة  
نطالب بالمساواة . ويقصد بالمساواة هنا كقالة الاختيار لكل فرد .. والفرد  
هنا لا يعتبر فردا مجردا .. بل فردا بما تحيطه من ظروف .. اى حالة  
اجتماعية .. الحالة = الانسان + الظروف ..

هذه الحالة الاجتماعية يجب ان تكفل لها المساواة في الاختيار بمعنى  
آخر يجب ان تكفل لكل الحالات المتشابهة نفس الحقوق التى ترتب على  
الاختيار .. ملا تفرقة بين حالة وأخرى متشابهتين تحملان نفس الالتزامات  
لأن المساواة تعنى في النهاية مساواة في الحق والواجب ..

لذلك كان سبب التناقضات الاجتماعية غيبة المساواة عن ساحة التطبيق  
وظهور الاستثناءات .. غلى غيبة المساواة عن أرض الواقع تحفز حمم نارية  
بتسوة أرض المضح كالمساواة والحسوبية والاستثناءات والرشوة نتيجة  
لفقدان المعيار القانونى الذى يحدد الحق والالتزام لكل حالة على حدة ..  
فيضبط المعب ويخطط الحابل بالنابل ويعطو من لا يستحق ان يعطو ويعطو على  
السطح غرقى الفكر والمزلقين والمتافيين .. ويفوص الى القاع اصحاب  
المواهب والاكفاء والعباقرة .. ونجد الساحة في النهاية وقد علا سقيفتها  
الضباب وحلت على أرضها اللوضى .. .. وغابت عنها اشراقة المساواة  
هذه المساواة لا تمنى فقط مبدأ تكافؤ الفرص بل ايضا المساواة الكاملة منذ  
ولادة الانسان حتى موته .. وهذا يعنى ان تكفل له كغيره كافة الحقوق  
مقابل ادائه للالتزامات التى تحددها الحالة التى يكون عليها هذا الانسان ..  
هذه الحقوق والالتزامات ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا تصاعديا أو تنازليا

بمعنى أنه كلما زادت — مسؤوليات الإنسان اتسع نطاق حقوقه ليستطيع من خلالها أن يواجه تلك المسؤوليات .. وكلما تضاعفت مسؤولياته .. ضمرت حقوقه .. وبالتالي يطرد الحق مع المسؤولية لاضطرادا تقاسيميا .. ليتناسب مع ضخامة أو صغر حجم المسؤولية .. بحيث يمكن القول أن الإخلال بهذا الاضطراد وهذا التوازن يؤدي إلى عواقب وخيمة .. لماذا لم تتسع دائرة الحق لتتوازى مع المسؤولية .. فذلك يعنى ضالة الحق مع عظم المسؤولية .. ويعنى أيضا في غالب الاحوال الانحراف .. وإذا انقلبت الصورة وأصبح الحق الممنوح للإنسان اكبر بكثير من المسؤولية المقتاة على عاتقه فهذا ادعى إلى الاعتراف بالسسلطة .. تماما كمن يتردى جلبابا مضطاضا يتحذر في اهوائه .. ويموت عن الحركة .. ويدخله الارتكاب الخطاء .. من هذا ننتمى إلى أن قاعدة توازى الحق مع للوجب ضرورة حتمية بدونها تحل اللوضى دروب المجتمع .. فالمطل الذى تزيد فيه حقوقه من واجباته ينمو طفلا مدلا .. وينعكس الحال عندما يحرم الطفل من حقه فى الرعاية والحضان والحب وكلما زاد نماء الطفل زادت رقعة واجباته وبالتالي رقعة حقوقه .. والتي تتغير حسب مراحل حياته وحسب الظروف المحيطة به باعتباره حالة .. فليس من المستأغ عقلا أن يأخذ الشباب حقوق الطفل فقط ويلتزم فى نفس الوقت بآداء واجبات الشاب .. وما ينطبق على الشاب ينطبق أيضا على رب الأسرة فكما زادت مسؤولياته كلما اتسعت دائرة حقوقه تلك الضرورية و اللازمة لأداء هذه المسؤوليات .. بحيث يمكن القول أنه من أحد أسباب التفكك الأسرى هو عدم تحقيق التوازن سواء بالقسمة للزوجة أو الزوج .. فالزوج الذى ظلم امرأته حقوقه .. والمرأة التى يستبعدهما زوجها كلاما محول يفتت التوازن بين الحق والوجب .. ففى الصورة الأولى رجل أهدرت كل حقوقه .. وفى الثانية امرأة اتهمت أميتها والعاصل فى الأسرة هو أيضا محصلة المجتمع .. فببقر ما يظن الإنسان لمجتمعه بقدر ما يأخذ .. فإذا كان عطاء الإنسان اكبر من عطاء المجتمع له فهذا يعنى اختلال التوازن بين الحق والواجب .. فالواجب الذى يؤديه

الفرد لا يحصل على مقابل له .. وإذا كانت هذه هي الصورة الأولى للفرد  
الذى يمثل دون مقابل .

فالصورة للثانية أشد اسودادا وأكثر عمقا .. أنها تصنع الأخاديد  
والخزفي في المجتمعات وتهز البنية الأساسية .. بل وتحيلها انتقاصا . صورة  
هؤلاء الذين ينشرون القطيع المسالم بلا حياة أو خجل دون أن يفهموا في  
المقابل سوى الموعظة للحسنة والتمنيات لطيبة وللوعود الزائفة !! عندئذ  
يتراكم الاحساس بالظلم .. ليتحول من شعور مبدى الى احساس جماعى  
وتصبح آنذاك الأرض خصبة لانبثاق بذور للثورة .

لكن في النهاية يصبح التوازن بين الحق والواجب بين الأخذ والمطاء  
هو الذى يصل في قضية المساواة للمساواة ليست مطلقة .. معقدة .. بل  
تأخذ في الاعتبار لتحقيق صورها العدالة المطلقة في كل الحالات المتشابهة أو  
المتماثلة وأيضا توازى المسئولية مع الحق ويمكن جدولة هذا المعنى بالصورة  
التالية :

الالتزام اكبر من الحق ناتجه الانحراف

الحق أوسع من الالتزام ناتجه الانحراف أيضا

الالتزام = الحق - ناتجه العدالة

١ = ناتجه الانصاف

تلك الجدولة تمنى بتقدير ما تعمل الخلية بتقدير ما تأخذ من حقوق ..  
لماذا تنكسرت تلك القاعدة نتج عنها شرح في بنيان المجتمع .. فيأخذ الإنسان  
ما لا يستحقه .. نتيجة الاتجاه للأساليب القنوية كالرشوة والمحسوبية  
وإذا عجز .. فينصهر هذا العجز في احساسه بالظلم أمام الفئة المخدرة  
وفي المقابل إذا حرم الإنسان من حقوقه تولد لديه احساس بالظلم وخيبة  
الآمل والانتظار والوجود وهو يرى بعينه جهده وعرقه وكفاح يومه يسرقهم  
غيره .. فمن يمثل لئلا يحصل على حقوق أكثر ومن يعمل بجد لا يجد  
الثبات .. وفي المجالين سيخط علم من الاغلبية ضد الاقلية المختارة ..  
يتحول بمرور الأيام من احساس بالسيطرة الى تذمر ثم الى فرد ثم الى ثورة  
لا تبقى ولا تذر .

لكن هل يوجد حقاً ما يسمى بالحظ ؟ إذا كان يقصد بالحظ اختلال في بنية المجتمع فهذا صحيح أما في مجتمع منظم فالحظ يتوازى فيصبح الالتزام . . ومن خلال هذا يمكن تكوين هرم المجتمع على الوجه التالي على القمة يقف المفكرين يليهم الأطباء وفي السطح الرعايا . . من صناع ومزارعين وتجار وحرثيين ومهنيين وعلو هذا ترتيب الهرم تكن في الاجابة عن سؤال لمن يرجع اليه النضل في تطور المجتمعات خريطة الانسانية توضح ان علامتين تتأوبا للقيام بهذه المهمة العسرة خلال عصور للتاريخ فجود العلم والفكر لم يكن الانسان ليأمل للخروج عن نطاق الغلبة التي كان يتصارع فيها مع بني جنسه وللحيوانات . فطيرة التطور الهائلة التي يعيشها المجتمع مرجعها اكتشافات العلم ومفاهيم الفكر . . هذا الترتيب حتى . . بمعنى ان الاختلال فيه يسبب اختلال في هيكل المجتمع . . فاذا احتل للرعايا القمة واتحد المفكرين ولطباء للسفح لهذا يعني الاختلال الجسيم بهيكل المجتمع ويعنى أيضا فقد توازن المجتمع وانهارت قيمه وعقليته الابداعية . . بل ان فكرة بناء الدافن لدى قدماء المصريين على هيئة هرم وليس على شكل مربع أو مستطيل قد توحى بتأكيد معنى للتدرج الانساني !! والمجتمعات التي ترفض هذا للتدرج كما هو حادث في الشرق حيث احتل اصحاب رؤوس الاموال ومعظمهم من الاماكن وقطاع الطرق والجهلاء قمة الهرم . . مثل هذه المجتمعات فقدت الحس والادراك والفهم واصبح طلابها المعز حتى في البحث عن حقيقة ذاتها . . وفقدت بالتالي ميزة للبحث والتطور والخلق والابداع . . والسؤال او ليس هذا التدرج يعتبر اخلافا بقاعدة المساواة ؟ الا يعنى هذا للتقسيم خرقا لمبدأ المساواة ؟ ايدا . . لاز هذا للتقسيم ليس سوى تدوين لخريطة الواقع . . وليس مجرد اقتراح . . فالحادث فعلا ان قاطرة المجتمع لا يدفعها سوى بخار العلم والفكر وليس هذا باكتشاف حديث فقد وصلت الى مناه اكثر الدول تخطيا فاصبحت الآن منارة للفكر والعلم والحضارة بعد ان اعطت اهتماما لطوائفها ومبدعيها ومنحتهم الفرص للتزود من بروع العلم والمعرفة بالاطلاع والبحث والرحلات . . بل يمكن لنا بلا تحرر ان نضسح للدول ايضا في هذا للتدرج الهرمي فطلى القمة تقف الدول التي تهتم بالعلم والفكر . .

والتي تزهر بعلمائها ومفكراتها ومفكرها .. بينما تعيش حالة الدول والتي  
اهملت مفكرها وعلمائها ومبدعيها في السفح تحت الطين .. يدان  
تاكل من روث الليثائم . واذا ما انتقلنا من الفرد والدولة الى الحاكم لنناقش  
حقوقه وواجباته نجد أن الحل الأمثل لممارسة الحاكم لسلطاته هو توازي  
الحق والواجب .. فالحاكم الذي يعطى لنفسه حقوقا أكثر من تلك الضرورية  
لممارسة سلطاته يخل بقاعدة المساواة وينحرف بالسلطة لذلك فال التزام الحاكم  
بقاعدة توازي الحق مع الواجب التزام أساسى .. والقانون الذى ينص على  
خلاف ذلك قانون باطل غير مشروع يجب اسقاطه .. ان سبب الثورات  
ليس الناقه او الجوع التى يعانى منها الفرد .. بل للمضط نتيجة كسر قاعدة  
المساواة فى مجتمع يشعر فيه للفرد بحدة الفوارق الاجتماعية مجتمع تحصل  
فيه الأقلية على حقوق اكبر مما تؤديه من التزامات .. بينما تحصل الأغلبية  
على حقوق تقل بكثير من التزاماتها .. مثل هذا الاحساس هو الذى يفجر  
الثورات .. فليس سبب الثورات مجموعة مبادئ أو مثل يسطرها قادة  
الثورة .. بل أن مفجراها لتحقيقى هو الاحساس بالظلم .. ثم تعميق هذا  
الاحساس بمجموعة من الشعارات والمفاهيم تحتضن هذا الاحساس وتغذيه  
بأسلوب منظم .. وهذا هو دور قادة الثورات .. بحيث لا يصيح أمام  
الانسان المحق من بدائل سوى طريق واحد يحقق له المساواة ..  
الثورة .



## الميراث والقبول

— الميراث يعنى انتقال حقوق الميت سواء المادية منها كالمقتنيات والأموال أو المعنوية كحقوق التأليف أو براءات الاختراعات الى ورثته .. ويعنى أن انتقال هذه الحقوق يتم بعد وفاة صاحبها .. ويعنى أيضا أن الجسد بعد الموت وقبل أن تنتقل تلك الحقوق للورثة يعنى أن لهذا الجسد الميت حق الملكية . بعض الشرائع لا تعترف بالميراث .. وليس هذا الانتكار منصبا على نظام الميراث فى حد ذاته بل هو ينبع أساسا من عدم اعترافها بالملكية الفردية .. وشرائع أخرى تعتبر الميراث أحد الأعمدة الرئيسية فى بنية المجتمعات التى تأخذ به .. وإذا ما عدنا للتهدى الى الخلف لنقرأ صفحات التاريخ .. نجد أن نظام التوارث هذا سابقا على صيغ الأديان وأن الصورة التى رسمتها الأديان ليست سوى ترجمة غير أمينة لما سبقها من تشريعات !! وفلسفة الميراث تكمن فى أن الورثة ليسو سوى مكملين لحياة مورثهم .. لذلك فهم امتداد له فى كافة حقوقه .. وحتى نحدد مدى توافق هذا النظام مع الاختيار علينا أن نبحث أولا من اتفاقه أو اختلافه مع مبدأ المساواة .. خاصة وقد ادعى تشريع هذه البدعة الفريية لى تملوت ضخمة فى الثروات .. أصحاب الملايين وأصحاب الملايم .. ملكى اليخوت والطائرات وقاطنى العرش والحفاة والأسراة .. صور نراها فى المجتمعات المتخلفة أكثر حدة منها فى المجتمعات المتقدمة .. لأنه لا توجد ثمة وسائل لامتصاص جزء من تلك الثروات الضخمة لصالح ( الفلابة ) .. تلك الثروات التى امتصها أصحابها بالصفحة عن طريق الميراث .. وما يترتب على ذلك من الاختلال بقاعدة المساواة .. فابن الجانيى العبقرى يرث القدر والمورز والحاجة ويورسف فى الغلال التبعية .. بينما يرث ابن الثرى من أبيه المال وربما الغناء .. فوارق اجتماعية طاحنة سببها ثروات تبنى دون قطرة عرق .. لذلك كان من الحتم للتفكير فى إذابة تلك الفوارق الاجتماعية .. ليس

بالتأداة بالغاء الملكية للدرجة .. لأن هذا يعنى اجهاض الحائز الشخصى ..  
 وليس أيضا بحد سيف للضرائب الذى ثبت على مدى السنين عدم جدواه فى  
 تمزيق الدخول المرتفعة لصالح الفقراء .. انما تتم الاذابة بثورة داخل  
 النظام الرأسمالى لا تقتله من جنونه .. بل تحل مفاهيم جديدة لا تتعارض  
 مع الأساس الفلسفى له .. ثورة أصبحت حتمية حتى لا يتعرض النظام  
 الرأسمالى للانهيار بعد أن ثبت فشله فى اذابة الفوارق الاجتماعية ..  
 مفاهيم ينصهر داخل بوتقتها لولا مواهب الاتساع وقدراته الخلاقة وثائبا  
 المساواة .. لنجد فى النهاية داخل البوتقة .. بعد أن تهدأ النار سييكة  
 شمينة يمتزج فيها العدل والحق ..

— لكن يبقى السؤال الحائر كيف يمكن الوصول لذلك .. ليس امامنا  
 سوى العودة لحضن الاختيار .. فالاختيار كما سبق أن أوضحنا مبدأ  
 شخصى يتصل بالانسان اتصال الجذير بالشميمة .. ينتهى أو ينعدم  
 بموته .. أى أن الاختيار بهذه الصلة الحياتية لا يورث فلا يمكن أن يرث  
 الابن اختيار اميه .. أو بمعنى آخر لا يجوز أن تصبح ارادة المورث المبتة  
 المتصدمة شئ يتوارثه الورثة وبالتالي فان أى قرار يتخذه الابن ويمزوه  
 للاب بعد موته يعتبر قرارا باطلا .. حتى على من فرض أن هذا  
 القرار صدر أثناء حياة المورث .. فان تنفيذه يصبح مطلقا على وجوده  
 حيا .. أى انه يجب أن نفرق بين مكنة اصدار القرار وبين تنفيذه .. فمن  
 حق المورث ان يتصرف فى أمواله بكافة التصرفات القانونية أثناء حياته وهو  
 ما نطلق عليه مكنة اصدار القرار .. ومن حقه أيضا أثناء حياته أن يضع  
 بآرائه هذا القرار موضع التنفيذ .. ولكن بعد الوفاة لا يجوز أو يصح أن  
 ينفذ الورثة قرارا اتخذته المورث قبل وفاته هو وللعدم سواء .. وهذا منطقي  
 لأن القول بيمكس ذلك يعنى أن يصبح للوارث ارادتين .. ارادته وارادة —  
 المورث .. أى ارادة الماتى وارادة الملقى ويصبح له بالتالى استعمال هاتين  
 الارادتين .. وهذا باطل باطلانا مطلقا مثله مثل التوكيل الذى يعطيه الموكل ..  
 لوكله فهو يتمتع بموته .. وإذا كان مزموعا أن يستخدم الوارث حقوق مورثه

مثل حق الانتخاب أو الترشيح أو التصيين في الوظائف العامة .. وليس له الحق كذلك في استعمال حق اختيار مورثه لأنه حق متصل بذاته .. متصل بكيفونه بمعنى انتهت تلك الذات أو انتهت تلك الكيونة لعدم الحق للناسي عنها أو بمعنى كآخر إذا كان مالاذا الشيء لا يعطيه .. فما هو الحال إذا كان صاحب هذا الشيء أصلا غير موجود .. وعلى هذا فمبدأ الاختيار لا يورث مثله في ذلك مثل الحرية الشخصية التي لا يجوز أن تنتقل من مورث لورثته لأنها حرية لصيقة بذاته .. بكيفونه التي فقدتها بالموت .. والموت لا يعنى فقط موت الخلايا بل موت كافة الحقوق والالتزامات .. ويعنى أيضا سقوط كافة للمعقوبات .. بل والجرائم .. وبالتالي لا يمكن أن يحكم الفرد أو يعاقب من أجل جريمة ارتكبها أثناء حياته .. وإذا كان الحال كذلك فكيف تنفذ وصية للمورث بعد موته رغم أن تنفيذها يعنى رفض كل ما لورثته من حجج وبراهين ويعنى أيضا إحياء لإرادة الميت التي دلتها المجهول .. الميراث يعنى فرض إرادة الميت بعد معاته بتقسيم التركة .. ولتى يفترض معها أن للمورث بعد موته حق الملكية .. مع أن هذا الحق يعتبر واحد من الحقوق الأساسية التي تنطق بشخص الإنسان أثناء حياته وتنتهى بموته .. يُدعى أن هذا الحق يؤول إلى الورثة فور موت المورث وهنا يكمن السؤال .. كيف ؟ وما هو السند القانونى الذى يؤول بموجبه حق الملكية للغير سواء بالميراث أو الوصية لا سند في هذا سرى التاريخ .. وهو ما يتناقض تماما مع حرية الاختيار التي تنعدم بموت الإنسان حتى على فرض أن هذا المورث قد ارتضى أثناء حياته أن تنتقل أصول تركته لورثته .. لأن مثل هذا الرضا لا يصح التصرف الباطل .. ولا يضمن عليه الشرعية ومن ثم لا يحق للوراث بموجبه تلك حق اختيار مورثه الذى قلنا عنه أنه حق لصيق بالإنسان .. بالميراث والاختيار قطبان متقابلان .. بل يمكن القول أن تقرير مبدأ الميراث يعنى عدم الاختيار من أسلحه .

أولا — لأنه ضد مبدأ تكافؤ الفرص الذى هو أحد شعار الاختيار ..  
فالمراث يعنى استئثار فرد بميزة دون غيره .

ثانيا — من دعائم المساواة عدم التفرقة بين الناس والميراث يخل بهذا  
المبدأ فواحد يبدأ من المليون وآخر من الصفر .. صراع .. الفلبة فيه حتما  
لصاحب المليون .. رغم أن المساواة الحقّة تحتم أن يبدأ الجميع من الصفر  
سباق شريف للحياة .. الفلبة فيه للحرق والكفاح .. لا مكان فيه للكسل  
فمن يعمل يأكل . مثل هذا الإلغاء لا يعنى إهدار للحافز للفردى .. ذلك أن  
الإنسان تحت ظلال هذا النظام له حق التملك والائتماء والأثراء من خلال  
قناة تحقيق الذات ..

لقد ثبت عليا أن للحافز الحقيقي الذى يدفع الإنسان لاتمام شروته هو  
فى المقام الأول تحقيق ذاته .. وليست رغبته فى أن تؤول شركته الى ورثته .  
فضلا عن ذلك فإن إلغاء الميراث يضيق من الهوة الساحقة التى تفصل بين  
الطبقات .. ويضيق الأحقاد للطبقية .. وتتحول الرأسمالية تحت ظلال هذا  
النظام الى رأسمالية هادئة لا غف فيها ولا ثورات ولا احتيال أو غش أو  
خداع ولا محسوبية أو رشوة أو وساطة .. تختفى كثير من الجرائم  
والأمراض الاجتماعية ويتحول فساد المجتمع الى نقاء وطهارة .

قاطنى نعوذ فى تصد :

- فمتنا بفلسفاتك والكتاب الموعون .
- وأنا لست أتل ضيقا من جهلك وصفاقتك .
- أذن ماكنت تكننى بما قرأته لنا من الأكاذيب .
- اذا كنت ورفقاءك قد اتقنتم بالحقيقة .
- للحقيقة الوحيدة أنك تخطو نحو قارب الموت .
- بل قارب يظننى الى مكان بعيد لا أرى فيه سبوى امرأة جميلة  
فى مخدع أثيق .

- امرأة بعينها ؟
- بل واحدة أنوب ولهاها وأنا اضاجعها ..
- أين هي حتى نضعها معك فى قفص الاتهام .
- أنها الحتمية للتاريخية يا جاهل .
- أكمل إذن إكاذيبك وترهاتك .

## الخطبة التاريخية

— رحم واحد يحمل تولام .. ذكر وأنثى من نطفة واحدة فإذا ما احتواهما الوجود للبشرى بدأت للفرقة المحسنة بين الذكر والأنثى .. فى للتقييم الإنساني .. الأنثى أقل درجة من الرجل لأنها ناقصة عقل ودين وإذا تسألنا كيف يكون هذا الانتقال نجد أن الخلق يرفض عموميات مثل هذا النص .. ويرفض القول بالأفضلية المطلقة للرجل .. بل يوجب بحث كل حالة على حدة سواء كانت ذكرا أم أنثى لمعرفة الأفضل والأحسن معيار للفرقة بين الجيد والفتى البشرى لا يجب أن يعتمد على النوع ذكر أم أنثى بل للفرد باعتباره حالة اجتماعية داخل نظام اجتماعى .. والا أصبحنا أمام فرقة ظالمة لا تمت للعدالة لا من قريب أو بعيد بمسألة .. هذا بالنسبة للتقييم الإنسانى .. وإذا ما انتقلنا منه الى الحقوق المكولة لكل من الرجل والمرأة .. نجد أن الأديان ونصوص كثير من التشريعات تدكفل للرجل حقوقا أكثر بكثير مما للمرأة .. وأصبح بمقتضاها فى وضع متميز .. المرأة تترك نصف الرجل .. شهادتها لا تجوز الا اذا كانت ثنائية .. للرجل الحق فى تكوينها بكافة الوسـائل من حجر للسريد حتى الضرب .. ليس لها الحق فى الطلاق ولزوجها عليها حق الطاعة بل وتجبر على معاشرته جنسيا .. ليهتصب فى كل مرة كرامتها وأتونها والأمثلة على اعداد أميتها كثيرة ومتنوعة أى ظلم هذا يجلبه عليها تكوينها الأنثوى .. رغم أنها تحمل داخل رحمها معجزة الحياة التى سيفل سرحا مستظلا على العقل البشرى لفترة ليست بالوجيزة .

وعلى أرض الحقيقة نجد أن هذا التميز الذى خص الرجل به نفسه لا يستند دليل عقلى أو فكر منطقي أو استنتاج علمى بل مرد الأمر كله لحجج وأمية ساقها دعاء للتمييز منها تفوق الرجل ومسئولية الانثى .. دعوة ليست سوى ردة فى الحضارة !! ذلك ان لكل من الذكر والأنثى مسؤولياته التى

اختصته بها الطبيعة والتي تختلف بالتالى حسب نوع كل منهما لا تفوق  
 فيها لنوع على الآخر .. الا حسب قدرات كل شخص سواء اكان ذكرا ام  
 انثى .. بحيث يمكن التسول أن التوازن فى المسؤوليات بين الفكر والانثى  
 قانون رسمته الطبيعة بمداد من الواقع والتاريخ .. فاذا كان على الرجل  
 اعالة الأسرة .. فالمرأة مسئولة عن الطفل وللبيت .. ميزان دقيق تقبضه يد  
 العدالة على احدى كفتيه مسئولية المرأة .. وفى للكفة الأخرى مسئولية الرجل  
 مسئوليتان متوازيتان .. لا انفصالية فيها لنوع على الآخر .. بل  
 الانصاف تنصب على الفرد باعتباره حالة اجتماعية .. فنقول على هذا  
 الشخص نافع أو سلبى لا حسب نوعه ذكر أم أنثى بل بما يقدمه لمجتمعه  
 وأسرته .. وإذا ما أردنا الاستزادة نجد أن للتفرقة بين الذكر والانثى تفرقة  
 ظالمة هجرها الواقع الآن خاصة بعد أن نزلت المرأة ليدان العمل وأدت أعمالا  
 بطولية خارقة فى كافة المجالات وقدمت أروع الأمثلة فى النضحية وفى  
 الاخلاص وفى اللئام وانطلمت تلك للصورة القبيحة التى انطلمت فى  
 الاذهان .. صورة المرأة التى تنتظر زوجها أمام باب الكوخ .. تخلع عنه  
 بردته وعاملته .. تضع قدميه فى ماء ملوح .. وفى النهاية ترتدى عارية تحت  
 اعدائه .. انشودة لتعته الجنسية ! لم تعد هذه صورة المرأة بعد أن  
 غزت كافة ميادين العمل بالابديع والمقتل والذراع ..

والحق يقال ان الأديان لم تنشئ هذه التفرقة فهى سابقة على وجودها  
 كل ما فى الأمر أن الأديان بصمت على قانون هذه التفرقة الظالمة ..

ان المقادة بالمساواة بين الرجل والمرأة هذه المقادة لا تأتى من فراغ  
 بل تؤيدها أدلة عقلية واسانيد فكرية .. أولها هى مبدأ الاختيار فالاختيار  
 يعنى المساواة بين البشر لا يفرق بينهم فصيلة .. أو لون .. أو نوع ..  
 يعنى أيضا حقوقا متساوية .. أما التفرقة تأتى من اعتبار الفرد حالة تختلف  
 عن الأخرى .. أما الحالات الاجتماعية المتماثلة فلا يجوز للتفرقة بينها ..  
 فمثلا لا يجوز منع امرأة من تولى منصب معين لا لسبب الا لأنها امرأة ..

فاذا كانت هذه المرأة تمثل حالة اجتماعية تتشابه وتطوونها مع مثيلتها

لرجل يشغل نفس التخصب ومؤله فلا يجوز تخليها لا لسبب  
 إلا لأنها أنثى .. هذه التفرقة نشأت منذ المصور الأولى للتاريخ عندما  
 كان الرجل يخلف المرأة ويسحبها من شعرها .. ثم انتقلت معوها  
 إلى عصور متقدمة فأصبح الرجل يشتري المرأة بأن يدفع لها مهرا مقابل  
 متعته والقيام على خدمته .. وأحاطت صورة الأزواج عامة وفي الشرق خاصة  
 إطار مهذب .. لكن الصورة نفسها بات ينبض كل لون فيها بمعنى لائق ..  
 من خلال أحكام ظالمة ضد المرأة .. فللرجل الحق المطلق في الطلاق وما عليها  
 سوى للطاعة دون أن تنبش حتى بكلمة « أف » كل ما عليها إذا ما لحق بها  
 ضرر إن تطلب من المحكمة التطبيق بناء على أسباب يحددها القانون على  
 سبيل الحصر وللحكمة أن ترفض طلب للزوجة .. رغم أن استمرار المعاشرة  
 يستلزم رضا الطرفين ويضطر لأى منهما الحق في طلب إنهاء هذه العلاقة إذا  
 ما لحق بأحد الطرفين ضررا يستحيل مع وجود استمرار هذه العلاقة ليصبح  
 له الحق في منسختها .. مثل هذا الحق مكثول للرجل فقط دون المرأة ..  
 لماذا ؟! محاباة لا يستند على عقل أو منطق .. بها أصبحت المرأة كقطعة أثاث  
 ينفذ بها الرجل إيماءه وفى أى وقت يشاء .. محاباة غلبت عنها الحكمة ..  
 ضاع منها الحق .. الحق الذى يسند فكرة التمسك الذى تم  
 بين طرفي العقد للزوج والزوجة .. فالمعقد شرعية التمسك .. إذا كان  
 لأحدهما الحق في منسخ العقد .. فيجب أن تكفل للطرف الآخر نفس الحق ..  
 والا كان معنى ذلك عقد اذعان ود .. ما يخالف إرادة الرضا المقررة لدى  
 كلا الطرفين عند بدء التمسك .

هذه الصورة المتبوءة من الأزواج تتقابلها صورة أخرى أشد ظلمة  
 واسودادا .. وهى صورة الزواج المؤبد الذى لا يكون فيه لأحد الطرفين  
 الحق في منسخه حتى ولو اتفقا على ذلك .. ليصبح الشكل في النهاية أقنص  
 وأبقى من إرادة الطرفين .. وليصبح الإنسان في النهاية أسير صيغة سبق  
 أن ارتضاها لينظم بها علاقته بطرف آخر .. فكيف نحقق الحد الأدنى من  
 العدالة لزوجات تؤخذ قسرا وتسجن في بيت زوجها ثم تترك على  
 هذا القسر للعوائى حقوق كبليلة للزوج على جسدها وأتساتيتها .. وتبقى  
 حتى الموت سجينة علاقة زوجية دون أن تجر على صرخة تطالب بها لمنسح

ذلك الملاحة .. مهل يمكن أن تكون مثل هذه الأحكام أحكاما عادلة .. واحد من قوانين الله للكلمة ١٩ ..

إن محاولات الإنسان التي بذلها على مر العصور من أجل تقدمه وتطوره وللصيح التي تنادى بها للفلاسفة والأنبياء والمصلحون لا يجب أن نتمسكنا للفلسفة الكلمة وراء كلماتها وهي أن هذه صيغ مرحلية قابلة للتعديل والتغيير للأحسن والأفضل والأثري .. تغيير يتفق مع طموحات الإنسان وتقدمه العلمي .. حتى لا يصبح الإنسان في النهاية أسير صيغ جامدة .. تكبل التطور الإنساني بالقيود والسلاسل .. ونفقد هكذا الطريق إلى الحضارة والتحضر .. ويصبح للنفس في النهاية أقدس من إرادة التغيير لدى الإنسان .. لذلك كان حتميا أن يندرج عقد الزواج كيباتى المعتقد تحت قاعدة العقد شريعة المتعاقدين وأن يكون للطرفين وضع كافة الشروط القانونية التي يفتقان عليها طالما أنها لا تخالف النظام العام .. ومنها حق أى منهما في نسخ العقد إذا ما تعذر استمرار علاقة الزوجية .. إن غيبة السند للقانونى في إعطاء الزوج الحق في إعادة زوجه إلى عصمته بعد طلاقها منه بإرادته المفردة رغم التضييق للعقد بالنسخ يحننا للقول أن مثل هذه العودة وهذا الاسترجاع يعنى عقدا جديدا يشوبه البطلان في حالة عدم موافقة المطلقة على هذا الاسترجاع .. وصورة من صور الرق المنقح بانفها المجتمع المتحضر .. ويمعها العقل لكن للسؤال الذى يفرض نفسه على الساحة بقوة وشدة .. هل يعنى حصول المرأة على حقها في الطلاق وتساويها معه في الحقوق الخروج من كهف الظلام الذى تعيشه ٢٠ ..

— بالتأكيد لا .. لأن ما سرفناه كان مجرد أمثلة للمسف والظلم الذى تناسيه المرأة اليوم .. لقد أصبحت المرأة وفي الشرق خالصة في وضع يرثى لها .. هى مسئولة عن أولادها وعن بيتها .. وعملها .. والنتيجة الحتمية عدم قدرتها على أداء كل هذه المسئوليات المقناة على عاتقها .. فلا هى لم مثالية ولا هى عاملة مثالية .. فكان أن تفككت الأسرة .. وضاعت خيوطها وباتت النتيجة سيئة .. مؤلة .. حزينة .. مرثية .



ان ضرورة مساواة المرأة مع الرجل ضرورة حتمية لكن المسألة بمسألة وقت .. طال الوقت ام قصر ستحصل المرأة على حقها في المساواة .. هذه المساواة تشمل كافة مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. وكل في دائرة اختصاصه .. للرجل خارج البيت والمرأة المتزوجة داخل من خلال مبدأ أساسى .. للفئة الحق في العمل لا قيد على حريتها في العمل لكن اذا تزوجت نلها الحق في الاختيار بين العمل والبيت .. لكن اذا اختارت البيت لها ان تحتفظ بكل حقوقها وميزاتها كإبرة عاملة !!

وحتمية المساواة يستلزم معها ان تكون المساواة مع الرجل في كافة الحقوق والواجبات كل في دائرة اختصاصه .. حقوق سياسية واجتماعية واقتصادية .. حقوق كاملة غير منقصة .. لا يحدها سوى قانون واحد فقط هو قانون الاختيار واحد فروعه المساواة ..

هذه الحقوق لن تحصل عليها المرأة بالانتواء والاتزواء او الاستجداء او توكيل خصمها ليناضل من أجل انتزاعها من نفسه .. فالرجل راضى تماماً عن هذا اللعن والظلم .. بل هو يصلى في محرابها ليل نهار من خلال وعوده للكاذبة البراقة للمرأة .. فالرجل لن يتخطى بسهولة عما اكتسبته الأديان آياه من قوة وسلطة .. ولن يتغير مفهوم الرق القديم .. ذلك المفهوم الذى عثى واحتر داخل وجدانه منذ آلاف السنين فالرجل لن يتنازل اختياراً عن حقوق باتت جزءاً من تكوين عقله وإنسانيته .. الا اذا كان للمرأة دور ايجابي في تغيير هذا المورس البالي .. وانتزاع الحق من بين يرائن الأسد وهي لن تستطيع وفك الأمية تشش على عقول بناتها وذلك الجهل الخفى يخاصر امهاتها .. صاحبت « حلة الحشى » و « برطمان الخليل » « وكسولة اللوخية » والكلمة الماثورة « مستر سيد » ..

بسطلوى ينظر لى اعضاء المحكمة بدعشة واستغراب يشملنى بتلك النظرات يسألنى :

— قلت محشى ومخلل وملوخية ..

— نعم يا مسيد بسطلوى ..

— ماذا تعنى يا متهم بتلك الكلمات ؟

صرخ نمرود بحده :

— انها يا سيدى شفرة للشيطان .. وقد تكون بداية مؤامرة معه يقضى  
لها على الجنة . ابتسمت « آية جنة يا غيبى تلك التى تتحدث عنها ؟! اذا  
كانت هذه هى الجنة .. لماذا رايت انا فى باطن الأرض » .. عاد  
نمرود يصرخ من جديد :

— أنه يبتسم سيدى الرئيس .. امنوه .. فهذه الابتسامة احدى  
خيوط المؤامرة .. التى حبرها مع الشيطان .  
بسطاوى يحذرنى قائلا :

— على المتهم الامتناع عن حديث الالغاز والابتسام .  
قلت فى حده :

— بل سأمتنع نهائيا عن التلاوة حتى تعطونى الفرصة كاملة  
دون مقاطعة .

رأس بسطاوى المذنب تميل الى اليمين ثم الى اليسار بعدها يعلن :  
— على المتهم الاسترسال فى القراءة .. وعلى النيابة عدم مقاطعته  
نهائيا حتى يتم قراءة كتابه الموعود .

## الفلسفة الاخف

— لقد تجرأ البعض وانكر وجود الله .. ولم يحدث نتيجة لذلك ان  
لحد كل الناس .. أو ارتدوا عن دياناتهم .. بل تفجرت بتناحي الجدل ..  
وتغازلت البراهين والأدلة .. وسالت مياه الأقطام في معركة الاقتناع وأرثوت  
أرض الفكر الجذباء بغيت الحجج والبراهين لتثبت زعمور المعرفة .. وبدأت  
قصة وجود الله تتكسب نتيجة ذلك للجدل ايمادا جديدة أهم ما فيها المقلاتية  
.. وتمزق ثوب الخرافات البالي المبهل في تفسير كثير من الغيبات التي  
مرغت القتل الانساني في الوحل دهورا طويلة وتوارثها الفكر حتى باتت  
لحدى سماته وأرتبطت هذه الخرافات بقضية وجود الله .. فحاملتها  
بالشكوك .. وظلومتها بالتمرد .. لذلك كان من الأهمية بكان ان نشخ  
نكرة وجود الله من اغصانها للسرطانية بالالتجاء لقص القتل ورفض توارث  
فكسرة وجود الله .. وقد تشجع من رجل بسيط ما يهز وجدانك  
ويشير حيرتك ( وماذا يهم أن تؤمن بوجود الله عن اتباع منطقي  
لو ميراث ديني للنتيجة واحدة ) .. ويبعد هذا القول لأول وهلة  
صحيحا .. ولكن، ما يترتب عليه من فتاليج يدفعنا لرفضه !!  
ذلك ان الايمان بوجود الله من خلال الأديان والتي تطلب الانسلاخ  
ايضا بالايمان بالأمور تدخل نطاق التفكير .. وتربط قضية وجود الله بهذه  
الأمر ارتباط الجنين بالشيمة والجذر بالتربة فطالما آمن الانسان بوجود الله  
عن طريق الأديان فطيه تقبل كل ما يتصل بوجود هذا الاله من حنة ونار  
وشياطين وملائكة .. وجن صالح .. وجن طالح .. وأبليس ومعلونه حتى  
لا يجرفه الابتكار الى النار للحارقة .. بعكس الايمان للمجرد بوجود الله  
والذي يحتتم معه وجوب مناقشة كل قضية بملردما .. ووضعها تحت  
ميكروسكوب المنطق .. لذلك يجب فصل قضية وجود الله عن كل ما يتصل  
بها قضائيا .. ومناقشة كل قضية على حده اذا ما أردنا حقا الايمان  
بحقيقتها .. من تلك القضايا .. قضية اتصال الله بالرسول .. والهالهم

المعجزات التي تميزوا بها عن سائر البشر فهل تعنى المعجزة اتصال الله بالرسول ليلهم أياما .. اذا كانت الاجابة بالاجاب .. فمستغبت من برعمها ربما عنا سؤال آخر .. وهذا لو ادعى احد المخترعين أن الله لهم سر اختراعه عن طريق وسيط .. ملاك أو شيطان .. أو أن الله بنفسه اسرله به .

بالتطلع سننكر عليه قوله .. رغم أنه لا خلاف حول اعجاز اختراعه الذي انفرد به دون سائر البشر ؟!

اذن فلم هذه التفرقة للظالة .. رسول يدعى الاتصال بالله وطليله معجزته فنصفته .. وعالم على نفس نهجه فننكر معجزته !!

ثم ماذا لو ادعى احد الأحياء أن ما يكتبه من شعر أو قصة ليس سوى وحى الله به .. هل نكذب رغم أن ما أتى به لا يستطيعه غيره من سائر البشر .. معجزة انفرد بها .

الحقيقة أنه لا يمكن انكار مثل هذه الدعوى الباطلة وبالتالي أنكار الصلة المزعومة بين هؤلاء وبين الله بانكار معجزة العالم أو الأديب وتزويقها من ثوبها للخارق ووضعها في مصاف الأمور التي تحدث عادة وكذلك لا يمكن السير في الشوط لنهائيتها نتيجة للعجز عن تحرية العسل من اعجازه بتأييد دعاويهم الاتصال بالله والتي استدلوا عليها بهجرتهم .. بل يجب أن يكون الفصل في حقيقة اتصالهم بالله هو مدى صحة هذا الاتصال .. لذلك يجب حتى نحكم على وجود مثل هذه الصلة من عدمها أن نعى امران :

أولهما : وجود المعجزة لا يعنى بالضرورة اتصال الله اتصالا مباشرا أو غير مباشر لتحقيقها .. ولا يعنى دخلا سائرا من الإله لخرق الناموس .. فالمعجزة تتحقق في غيبة هذه الصلة الافتراضية وبدون حاجة لخرق الناموس .

ثانيهما : واقعة اتصال الله بالبشر وذلك بالتحدث اليهم مباشرة أو عن طريق وسيط واقعة مستقلة .. لها ذاتيتها ويجب حتى نؤمن بها أن تثبت من حقيقة وجودها دون أن نطل على هذا الوجود بالمعجزة التي حدثت ..

ذلك لأن الإعجاز الذي يأتيه البشر لا يعنى أن الله قد اتصل بهم وأملئ عليهم معجزته .. فإذا كانت الأديان قد اعتبرت بعض الكتب معجزة وبعض القدرات كشفاء المرضى ولبيان بعض الخوارق معجزة .. فهذا لا يعنى مع افتراضها كذلك أن الله قد اتصل بهؤلاء البشر ليبلغهم أياما .. مثل هذا القول يؤدي بنا إلى طريق تحفة الحيرة .. والفوضى والاشواك .. فماذا لو ادعى أحد العلماء أن اختراعه ملهمة الهمة الله أياما ومذا لو سار في الطريق لنهيته وادعى للنبوة طلبا من الغير أن يأتي بمثلها ومذا لو عجز هذا الغير !! هل نعترف بمثل هذا للعالم نبيا مرسلًا !! مثل هذه الاستنتاجات نجبرنا في النهاية لتأملات تضيق فيها ومضة العقل البشري ليتحول إلى قسمة من الصفيح للصدى .. ويقوه داخل اللا معقول .. لذلك نوجب للتثبت من صدق الادعاء لقيام مثل هذه الصلة المفترضة بالله أن يثبت بدءا ذى بدء حقيقة هذه الصلة .. وصحة وجودها لا أن يفرض على الإنسان الإيمان بها متحاجا في ذلك بالمعجزة المثيلة في الاختراع أو الاكتشاف أو إبراء الكفة أو كلفت منظومة .. بل ويذهب إلى أبعد من ذلك ليفرض على الإنسان للولاء والإيمان بأمور أخرى ملازمة لا يهتمها العقل ولا يستسيغها المنطق .. ينحج اتصال هذه الأمور ببعضها وارتباطها ارتباطا وثيقا .. مثل هذه الدعوة لهذا التمتع من الإيمان المفروض يترتب عليها حظر مناقشة كل قضية على حدة .. ووضع العقل في دائرة اختيار ضيق .. فليس لعله سوى أن يتبناها ككل أو يرفضها كلها دون أن يكون له الحق في تجزئتها .. ومناقشة كل قضية منها على حدة .. رغم أن كثير من هذه القضايا لا يمكن الإيمان بها إيمانا عقلانيا نلبا من الاقتناع .. مثل هذا الارتباط للظالم يوصل الإنسان لقمة معجزة .. وحتى لا نخوض في بحر ظلمات الوهم الأزرق للعين نضع السؤال الجوهرى .. قلب الموضوع على منضدة العمليات لنشرحه ببعض الحقيقة .. هل الكتب السماوية

من عند الله ١٩٩٩

إذا كانت الاجابية بالايجاب لكل ما جاء بالكتب السماوية من تأليف  
الله .. هو المؤلف العظيم .. وما الانبياء الا مستقبليين .. ولأن الله كامل  
لا يخطئ .. إذن فكل ملجاء بالاديان من احكام ولجبة للطاعة .. والطاعة  
العمياء ومن ثم لا يصح ولا يجوز نقاشها .. ويجب الاخذ بها في كل  
للتشريعات للوضعية .. كل صغيرة وكبيرة .. ومنكرها متبرد على قانون  
الله وجب مقابله .. وسحقه .. هذه الأحكام كل لا يتجزأ .. وحدة واحدة  
وإذا كان هذا كذلك .. وإذا كان ما ورد بها من احكام ليست سوى قوانين  
املاها الله على البشر فيمتنع بالتالى على الفكر الانسانى نقدها أو تشريحها  
انما كل ما يستطيع حيالها ان يفسرها دون الخروج على نصها .. ومن  
ثم فيحظر على العقل البشرى نفي تنزيل للكتب السماوية .. وبالتالي  
تصبح احكامها ابدية لا تغير فيها ولا تبديل .. باعتبارها احكاما مثلى  
لتضاي الانسان لا تقبل للجدل والنقاش مثلها في ذلك مثل القوانين  
العلمية التى رسمت قوانينها .. والسؤال الجوهرى .. الانسان اسمى  
المخلوقات .. اخص دون غيره من المخلوقات بميزة الاختيار .. أى حرية  
اختيار للبدائل .. ومن خلال هذه الميزة استطاع ان يختار افضل البدائل ..  
فحقق غزو الفضاء وكثيرا من الاكتشافات العلمية القائمة على قوانين ثابتة  
تتحكم في مسار الكون .. خلال هذه الاكتشافات طوع الانسان العلم لخدمة  
اغراضه وفي تطوير أسلوب حياته .. والتغلب على مشاكله من أجل حياة  
افضل .. وتحقيق أكبر قدر من السعادة .. والاديان استهدفت أيضا سعادة  
الانسان من خلال احكام جاءت بها الكتب السماوية .. بعضها شاملا لكثير  
من مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبعض الآخر ركز  
على التقيم الروحية .. لكن في النهاية يبقى للهدف لكل من العلم والدين واحدا  
وهو سعادة الانسان فالكتب السماوية ليست سوى صيغة ارتقاها الاديان  
لتحقيق حياة افضل للانسان .. بمعنى تشمل هى وصلة للهز بين الانسان  
وغايته .. أى انها وسيلة .. إذن فالعلم أو الدين ليسا غاية في حد ذاتهما  
بل وسيلة لتحقيق الغاية وهى سعادة الانسان .. بمعنى انه لو لم يظا  
الانسان الأرض لم يكن شمة داع لرسالة الانبياء أو للعلم لان هذه الرسالة

يجب لقيامها أو للبدء في الدعوة إليها وجود الإنسان الذي تصله هذه الرسالة بدون هذا الإنسان يفسح هدف الرسالة ومعناها ومغزاها .. لذلك فلا يمكن والحال هكذا مهما عظم شأن هذه الرسالة أن تكون الوسيلة في أي وقت من الأوقات أعظم وأجل من الغاية وهي الإنسان .. وبالتالي لا يمكن أن تكون الكتب السماوية غاية في حد ذاتها .. لأنها بذلك تفقد معناها بل وسبب استقنائها بغيبة منصر الإنسان عنها .. بل وتصبح أهم وأقدس من الإنسان التي شرعت من أجله .. وليصبح الإنسان بهذا المعنى مجرد وسيلة قطعة شطرنج على لوح الأديان .. وهو ما ينكره الواقع .. ويفتسه الحادث .. نشعوب بأكملها لا تدمن الأديان ومع ذلك لم تنهار حضارتها ولم تتقوض دعامت بنيانها .. لأن الأديان وكتبتها ليست سوى وسيلة لا غاية .. ولأنها وسيلة فحسب فقد استعاضت عنها تلك للشعوب بالعالم نمازدهرت حضارتها وتقدم انسانيها .. هذا معناه أن أحكام الأديان ليست سوى قطع شطرنج على مربع الحياة يمكن في أي وقت من الأوقات استبدالها بصيغة أكثر نضجا واتساقا مع العصر .. محصلة القول أنه إذا كان هدف أحكام الأديان في النهاية هو الإنسان .. أو ليس من حق هذا الإنسان مناقشة بنود مايراد احتواء عقله به .. أو ليس من حقه أن يبحث جنوى تطبيقي مثل هذه الأحكام على مسار حياته وأن يختار منها ما يناسب ظروفه وأن يرفض ما عداها .. أن للتطور واحد من أهمدة قوانين الكون التي يكتشفها الإنسان فهل تتفق المتأداة بالانتماء في احضان الأديان بأحكامها المنزلة ١١ والتي لا يصح ولا يجوز تعديلها أو تغييرها .. هل تتفق مثل هذه الدعوة مع التطور ؟

ثم إذا كان النص للوارد في الكتب السماوية وسيلة لاسعاد البشر من أجل حياة أفضل .. أو ليس للإنسان وهو حقل تجارب مثل هذا النص أن يدرس ويحل معانيه ومنطوقه وحيثياته ليمرر بجذواه وصلاحيته للتطبيق حتى لو أدى الأمر لرفضه ولا أدل على صحة ذلك قضية إبلاحة الرق ملو انتبهينا بالتسليم بهذه القضية ومثلها كثير لعنى ذلك للعودة لاحضان عصور التخلف .. ودفن للعقل الجماعي والفردى في مقبرة للبدائية .. بل وهم دعامة الحرية ..

والناداة بمشروعية ما ترفضه بل وتجرحه المجتمعات الآن .. لكل هذا يجب أن يكون للعقل البشرى الحق كل الحق وهو يبحث عن مساعدة البشر أن يناقش جدوى أى نص بعد أن يتعمق معناه ويدرس أبعاده حتى يقرر صلاحيته لا فرق في هذا بين نص وضمي وأحد سمولي ..

وبالتالى فلا يتحصن أى نص مهما بلغت قدسيته بمقولة أنه سماوى « لا يقصد هنا للون » .. لأن التخفى خلف هذه الحجة كالتخفى بقلنسوة الاخفاء .. يعتقد مرتديها أنه اختفى عن العيون رغم أنه مرئى ومرصود .. مثل هذا التخفى للخادع يدفع بالانسان للجاد أن يسأل السؤال الذى سسبق أن اثرائه .. هل هذا النص من عند الله ام هو من تاليف للبشر .. والانسان سيد نفسه مضطرا للإجابة عن هذا السؤال قبل الخوض فى بحر الغلطات اللعين ..

اولا - لأن نتائج كثيرة ستجربها الإجابة عن مثل هذا السؤال العويص ذلك لأنه اذا كانت بالإيجاب فعلى الإنسانية جميعا الالتزام بكل كلمة وحرف .. واذا كانت بالسلب فللإنسان حريته الكاملة فى رفضها كاسلوب للحياة أو قبولها .. لا قيد على حريته الا ما يمليه عليه عقل المجتمع ..

ثانيا - أن مناقشة قضية تنزيل الكتب السماوية بالخطيل وللراى الدارس باتت ملحة بعد أن أغلقت على العقل الجماعى النوافذ وأوصحت دونه الأبواب ولم يعد ثمة وسيلة لتفتية الهواء الفاسد سوى ثغرة نعال منها على الحقيقة خلف جدار الخوف ..

ثالثا - أن فتح تلك الثغرة بمعمل الجدل والنقاش من شأنه أن يثرى للحركة الفكرية برأيان متعارضان يطرقان للحديد وهو سباحن .. يطرحان أبعاد القضية وأفق تفصيليها على بساط البحث .. يشرحان جسدتها المتوهك .. لتنبين فى النهاية اس للداء .. ولنفتتر بببضبح الحقيقة الأمة للشريرة .. فمن المرض الى الشفاء .. ومن للشك الى اليقين .. سواء كان هذا اليقين مع أو ضد للراى القائل بالتنزيل وننتهى بهذا الى ثورة فكرية .. ربح صرصر عانى تسقط كثيرا من لوراق الخريف المتمثلة فى الخرافات التى عاشت قرونا تلوث ظهارة العقل الجماعى .. يد عنية تزيج عن كامل الحقيقة



المستقلة رداء الوهم الذي وصل في بعض الأحيان إلى حد اليقين .. واكتسب من كثرة ترديدتها والخشية من معارضتها حصانة التسليم .. أن الخوف الذي عشن على الفكر الجامعي بالتسجته العنكبوتية والذي دعمه الاتهام المشرع بالردة والكفر والاحاد والتهديد باعداد الدم هذا الخوف دفع الفكر الجامعي إلى الارتواء في أحابيل الخرافات .. أو الوقوف موقف المتفرج مصمما الشفا عجزا .. ساخطا حتى على نفسه .. والنتيجة انظلام الجانب المضي منه .. فمن من هؤلاء المفكرين يملك شجاعة المواجهة ولا يخاف اعداد دمه على إحدى النواصي ؟

— نعود بعد هذه الاستطرادة إلى سؤالنا الخطير .. المخازنة الكبرى هل للكتب السماوية منزلة من عند الله ؟ ..

لا يخطف أحد على أن هذه الكتب كانت وستبقى دستوراً لشرائع قامت على صحتها حضارات عريقة مازالت أعلام بعضها ترفرف حتى الآن .. لكن أمام الباحث لمناقشة هذه القضية شرك هائل وضعه بعض رجال الدين المحققين .. والمتصبون الذين يخشون صدق الكلمة والتعبير عنها إلى الحد وكبر .. رغم ذلك فليس أمام الباحث الدارس طالما قد ارتأى التصدي لمثل هذه القضية الشائكة ليس لهبه مسوى أن يطرحها بكل إيمادها .. يعربها بالصدق .. ويشرحها ببضع الحقيقة ليكشف مكوناتها للعقل للبشرى من خلال الإيمان فإنه لا يجد قضية في الوجود مهما بلغت قدسيتها يخطر على العقل البشرى مناقشتها لأنه إذا كنا قد فتحنا الباب على مصراعيه أمام قضية وجود الله فما بالك بما هو أدنى .. لذلك وحتى يثمر الحوار ثمرته المرجوة علينا أن نبدأ بالأمور التي لا يخطف حول صحتها أحد :

أولاً — الاختيار يكفل للإنسان الحرية في اختيار معتقده ومناقشة أمور العامة منها والخاصة سياسية كانت أو دينية .. اقتصادية أو اجتماعية .. انسانية أو علمية .. فردية أو جماعية .. بحيث إذا امتنع عليه مباشرة أى من هذه الحقوق المكتولة له تحت أبة حجة مهما عظم شأنها وجل مقامها فقد أهدرنا حقاً في الاختيار الذي كمل له وجوده الإنساني ..

وبالتالى فلا اجبار على اعتناق دين أو التسادة بمذهب أو الادلاء برأى ..  
فالإرادة التى يشوبها الاجبار أو الاكراه إرادة منعمة لا وجود لها .

ثانياً — اعتناق دين أو مذهب معين مبدا يقرره الاختيار للفردى ..  
والعمل بشرية ما أو تحت ظلال قانون معين لمجتمع ما مبدا يقرره الاختيار  
للجماعى من خلال قاعدة الأغلبية وللزام الأقلية بقرار الأغلبية .. إذن  
فلا يجب أن يخلف الاختيار للفردى من واحد لآخر .. والجماعى من مجتمع  
للى آخر فما قد يراه أحد المجتمعات خطأ قد يراه الآخر صواباً .. لهذا  
فلا يجب أن نرى هذا الاختلاف الواضح فى بنى الأنظمة الاجتماعية التى  
تحكم المجتمعات وكذا بين الأفراد داخل البنين الاجتماعى الواحد .

ثالثاً — شرائع الأديان أصبحت الآن فى أغلبها كسبيحة عن ملاحظة  
للتطور المذهل للبشرية .. وقد نطقت كثير من المجتمعات الى هذا المفهوم  
نجات شرائعها خلوا من أحكام كثيرة نادت بها تلك الأديان وهذا هو حقها  
النابع من الاختيار الجماعى .

رابعاً — الإنسان فى حقيقة الأمر حالة اجتماعية داخل النصيلة الواحدة  
ولكل حالة فدراتها وامكانياتها التى تميزها عن الحالات الأخرى من خلال  
حركتها داخل قانون عام ينظمها .. والعبارة ليسوا بخوارق .. لأنهم كباقى  
للشعر يعمرون كل فى نطائهم عن حاله ليست فى واقع الأمر سوى ترجمة  
لقدراته الخاصة ولتى تميز بها عن غيره .. يستوى فى ذلك العالم ..  
الأديب .. المصلح .. المخترع .. النبى كلهم خوارق لكن فى أذهاننا فقط  
أما الواقع فهم كسائر البشر يطبق عليهم قانون الله بمساواة مطلقة من خلال  
قانون خاص لكل حالة على حدة وللفرقة ناتجة عن اختلاف كل حالة عن  
الأخرى داخل إطار القانون العام الذى لم يترك صغيرة أو كبيرة الا ونظم لها  
قانون حركتها .

خامساً — إيمان الرسل بأن الله قد اختارهم لحمل الرسالة دمه  
وثبته اعتناق للناس لتلك للرسالات بل لقد أصبح إيمانهم هو المعبر بين  
تردد للرسل فى الانصاح باتصالهم بالله وبين اعتقادهم الكامل بوجود هذه

الصلة .. هذا الايمان هو الذى عز ما بقى من شمار للشك على شجرة  
اليتين .. لكن الذى لا جدال حوله انه لم يتم حديثا باديا بين الله وبين اى  
انسان من خلال تساؤلات عدة ..

— كيف كان حديث الله .. صوت له ذبذبات لم الهم صامت كالهلم  
الكتاب وللشعراء .. ولذا كان الحديث بصوت .. فكيف بهذا  
الصوت ؟ .. وكيف بالقلقة ؟ .. وبأى لغة ؟ .. ومن تائله .. الا الله ..  
لم احد اتباعه من الملائكة يسمعه الملقى دون غيره .. يتلقاه بلقن الالكترونية  
خصه الله بها يفهم الاشارات الخفية ليترجمها على الفور من اللغة الالهية  
الى اللغة التى يتداولها مجتمعه .. بل وفى قدرته ايضا ان يرى ما يعجز البشر  
عن رؤيته الملائكة .. وللشياطين .. وللجن .. مثل هذه الصور لا تستقيم الا  
مع مرضين احدهما .. ان يكون للانسان الرأى عين تليفزيونية تستطيع  
حفظها تلقى صور العوالم الخفية دون غيره من الحيطين وثانيهما .. ان  
تكون الرؤية رؤيا تخيلية ليس للمعين فيها دور يذكر من خلال تخيلات او احلام  
بقتلة .. ان القانون الذى ينظم كلمة المظوقات قلقون كامل متكامل .. له  
لروعه للكثيرة التى لم يلم بها ككل اى انسان بعد .. بل ان الانسان فى  
صورة عالم او مخترع لم غنان لم يكتشف من هذه التوائين سوى ذرة صغيرة  
فى محيط هذا الكون .. وبمازال حتى الآن يتمر لاكتشاف فروع هذا القانون  
فى صورة مخترعات ليست فى الحقيقة سوى اكتشاف لقانون قائم ..

ولو نظرنا الى الرسل وما قمعهو للانسانية نجد انه من الظلم ان  
نعمطهم حقهم .. فقد استطاعوا اثراء الحياة الانسانية فى بعض حقبات  
التاريخ .. ولكن بقدر ما استفادته البشرية من تطبيق ما نلخوا به بقدر  
ما اضرمت نتيجة فترات الركود الانسانى التى مرت بها المجتمعات .. لمي  
عصر النهضة كانت المجتمعات شرنقة للدين من خلال سيطرة رجال الدين ..  
الى ان خلع الفكر تلك الشرنقة ومزقها لتدب فيه الحياة بأراء المخترعين  
والفلاسفة واللماء .. وتقدم بعض البلاد التى تعتق الأديان فى بعض  
حقبات التاريخ .. ليس مرده للدين فى حد ذاته او الاستمسك بالحاكمه بل  
سببه نظام الحكم والثائين عليه ورغبة الحاكم فى الإصلاح وتوحيش اركان

الفساد والامساد تعود بعد هذا لسؤالنا .. هل الكتب السماوية من كلام الله؟ لو امعنا العقل والفكر لوجدنا ان الكتب السماوية ركزت جل اهتمامها على الحلال والحرام في صورة آيات متفرقات تربطها فكرة الأثنية والمقاب لكنها لم تكون نظرية محددة .. انما احكام متناثرة متفرقة من خلال اوامر ونوامي وتعريف بقصص الأولين .. جاءت بمباركات عامة غير محددة .. وبكلمات مبهمه .. تهويمية .. وبوقائع يقف العقل البشرى عاجزا امام معانيها .. الغرابة ما تسرده .. بل تحول للعقل الانساني الى اكلة شسبية طغمتها الخرافات والخزعبلات .. فالمعالم الخفى الذى يعيش وراء ظهرنا والتمثل فى الملائكة والجن والشياطين وملكهم للعظيم ليليس لم تقدم لنا الصالحات الدينية دليلا على صحة وجودهم الا ما سطر .. ولم يثبت بالعلم او نظرياته على مدى للقرون الطويلة وجود مثل هذه الأشكال الغريبة .. ولم يحدثنا أحد عن شكل هذه المخلوقات الا ماورد من اوصاف مادية .. فالجن من نار والملائكة من نور .. هذه الأوصاف المادية التى وصفت بها هذه المخلوقات تثبت بما لا يدع مجالا للشك خطا القول بوجودها .. فالجن مخلوقات من نار .. والنار مادة والمادة يمكن رؤيتها والاحساس بها حتى ولو كان مصدرها خافيا علينا .. اذا كان هذا كذلك فلماذا لا نرى تلك المخلوقات؟! ثم لماذا لا نستشعر لفتح حرارتها اذا تعذر علينا رؤية مصدرها!! والسؤال أين تقطن تلك المخلوقات .. هل هى تعيش بيننا .. ام ان لها كبا قتل فى سالف المصور تحت الأرض مملكة تقطنها وتمارس فيها حياتها من زواج وتناسل وطعام وشراب وعمل .. ان العجز البشرى فى الاجابة عن مثل هذه الاسئلة الصعبة بالقتاع واقتناع .. وايراد الأدلة والبراهين العقلية يدفعنا الى الشك فى وجود مثل هذه المخلوقات الغريبة خاصة وأن الكتب أحجبت عن وصف هذه الشياطين اشكالها وأحجامها وأبعادها .. هل هى لسان من لهب ام انها نار فى شكل انسان ام فى شكل حيوان للصور المتقدمة كالتنين .. ام ماذا!؟ ..

ثم الملائكة التى هى من النور .. واذا كان السؤال كيف هى!؟ .. نور الشمس لم المصباح الكهربائى لم مصباح للزيت!؟ .. ملين هى الاجابة!؟

ثم كيف بأشكال هذه المخلوقات النورانية .. طويلة .. مستطيلة ..  
 شماع منقطع أم طيور .. وهذا الوصف الأخير هو ما درجت بعض  
 الصناعات على وصفها به .. ولذا على هيئة طيور! حتى تتمكن من  
 التطبيق في الجو .. لأنه لم يكن أحد ليتصور في الصور المتقدمة أن في قدرة  
 مخلوق التطبيق إلا إذا كان بجناحين .. لذلك ظم يكن إلههم سوى هذا  
 التصوير المادى الذى صور الملائكة على هيئة طيور بجناحين أو مستمالة  
 جناح برصمة بالجواهر .. رغم أن زينتها بتلك الجواهر يستلزم معها ماديتها  
 بل ويعوقها عن الطيران .. والأدهى من ذلك أن نجد في من يعتقد مثل هذه  
 الأفكار التهويمية بل ويؤمن بها إيماناً راسخاً كالإيمان بالصاروخ ولتبر  
 الصنامى بل ويزيد عليها القول بأن الشياطين والملائكة لها القدرة على  
 التشكل إلى حيوانات وطيور وأفاعى ( بل وتصدر بها أحكام قضائية ) ..  
 محنة وإى محنة أن يعيش الناس مثل هذه الأفكار وأن يتداولها لأنها تعنى  
 الموت للكفرى .. وأبليس هذا المتمرد على الإله والذى رفض السجود لآدم  
 وتركه الإله طليقاً عابثاً في مقادير الناس يوسوس لهم للشر ولن! مئات  
 الملايين من البشر وفي وقت واحد .. نقول مثل هذه الخزعبلات ونعتقدنا  
 ولنهدم الحقيقة البرابضة على مدخل التطفل العلمى للعلمى للفرانز البشرية  
 من خلال علم الاجتماع وعلم النفس وفروع علم الإنسان المخططة التى ليس  
 من بينها هذا الأبله .. المسبون الذى يوسوس للناس ولكن هل يعنى عدم  
 صدق تلك القضايا وعدم اتساقها مع الحقل هل يعنى هذا انكار تنزيل الكتب  
 للسواية!؟ بالقطع! .. إذن فالاجابة بدر لم يكتمل .. نضطر معها إلى  
 إثارة سؤالنا للقديم هل الكتب السماوية من عند الله ؟ ..

أولاً — الاستدلال بنص ورد في واحد من الصحف الدينية لاثبات  
 تنزيلها من لحن الله ليس دليلاً قاطعاً لا يقبل الجدل لأنه إذا كان للدارس أصلاً  
 يبحث في صحة تنزيل الكتاب بزمته من عند الله فكيف نظرية بقبول أحد  
 نصوص هذا الكتاب حجة يحسم بها القضية لصالح لقائل بتنزيله .. بمعنى  
 آخر إذا كان للباحث ينكر أصلاً تنزيل هذا الكتاب ككل .. فكيف نحتج عليه  
 بنص ورد فيه بقبول بتنزيله !! ..

ثانياً — وسائل الاتصال بين الخالق والرسول والتي قيل انها كانت تتم مباشرة بالكلام أو عن طريق وسيط أثناء الليقظة أو أثناء النوم عن طريق الاحلام مثل هذه الوسائل مشكوك فيها .. ولا يمكن أن تؤدي بنا الى حقائق يقينية .. ذلك لأن ميلاد الحقيقة اليقينية يستلزم معها أدلة علمية أو عقلانية وهوما نفتقده في تلك الوسائل ..

ثالثاً — النجاح بالمعجزات في الكتب الدينية لاثبات تنزولها من عند الله لم يعد حجة حاسمة لا تقبل للجدل فلا يعنى وجود المعجزة « على مرض كونها كذلك » اتصال الله بالمرسل لتحقيقها .. ذلك ان ربط المعجزة بالاتصال يخلط ظالم لأن وجود المعجزة لا تمنى الاتصال .. وان كان تعلم الاتصال يحل معنى المعجزة .. وطالما اننا عجزنا عن اثبات تلك الصلة فلا يجوز أن نحتاج بالمعجزة التي يمكن أن تحدث في غياب تلك الصلة للداعى التيسيس را سيوتين حقق معجزة للشفاء لكنه لم يدع النبوة أو الصلة بالله ودستور بوذا لم يدع صلاحية أنه كتاب موحى اليه به رغم أنه ضمنه كل تعليم الأديان .. ومعجزات العلم والنظريات والمخترعات .. لم يدع أصحابها بوجود هذه الصلة المزعومة رغم اعجازها .. فضلا عن ذلك فقد فقدت المعجزات التي تمت على أيدي الرسل رونقها وبريقها للخاطف للابصار .. ذلك للقرنم الذي يقف أمام عملاق العلم يستعطفه ويستجديه .. فلين مكان انفجار هورشيما من طوفان نوح وأين زرع القلب والمنع والاعصاب من معجزة شفاء المرضى .. وأين الصعود للقمر من بلاغة النص .. « ياناس اختشو » ..

رابعاً — التضارب في الأحكام التي أثبت بها صحائف الأديان يدفع للباحث للتساؤل .. اذا كان الله واحداً في الأديان جميعها .. فلماذا هذا الاختلاف الصارخ بين نصوص هو الذي قام على تأليفها .. ولماذا التثليث والوحدانية في نفس الوقت .. كيف يصبح الزواج بالكفر من واحدة زنا .. وكيف يباح في نفس الوقت .. كيف يصبح الطلاق محرماً ومطلاً في وقت واحد .. كيف تؤدي المبادئ بأسلوب يختلف من عقيدة لأخرى .. ما الحكمة ان يتناقض الاله مع نفسه وهو يمثل تلك الأحكام .. وهو القادر

أساسا على إعطاء الحكم الأمثل ؟ هل مرد هذا الاختلاف والتباين في الأحكام  
تعدد الآلهة أم سببه اختلاف مناهج قاطلية من البشر ؟

خامسا — الله قانون كامل . . كيف يحتوى قاموسه على كثير من  
الأمكار الخاطئة والتي نسخت بغيرها بمقولة امكن تناسبها مع الظروف  
الجديدة . . أفليست هذه حجة يمكن أن نسوقها الآن لاستبدال الأحكام  
للكنائس بأحكام جديدة تناسب العصر ؟ ثم اذا كانت الأفكار المنسوخة  
بغيرها . . انكارا ناقصة فهل من التصور أن تكون أحكاما كلية ثابتة في  
قانون الله أم أن الحقيقة تكمن في البشر الذين قاموا على تأليفها . . وبالتالي  
تصبح أحكاما قابلة للخطأ والصواب . . قابل للتعديل والتغيير وهذا  
ما يؤيده الحادث وما يؤثره المنطق . .

سادسا — كيف يمكن لعقل دارس تصديق أن قاموس الإله يحتوى كل  
هذه الخرافات المذونة دون أن ينكفأ مرات ومرات الى أن يعترف للهزال  
والسأم . . والخلل للعقل . . والاضطراب للذهن . . هل يمكن أن يصدق  
أن الله يأمر رسوله بالبحث عن بقرة لها أوصالها مميّنة ليذبحها ثم يأخذ  
منها جزءا يضرب بها ميت ليستيقظ ويشهد على من قتله ثم يعوت من جديد  
أو أن بحرا ينشق ليسير فيه القوم حتى اذا ما نجوا انطبق البحر على  
الكفرة !! أو الساعة التي أخذت قوم نبي ليعم بهم من جديد . . الأمثلة  
كثيرة تؤدي العقل للرقة عجزه . البعض يتحدث عن نظريات للنساء  
وللبعض الآخر مازال يبحث عن نظريات الأديان . .

سابعا — ما أوردها لا يعنى رفض المعجزة فالمعجزة لا بد وأن يكون لها  
أساس علمي . . ترتبط بنظرية كونية أو انسانية ولا تنافي من نراخ لذلك  
بالخوارق مرفوضة . . الا اذا كان لها قانون لأن الخوارق بدون قانون تعنى  
الفوضى . . واذا ما اعتبرنا ما اتاه الرسل خوارق ينتظمها قانون . . فلماذا  
توقفت لملا لم تتكرر ؟ واذا قلنا انها خوارق لا تتكرر ولا ينتظمها قانون  
فهى الفوضى لذن التى يعف عنها قانون الله .

وفي النهاية .. الله كقضية عقلية .. كامل متكامل قانون الكون والحياة  
للقانون الأمثل .. ولهذا لا يمكن أن يضم مثل هذا القانون الأمثل أحكاما  
معيبة أو ناقصة فإذا كان الله كاملا .. فكل قوانينه كاملة وكل القوانين  
التي يكشفها الإنسان من صنعه هو .. لأنها قوانين كاملة .. وإذا كان هذا  
هو نهاية مطالب للحديث .. وإذا كنا قد انتهينا أيضا إلى أن كثير من الأحكام  
والقضايا والأموال التي أثارها الأديان خاطئة أو ناقصة أو لا عقلانية ..  
فكيف يمكن أن نعزوها إلى قانونه الكامل .. فكيف بالكامل ينادى بالناقص  
أو للخطأ؟!



## الجريمة .. والملاح

إذا كنا نرفض الجنة والنار .. وإذا كان الحديث عنهما تملأ كالحديث  
للخرافات .. للتئين الذى ينفث نارا والوحش الخرافي الذى يضرب بقبضة يده  
عمارة فيخيلها انتفاضا والتعبان للضخم الذى يبتلع مدينة بأسرها .. إذا كنا  
ننكر الجنة والنار .. فما هو إذن جزاء من يفعل الشر خلاصة إذا لم ينله  
عقاب للقانون الوضعي ١٩

قاعدة الإثابة والعقاب ليست سوى قاعدة تاريخية قديمة التى بيذبتها  
المتبعة عقل كهنة المجتمع القديم فى أرض الفكر الجحيم نتيجة عجزها عن  
استنباط نوع جيد من البذور يتحول العطر وندرة الماء وقسوة للترية ..  
أيضا بسبب عجزها عن استئنان قاعدة أنسانية بموجبها يتحقق للتوازن بين  
املات الفرد من العقوبة للذنبية وبين ضرورة مجازاته على ما ارتكب من أعمال  
تجربها الأخلاق السائدة فى المجتمع آنذاك .. نتيجة هذا المعجز لم يجد العقاب  
البشرى أمامه سوى التناداة بأن المخطئ سينال جزاءه حتما فى الدار الآخرة  
إذا ما افلت من العقوبة الدنيوية .. وانتقلت بهذا فكرة العقوبة من أرض  
لواقع لى سماء الفيبليات .. والتهويمات .. هذا التحديث والتحرير الذكى  
لم يكن وليد الصدفة بل هو نتاج تاريخ طويل قلم فيه لكهان بفرس بذور  
فكرة العقاب الآخروء تدعينا لغوتهم ومسلطتهم .. وانتكرت فكرة العقاب  
بالإثابة أيضا فمن يد سل شرا سيجنى فى الآخرة شرا .. ومن يعمل خيرا  
سيحصل مثله ..

واستلهم الحكام والإشراف تلك الفكرة الذكية لوضع قانون ظالم فى  
ثوب قانون عادل فالجزم الذى لم ينله القانون ماله النار خالدا فيها أبدا ..  
والظلم الذى عجز عن الحصول على حقه مصيره الجنة .. قانون ظالم لأنه  
يعنى استسلام المظلومين للظهور أملا فى جنة موعودة .. وعقاب أخروى لأن  
ينلت منه للظالم .. الظلم واقع ملموس .. وليل العذل وهم فى خلود .. من

هذا المنطلق بدا الاستسلام ينصب شركاه على العقول أملا في اللجنة الموعودة وكانت التدريية أولى ثمار هذا الاستسلام .. الذى انتهى الى امتطائه الأشراف والأثرياء ظهور للقراء بالقوة والسلطة والسيوط بدعوى أن هؤلاء الأشراف والأثرياء الذين عاثوا في الأرض مفسادا ولم يردعهم قاتنون أو اخلاق .. وتجصنوا من عقاب الدنيا .. هؤلاء سيحيق بهم المذاب الأكبر يوم القيامة الموعود وتحصولات قاعدة الاثابة والعقاب هذه على يد الكهنة ورجال الدين موضحوا لها العواشى والهوامش وكان أن تشوشت للرؤيا .. وضاع مفهوم العقاب وفلسفته . أن فلسفة العقاب العنفيوى تعتمد على عنصرين :

أولهما : عقاب الجاني لردعه وثانيهما : تحذير الغير من ارتكاب نفس العمل المجرم .. للعقاب هنا معنى الانتقام من الجاني وبالنسبة للغير معنى الوقاية . قاعدة العقاب هذه قديمة قدم الانسان أخذت بها المجتمعات المتخلفة والمتحضرة لدرجة أنه لا يخلو تشريع وقضى من قانون للعقوبات .. ورغم أن هذه المجتمعات تعتبر هذه القاعدة ضرورة لا تستقيم بدونها حياة المجتمع الا أنها في الواقع قاعدة متخلفة غير حضارية توارثتها المجتمعات دون أن تبحث جنواها وأهميتها في تطور هذه المجتمعات .. حيلة رديئة أهد وجوبها يمثل الانتقام بكل معانيه .. قديما للسارق تقطع يده والمعاق يرحم والقاتل يقتل .. وحديثا الأعدام والسجن والنحبس والغرامة .. والوجه الثاني يرى فيه الغير قوة الردع التى تمنعه من الاتيان بأى فعل يجرمه القانون هذه القاعدة بوجهها باتت قلصرة عن استيعاب النظرية الحديثة التى يجب أن تسود المجتمعات .. تلك النظرية التى تنظر الى المجرم كمريض يجب علاجه لا عقابه من خلال نقاش مستفيض حول قاعدة الاثابة والعقاب وجنواها في تطوير المجتمعات ، وكذا امكانية الاستغناء عنها لقاعدة العلاج وحتى يتسنى ذلك علينا استرجاع كافة أنواع الجرائم والتى يمكن تقسيمها الى نوعين جرائم جماعية وأخرى فردية .. الجماعية وتمثل في الحروب التى تستبجحها المجتمعات بل وتمدها بكل إمكانيات للتصميم من رجال وعناد وعلم وتكنولوجيا .. المنتصر فيها يعلل والقاتل شجاع والمهزم مجرم خرب

والقتيل شهيد في إحدى الكتفين .. كافر في الأخرى ولا تدري لمن أعدت نار  
الآخرة الموقدة هل للمنتصر أم للمنهزم !! أم لهما معا .. وليس تاريخ الحرب  
ببميد .. فقد حوكم للبض أو على الأصح من تبقى منهم كمجرى حرب ..  
والسؤال ماذا لو كانوا هم المنتصرون ؟! بالتأكيد كانوا سيفضون قادة  
أعدائهم داخل نفس قنص الاتهام ثم قنبلة هيروشيميا ونجازاكي التي قتلت  
وشردت مئات الآلاف من المدنيين .. من هو القاتل ؟!

القاتل هو اللبطل الذي زينوا صدره بالأوسمة !! لماين مكان مثل هذا  
لللبطل بعد ذلك في الآخرة .. الجنة .. أم النار ؟! .. أن للتاريخ بشقييه  
الحديث والقديم شاهد أمين على حروب ومذابح أريقَت فيها دماء الملايين وضاح  
فيها الحق إلا حق المنتصر .. انطوت فيها أعلام ومبادئ وحضارات ..  
إلا أعلام المنتصر .. فاقترنت طوائف البشر بعقائدهم المختلفة ودياناتهم  
المتعددة .. أي طائفة منهم كانت على حق .. وأي منها على باطل .. من  
المخطئ ؟! ومن المصيب ؟! .. لمن أعدت النار التي وتودها الناس والحجارة ؟  
ولن يستفتح الجنة أبوابها المرمية بالأحلام والمفريات ؟! كل طائفة مستمسكة  
برأيها تدافع عن حقها .. تلقي بحججها .. وفي النهاية للغة للأقوى ..  
والحق تصونه للقوة .. والافتناع يحصنه الانتصار .. وعلى المستسلم قبول  
حجج الطرف الآخر وشروطه .. وتبقى الحقيقة في النهاية نائمة .. لغة  
مخفية لا ترى حتى عينيسا .. إذا تمزق قناعها أبصرت قبح محياها ..  
ولبتسامة ساخرة من شأها .. فظلم للحجاب لم يك جمالا لخلاد وسحرا  
لا يقاوم .. بل الحقيقة .. حقيقة الصراع للدائر فوق حلقة الحياة من خلال  
مذهب أو مبدأ يقيني أو فكرة أو مصلحة لأنه بدون حقيقة هذا الصراع تصبح  
غريبا على أرض مجهولة رست على إحدى شواطئها المهجورة سفينة أبحرت  
بلا بحار .. بلا بوصلة .. شاطئ غريب تطأه الأقدام لأول مرة .. وتصبح  
فكرة للجنة والنار أشبه ب تلك الأرض التي لم تكشف بعد وهادها أو جبالها  
أو كهوف الاخطار المحققة بها .. بل ويشت الخيال حول أوصالها وتختلف  
الآراء حول مفهومها .. وتخرس أصوات المتدين بها .. وتتساقط دموع  
النسيبة لتخمد نارها .. وتسقى أشجار جنتها غتذبل أوراقها .. ولا يبقى

في النهاية سوى وجهة نظر .. وجهة نظر كل طرف في ضحاياهم الذين تقدمهم على مذبح الحرب .. تقتلى طائفة يحلهم تبيهم الجنة مع الشهداء والأبرار .. وتقتلى طائفة أخرى شهداء في جنة عرضها السموات والأرض « هل نرى العلم أحد وجود مربع أو مستطيل أو شكل هندسي يعرض دون طول ١٢ » .

ومئة ثلاثة تضم بالذات الروحية في جنة واردة الظلال .. أما هؤلاء الذين لم تصلهم الرسائل .. فمكانهم بعد الموت مجهول .. لا الجنة ولا النار متوأم وفي النهاية يصبح دخول الجنة والنار مرده إلى كل فريق حصول إشلاء قتلاء .. متمصين بهذا إرادة الله .. وكل فريق يستشهد على صحة رأيه بآيات بينات من كتبه المحكمات .. ولكن يبقى في النهاية رأى الإله مجهولا حول مصير هؤلاء القتلى .. الجنة أم النار فمن هؤلاء يؤيده الله في صف من يقف ويشجع ويؤيد !! من ينصف من هذه الشيع المتبعثرة .. ومن يؤيد من هذه النسل المتناثرة .. هذه الأسئلة يجيب عليها كل طرف لصالحه .. « بنا للحق » وهكذا تصبح الحقيقة .. وتصبح وحما فكل يحل برأيه لصالحه .. دون أن نعرف على وجه اليقين أين مكان الله من هؤلاء ولا لاي من الأمثلة ينحاز !! ..

وإذا ما تركنا هذه الجرائم الجاعية التي لا يحاسب مرتكبيها في الغالب الأعم لهم الجرائم الفرية كالقتل والسرقة والنصب والاحتيل والانتصاب نجد أن قاعدة العقاب الدنيوية تطبق بعزم وتتأزم معها قاعدة العقاب الأخرى هذا طبعا لمن يؤمن بالأديان .. أي أن القاتل يحاسب في الدنيا والآخرة بشرط أن تثقل موازينه فمتصبح له مأوية !! ..

وما يرضى الإنسان هنا هو الارتباط الوثيق بين القانون الجزائي الوضعي والقانون الجزائي الأخرى .. فكل جرم يعاقب عليه القانون الوضعي يتم داخل نطاق القانون الأخرى .. ولكن ليس كل تجريم أخرى يدخل ضمن جرائم القانون الوضعي .. بل هو أعم وأشمل فمثلا السارق يجرم منطه للقانون الوضعي وأيضا السماوى .. لكن النمية جريمة سماوية فقط !! سبب هذا الارتباط بين القانون الجزائي الوضعي والقانون

للسماوى هو الخشية من طول النوضى اذا لم يتم الله بمحاسبة المخطئين من الجرائم التى لا يجرمها القانون الوضعى او تلك التى يفلت منها المجرم حتى مع تجريمها .. هذا الارتباط الوثيق وهذه الخشية من التى دفعت الكثيرين لاعتناق فكرة الجنة والنار .. فبدونهما تحل النوضى .. ويبنى الناس خفية كل الموبقات .. وبالتالي تستحل انسجة وخلايا المجتمعات فى غيبة مصل الردع الذى يخصص ضد كل الامراض بمعنى آخر اذا انتفى العقاب بشقيه الدنيوى والاخرى حلت النوضى .. وعم الفساد ..

هذا المفهوم الساذج يعمل فى داخله بذور للشك ذلك ان سيطرة فكرة العقاب الالهى على وجدان بعض المجتمعات ليس هو بالضرورة سبب نهضتها بل بالعكس قد يصبح أخذ اسباب تظلمها .. كما لا يعنى انتصار موج العقاب الالهى عن فكر المجتمع تظلمه او ابتعاده عن ركب الحضارة بل قد تزدهر مثل هذه المجتمعات فى غيبة فكرة العقاب الأخرى .. والأمثلة عديدة ومتنوعة .. فبعض المجتمعات يمسك بالنواجز على صيغ الأديان ولكن أين مكانه فى مرم الحضارة والتضرع مع مجتمعات أخرى لا تعرف قواميسها كلمة الله ولا تسمى معنى الآخرة .. انها فى اسفل سافلين !! لأن فليس الايمان بوجود الله او بقاعدة العقاب الأخرى سبب بحث الحضارات أو ارتقاء الأمم .. فالحضارة والتضرع أساسها العمل والايمان به .. واستلزام قيم ومبادئ والعمل على أساسها .. اما الايمان بوجود الله رب الجنة والنار فقط دون الايمان بالممثل ثم للتبلى على أسوار الماضى فحسبيلتها السراب .. واذا انتقلنا الى فكرة العقاب الدنيوية .. نجد أنها فكرة متخلطة .. عملة رديئة كما سبق أن قلنا لحد وجبها الانتقام والثأنى الردع يمكن استبدالها فى المجتمعات الحضرة والتي تندر فيها الجريمة بنظام العلاج .. فالمجرم ليس سوى انسان مريض نفعه مرضه لارتكاب جريمة مكانه مصح يعالج فيه وليس سجنًا بأسوار أو تصفية جسدية .. يستوى فى ذلك القاتل .. السارق .. المقتصب .. الموتى .. فالكل امام قانون للعلاج سواء .. ولكن يبقى السؤال هل نكافئ لجأتى بعلاجها ونترك المجرى عليه او من اصحاب الضرر .. الاجلوبة

معروفة مقدما .. نعالج التجاني ونعوض المضى عليه عما أصابه من ضرر  
وعلى هذا يمكن حصر نتائج للفعل المجرم في :

١ - علاج الجاني ..

٢ - تعويض المضرور ..

بهذه النتائج يمكن أن نحقق التوازن بين الجريمة وإثرها .. بعد أن  
ناصلها بقاعدة الاختيار كيف ؟ حرية الانسان مكفولة ومشروطة بعدم  
الاضرار بالغير .. لماذا ما حدث الضرر نتيجة أتيان فعل حتى ولو لم يكون  
عناصر جريمة ينص عليها قانون العقوبات .. حكم على الفاعل بالتعويض  
ثم بالعلاج اذا ثبت مرضه .. ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك ؟ ان  
تطبق مثل تلك القاعدة يحتاج كما سبق ا، اشرنا الى مجتمعات متحضرة  
تندرج فيها الجريمة .. وتطبق فيها قاعدة للعلاج تدريجيا .. تنتقل  
فيها من العقاب الى العقاب مزوجا بالعلاج ثم الى العلاج بحيث يصبح  
في النهاية القاعدة الاولى بالاتباع .

## إعادة الشيء لأصله

— للسؤال الذى يحاصر الانسان للواعى .. هل يوجد خير مطلق  
وشر مطلق .. للاجابة على مثل هذا السؤال علينا أن نتصفح صحائف  
التاريخ منذ أن وطئ الانسان الأرض .. لقد كان مفهوم الخير والشر مرتبط  
آنذاك بالمعلية السائدة .. تلك للمعلية التى ارتبطت بفرصة حب البقاء  
والتي سيطرت على افعال الانسان وردود افعاله .. لذلك فلم يكن الانسان  
البدائى يعرف ذرة مما تختزنه للبشرية الآن من قيم ومبادئ ومثل فى بتوك  
عقولها والتي احتاجت للبشرية لصلسهرها وبلورتها لآلاف بل ملايين  
السنين ، لذلك فلم يكن مستبعدا أن تكون الأم فى إحدى حقبات التاريخ  
كما كانت الأخت رفيقة الأبن فى فراشه تنجب منه .. كما تعمل بعض  
فصائل الحيوان .. وللنحرىم لللاحق مثل هذه العلاقة بين الأم وابنتها أو  
الأخت وأخيها لم تصل اليه المجتمعات الا بعد تطور بطنى وعيق فى الفكر  
الانسانى حول معنى الخير والشر .. المباح والمحظور .. تطور يستهدف  
فى النهاية سعادة الانسان وتقدمه .. وأثناء زحف هذا المعنى الاسطورى  
فى غابة الانسانية حاملا سلاح المعرفة تحطمت كثير من المفاهيم الخاطئة  
لتورق مكانها مفاهيم جديدة لمضى الخير والشر بحيث يمكن القول انه يوجد  
ارتباط عميق بين التطور الانسانى وتطور مضمون الخير والشر لكن مع هذا  
تبقى حقائق مستقرة كتهظريات اللطم لا يستطيع أحد اثبات عكسها الا اذا  
كان خروجا عن دائرة العقل .. ودخولا لمثلث الفوضى لحد هذه القواعد  
التي يجب الاعتراف بها وللأسجد لمعانها هى قاعدة الضرر .. وللسؤال  
ماذا معنى تلك القاعدة ؟

معنى الامتناع عن اتيان أى فعل يتربط عليه الاضرار بالغير .. ويباح  
فيما عدا ذلك . هذا المفهوم لا خلاف بشأنه .. ولكن الخلاف حول تطبيقه  
هو اذ يتفق ومعنى الاختيار .. أى حرية اختيار البدائل فلا خلاف حول

تقريره كجدا .. ولكن الخلاف حول تطبيقه كقاعدة قانونية ما يعتبر من الأعمال ضارا بالغير فلا يصح الاتيان به .. وما يباح لأنه لا يسبب ضررا للغير .. هذا الاختلاف سببه تطور مفاهيم الخير والشر من خلال التطور الانساني أو النضج الحضارى أو العلمى أو الفكرى ففى ظل قوانين أخلاقية سادت مجتمعات قديمة لم تستهجن تلك المجتمعات زواج الأخ من اخته ولا اتيان رجل لزوجته آخر بموافقة زوجها لتجهين النسل !! كذلك لم تجد كثير من المجتمعات غضاضة فى استبعاد الدائن للمدين اذا لم يفى بالدين بل وفى عصور متقدمة كان سبى المرأة بطولة واستبعاد الأسير ملحمة نادت بهيا معظم للكتب السماوية !! وفى عصور أكثر تقدما أقر المجتمع التجيزى زواج الرجل بالرجل بل وأسن له قانون لحماية العلاقة الناجمة عن مثل هذا الزواج .. ومع ذلك ترى الحقيقة الأزلية .. للقاعدة الأساسية التى يدور حولها المتع والاباحه وهى قاعدة الضرر .. فيمتنع على الانسان الاتيان بأى فعل ينتج عنه ضررا للغير .. عنصر الضرر هذا هو معيار التفرقة بين الخير الشر بين الخطأ والصواب .. بين الحلال والحرام .. ولكن توجد أعمال قد يختلف للراى حول تقييمها .. خيرا أو شرا .. كممارسة الانسان لشئون حياته الخاصة فى اطار الشرعية الاخلاقية ورغم أن تعبير الخير والشر تعبير واسع مطلق الا أنه يمكن القول بلا حرج أن أى فعل مهما كان نوعه لا يلحق للضرر بالغير يدخل دائرة المباح ولا يحظر على الانسان الاتيان به .. هذه القاعدة وإن تكن فلسفتها قد تبلورت فى العصور القديمة .. لذلك فلم يكن مستغربا فى عصور سابقة اباحه سبى المرأة ووطئها بالقوة فى الوقت الذى يعاقب اثنان بالغان غير متزوجان بالرجم لمعاشره رضائية بينهما .. فى الحالة الأولى ضرر بالغ وقع على المرأة نتيجة انفصالها قننة التقاليد والعرف السائد .. وفى الثانية شبهة ضرر قد تطرق بالمجتمع لا تستاهل كل هذا الانتقام للوحشى .

معيار للضرر هذا يختلف من عصر الى عصر وكذا يختلف من مجتمع لآخر .. رغم هذا فيجب أن يكون عنصر الضرر أساس التحريم والاباحه فى كل هذه التشريعات .. التى تعتمد الآن على فكرة المتاعب .. هذا



المشهور يجب أن يتناوله التعديل والتغيير لغذاب فكرته القائمة على الانتقام داخل بوتقة مراحل التطور السلاجي .. لتحل فلسفة العلاج مكان فكرة الانتقام .. والعلاج هنا لا يقصد به علاج للجاني فقط بل أيضا علاج المجنى عليه — بحسب آثار الضرر بكافة الوسائل ومنها إعادة الشيء إلى أصله ماذا تمذر ذلك وجب للتعويض عن الضرر الواقع .. ففي المارقة تعاد الموقوفات إلى صاحبها وإذا تمذر ذلك يحكم له بالتعويض المناسب أما بالنسبة للمسارق فعلى الدولة أن تقوم على علاجه .. والضرر الواقع على الزوج من موافقة زوجته لمشييق لها تعنى آثاره أولا بإباحتها للفرقة بين الزوجين وثانيا بالتعويض ولا يستلزم لمحو آثار هذا الضرر ما تفادى به الأديان من رجس أو جلد الزوجة والمشييق .. المخاداة بمثل هذا الجزاء ليس سوى أحد أذيات صور الانتقام الوحشي ذلك لأنه حتى يمكن تطبيق قاعدة للضرر تطبقا سليما فيجب أن لا يتجاوز ما درجنا على تسميته بالمعقاب حدود الضرر لمزنا الزوجة ليس بقتل .. وليس من نتائجها ازهاق روح .. فكيف يكون عقابه كمعقاب للقاتل ..

في القتل لا يمكن إعادة الشيء لأصله بإحياء الميت إذن فلا مناص من تطبيق قاعدة العلاج بشطريها محو للضرر بتعويض المجنى عليه أو المضرور سواء تمثل ذلك في الورثة أم في الدولة .. ويتم هذا التعويض من أموال الجاني أو من استثمته عمله وهو بمثابة إعادة الشيء إلى أصله .. ويتم به تحقيق للتوازن ثم علاج الجاني وهو للشطر الثاني .. وفي النهاية يجب أن لا يفتيح من المعن للواعي أن مثل هذا النظام يستلزم حضارة إنسانية رفيعة وفكر واعي مستدير ومجتمع شبيه فاضل .. يمكن أن يكون أرضا خصبة لتطبيق قاعدة التعويض والعلاج بعكس مجتمعات متخلفة والتي لا تصلح لتطبيق مثل هذه القاعدة عليها والا حدث الاضطراب وشاعت اللوضى ..

## سرداب الأسرار

إذا تأملنا الحياة بكل تركيباتها .. والمخلوقات بكافة أشكالها ..  
والإنسان بكل خصوصياته .. نجد أنه يوجد قانون ثابت لا يتغير .. وهو  
أحد القوانين التي ثبتت دعائمها بأصول العلم والمنطق .. هذا القانون  
هو قانون الدورة .. أو نقطة البداية .. هذا القانون يعنى العودة الى نقطة  
البداية .. ولسنا هنا في مجال تقصى الاسباب والظواهر العلنية ولكننا  
نناقشها كمسألة ترتبط أساسا بالإنجيل .

نبدأ فيها بالبذرة التي تحفر في الأرض وننتهي أيضا بالبذرة التي  
نجمها من الثمرة .. لو تأملنا هذه الدورة لوجدنا عجباً .. وإى عجب أن  
نهيء لبذرة صغيرة كل ظروف الانبات من تربة وماء ورعاية لتنبت نبات  
يُنتج للبذرة التي تبدأ دورة جديدة ..

وإذا ما تركنا النبات الى الماء نجده يتبخر من المسطحات المائية  
لينحول الى قطرات تصب من جديد أمطاراً تتحول من جديد الى مسطحات  
مائية ثم الى سحاب وأمطار .. وإذا ما انتقلنا للإنسان نجد أن حياته تبدأ  
بكتف حيوان منوى داخل رحم ليلتصق ببويضة ينتهي الى جنين ليبدأ  
حياة تنتهي الى تراب . الأمثلة عديدة .. نلمسها أكثر في الحقل الإنساني  
حيض المرأة .. النوم .. الطعام .. الافراز .. حتى للجنس نموذجية  
دائماً لنقطة البداية .. كلها أمثلة تخضع لنظام الدورة أى العودة لنقطة  
البداية .. والسؤال الذى يخالج أى فكر لكن ماذا يتبقى بعد انتهاء  
الدورة .. ماذا يتبقى قبل العودة لنقطة البداية ؟ هل ما يتبقى من الإنسان  
والحيوان والنبات مجرد ذرات تخطط بأديم الأرض .. هل هذا كل  
ما يتبقى .. أذن فاللغة على الحياة .. على كل ما فيها من مدنية وحضارة  
وتقدم . أن الذى يتبقى هو القانون الذى يحكم نظام الدورة بدايتها  
ونهايتها .. قانون راسخ مرسوم بحقة .. يسيطر بدروعه المخططة

الخاصلة على كل حالة على حدة .. قانون دائم ينظم علاقات هذه الحالات  
 منفردة ومجمعة .. قانون يبق لا تغيير فيه ولا تعديل .. ينطبق على كل  
 دورة تدورها الأرض .. على الاجرام السماوية .. على الانسان ..  
 ينظم نموه واستيقاظه .. طعامه وشرابه ونفرازه .. قنونه لا يسوت  
 ولا ينتهى بانتهاء الدورة او حتى يموت المخلوقات .. بل يبقى ثابتا ..  
 موجودا .. لا شيء الا ليرتدى دورة أخرى وتستمر الحياة .. وتستمر  
 المخلوقات باستمرار هذا القانون .. ماذا يحدث لو توقف هذا القانون  
 لحظة .. مستوفوت للكائنات .. وتدخل للفوضى .. لأن ذلك يعنى توقف  
 دوران الأرض وعدم عودتها للنقطة البدائية .. يعنى عدم ثابت بذرة  
 جديدة .. يعنى توقف حياة الانسان .. توقف المطر .. وفى النهاية تصبح  
 الحياة جرداء لا زرع فيها ولا انسان ولا حيوان .. هذا للقانون نخضع له  
 كما أوضحنا كل اسباب الحياة .. ومظاهرها .. نظرية هندسية  
 للكائنات .. تبقى هذه النظرية حتى مع موت الكائنات فموتها يعبر عن  
 مرحلة من مراحل النظرية لنبدأ الحياة من جديد فى صورة أخرى .. او شكل  
 آخر لكن هل يعنى هذا القتل وجسود الأرواح .. أن الروح يفسدها  
 الفاض .. وعجز القتل البشرى على مدى القرون الفائتة عن تحديد  
 ماهيتها يدخلها فى دائرة الوجود المطلق الذى سبق أن اشرنا اليه ..  
 ويجرنا القول بصحتها او التأكيد بوجودها لمجرة للخرافات .. لأنه اذا  
 كانت للروح مجهولة .. ومجهلة للمتل للبشرى .. ما هيها .. نشأتها ..  
 تكوينها .. صلتها بالجسد .. كيفية تولدها به .. سبب وجودها ..  
 اذا كان كل هذا يدخلها فى دائرة المجهول المطلق .. فكيف اذن تصدر  
 أحكامها .. وتنتج .. وحديث لما هو مجهول .. كيف تقرر الايمان أنه  
 لا علم للانسان بالروح وانما علمها عند الله .. ثم تعود لتقول بخطاب من  
 من لا علم لنا به .. مالم يثبت وجوده العلمى أو العلى ..

لذلك وحتى نخرج من دائرة هذه الروح التى (جلت روحا) لا مناص  
 لنا من الالتجاء الى (الدورة) لتبرير وجود الانسان على مر العصور ..  
 فالموت تحول وليس نهاية .. بموجبه تتحول المادة من شكل لتكتسب شكلا

آخر .. بين خلايا وعاء وماء الى ذرات تراب ومعادن .. لكن ماذا يبقى وراء خلف هذا التحول .. النظرية هي التي تبقى .. للنظرية التي يصنع على اساسها الطمي ملايين المخلوقات .. للنظرية العلمية التي تبقى رغم عمليات الهدم .. فالجوت ليس سوى عملية هدم .. عمارة تهدم لتصبح انتافسا .. هكذا الانسان يهدم لتبقى انتافسه .. ولكن نظريته الهندسية تبقى تماما مثل النظرية التي تنشأ على اساسها للعمارة .. قد تهدم هذه العمارة بعد بنائها مباشرة لخلل في التنفيذ .. وقد تبقى مئات السنين وهكذا الانسان لا يموت بل يهدم .. مثل الانسان في هذا مثل اى صناعة تقوم على نظرية علمية .. فالفيزييون واللاجحة .. والمصباح الكهربائى .. والصاروخ كلها مخترعات تقوم على نظريات علمية .. يتحطم الفيزييون .. ويحترق المصباح .. وينفجر الصاروخ .. ولكن تبقى النظرية للهندسية خالدة .. باقية .. نظرية على اساسها يمكن بناء وحدات جديدة .. وما للتطور الحادث في مجال المخترعات الا تعبرا عن التطور للحادث في النظرية الانسانية .. الفرق بين كلا النوعين ان تطور المخترعات وراثه للعقل البشرى اما التطور الانسانى فبداخله مولد الطلقة .. اى بداخله امكانيات وعوامل تطوره .. فالانسان كصناعة معقدة .. من اللحظة التي ينشأ فيها الى اللحظة التي يدم فيها هذه الصناعة تقوم على نظرية ترسم كيفية تكوينه .. واستمراره .. ثم هدمه .. فنقولها عشرات بل مئات المرات .. الانسان لا يولد بل ينشأ .. ثم الانسان لا يموت بل يهدم لأن الموت فناء .. وهنا الموت تحول من مادة الى اخرى .. اى انه هدم .. اذن فالانسان ينشأ بناء على نظرية هندسية .. نظرية هندسية يتوالى نشوء الاجيال بناء عليها .. تحمل هذه النظرية في طياتها بذور او مولد تطورها .. واذا حاولنا التحقق من صحة هذه النظرية .. نجد انه توجد وسيلة واحدة لنشوء الانسان وهي .. اخصاب بويضة الانثى بالحيوان المتوى للذكر .. الجسد الانسانى لا يختلف من جسد لآخر من حيث تكويناته .. ومن حيث استمرار وجوده حتى في طريقة هدمه .. فالجسد

يهدم عندما تختلج أسباب البقاء على أسباب الفناء .. لكن القول بهذا  
 يعنى تشابه البشر .. أى تطابقهم .. وهذا يخالف الواقع ويجرنا الى  
 التناقض !! ان القيمة الحقيقية للانسان هي في اختلافه .. فاختلاف البشر  
 هو احد الخصائص التى يتميز بها الانسان عن بعض المخلوقات .. وهذا  
 لا يعنى التناقض .. فنشوء الانسان بناء على نظرية واحدة لا يعنى بالضرورة  
 تطابقه مع غيره . فالتطبيق هنا في الديناميكية البشرية وليس في الخصائص  
 البشرية .. فكل انسان باعتباره حالة داخل لفصيلة ما يميزه من غيره ..  
 فلك اتبه رغم هذا التطابق .. فكل حالة تختلف عن الاخرى .. لكن ما هو  
 سبب هذا الاختلاف البادى بين البشر بعضهم البعض !! ..

السبب يكمن في الخصائص المادية لكل فرد على حدة .. وقبل ان  
 نفوس الى أعماق النفس الانسانية باحثين من لاكلها نحاول ان نتوقف قليلا  
 على ما عبرناه منذ سطور قليلة .. لقد قلنا ان الانسان يهدم ولا يموت لأن  
 الهدم بقاء وتحول. اما الموت فهو فناء .. والانسان بعد دمه يتحول من مادة  
 الى أخرى ولكنه لا يفنى .. وقلنا ان سبب الهدم هو تطلب أسباب الهدم  
 على أسباب البقاء .. اعداد وحيية من الميكروبات تحاول عدم الجسد ..  
 وفي مقابلها جيوش من الكرات البيضاء تدافع بغرابة .. الأول بكل اسلحة  
 النار .. والثاني بكل تحصيناته الدفاعية الذاتية والخارجية الممتلئة في  
 العقائير الطبية والتقدم الطبي .. ويبقى الجسد أرض المعركة والصراع بين  
 قوى الهدم والبقاء حتى تنتصر في النهاية قوى الهدم .. ليتحول بعد ذلك  
 هذا الجسد الى مادة أخرى .. إذن فالنهاية المحتومة ان تنتصر قوى  
 الهدم . طال الوقت لم تضر هذه هي الحقيقة التى لا مهرب منها .. وليست  
 كما يزوها كمان الدين لسلوك الموت الذى يتزحزح الروح من الجسد انزعاجا  
 على حان الأجل دون ما أسباب والسؤال هل يمكن إطفاء عمر الانسان ..  
 نعم بتقوية دفاعات الجسد ضد هذائف الميكروبات .. بل ليس مستبعدا ان  
 يتقدم العلم خطوة .. بل خطوات في مجال تقوية الأساس البنائى للانسان  
 أى تهجينه لتجسد أماننا اتساقا جديدا يعمر مئات بل آلاف السنين ..  
 وانتصار قوى الهدم ليس سوى تطبيق لنظرية الموردة لنقطة البداية .. لذلك

نعم المستحيل الفاء هذه النظرية .. ولبقاء الإنسان حيا الى الأبد لأن هذا يعنى اخلاا جسيما بالنظرية .. يترتب عليه موسى قد تشمل كافة مناهي الحياة .. والظواهر الطبيعية من مطر وسحاب ودوران حول الأرض تنتهى حتيا الى توقف الحياة نهائيا لو استقمنا نقطة البداية من حساب حركة الحياة .

لذلك ان نقطة البداية ضرورة حتمية لا نستقيم بدونها حياة للكائنات .. فى غيبتها تتحول الأرض التى نعيش عليها الى خراب لا ينق فيها حتى اليوم !! وتبدأ نقطة البداية من لحظة الهمم .. غفظة الماء تبدأ دورتها بعد لحظة هدمها أى تبخرها .. أى بالتحول من الحالة السائلة الى الغازية .. ثم يبدأ ميلادها من جديد بعد أن تتعرض لبعض ظواهر طبيعية .. وهذا يكمل للنظرية القائلة ان المادة لا تنفى بل تتحول .. وهو لحدث أيضا فى الجسد الانسانى .. بعد هدمه لا يبنى بل يتحول .. ويبدأ هذا التحول بعد الهمم مباشرة .. أى ان نقطة البداية تبدأ بعد لحظة الهمم أى الموت .. ولكن كيف تبدأ نقطة البداية فى الجسد الانسانى .. ان الجسد الانسانى بعد تحله لا يصنع منه جسد مباشرة .. وان كان يدخل فى صنعته أو فى تكوينه بطريق غير مباشر .. الماثل الذى يتغذى بلبن الأم .. والخاليا التى يبنىها جسده يعتمد فى النهاية على ما تتغذى به الأم من حشائش الأرض أى أن الأرض بما تحمله من ماء وغذاء هى المورد الأساسى لحياة الإنسان .. من نقطة البداية فى حياة الإنسان .. منها تبدأ حياة الإنسان .. وبدخلها يفتن بتاليا هدمه .. ليس هذا محسوب .. فالجسد الانسانى ليس مجرد خلايا وحم .. بل هو يحل بداخله أروع نظرية كونية فى نشأته وفى استمراره وفى هدمه .. نظرية عامة ونظرية فردية .. بناء عليها يتم صناعة جسد آخر .. ولكن كيف يتم ذلك ؟؟ من خلال قانون ذاتى .. ويمكن تصور ذلك لو أمنا الفكر ليمما هو كائن من مخترعات .. الماخترعات يتم صنعها بناء على نظرية علمية .. نظرية واحدة لا تختلف من جهاز لآخر .. ويحطم جسد الاختراع ولكن قانونه يبقى ليصنع منه مئات الآلات وهذا هو الإنسان .. احدى المخترعات خلفه قانون رائج ينظم حياته بدقة وروعة منذ اللحظة التى يلتصق فيها الحيوان القوى ببويضة الانثى الى الوقت الذى يفتن فى احشاء

الأرض .. ولكن اذا كان الحال هكذا نظرية علمية كونية تدف  
خلف الانسان .. فلماذا الاختلاف ؟ لماذا المبقرى والنبى .. لماذا للقوى  
والضعيف .. لماذا للصحيح البجن والمريض .. لماذا لا يقتل به للناس ..  
لم يختلفون عن بعضهم لبعض ؟

ان للقاتون الذى يرسم حياة الانسان قانون صارم .. دقيق لا تتحرك  
بالاجناس او الألوان .. فالانسان ينشأ نتيجة لخصاب بويضة الانثى  
بالحيوان المئوى لا طريق غيره .. وطريقة تغذية الجنين .. وتكوينه ..  
وعمل الأجهزة داخل للجسد .. كل هذا يحكمها قاتون واحد لا يتغير من  
شخص لآخر .. فلم نسمع فى وقت من الأوقات أن الانسان يولد بنوع قلب  
أو رتتين أو رأس أو مخ ويبقى حيا .. قاتون واحد لا يخطئ من شخص  
لآخر .. إذن عما سبب الاختلاف الذى نراه .. لماذا التباين للصارخ بين  
الانسان وأخيه القوام .. لسبب يكمن فى الخصائص المادية الذاتية هذه  
الخصائص يدخل فى تكوينها عنصران : الوراثة والبيئة .. أحدهما مجنون  
والثانى معتدى .. أحدهما قوى والثانى ضعيف .. لاختلاف واضح فى  
اللبسات الانسانية سببها الأصلى للخصائص البشرية ينتج عن اتصالهما  
بالنظرية الهندسية ما نسميه نحن محمد أو على أو إبراهيم إذن :  
فالانسان = النظرية الهندسية + الخصائص المادية ..

أى م + م = الانسان .

هذا المزج بين للقاتون للكونى .. والخصائص المادية ضرورية يفرضها  
اختلاف الانسان عن باقى الحيوانات وسيطرته عليها .. الفرق بين الانسان  
والحيوان ليس ناتجه الخصائص المادية .. فالحيوان يخطئ أيضا عن غيره  
من جنسه فى خصائصه المادية لكن الانسان يخطئ من الحيوان فى نظريته  
الكونية او الهندسية .. ذلك أن احد خصائص للنظرية الهندسية فى الانسان  
هو الاختيار وهو ما يفقده الحيوان .

وعلى الرغم أن يتحقق داخل النفس الانسانية ليعرف الاجابة على كثير  
من الاسئلة المستعصية وليعرف للكثير من هذا المجهول « الانسان » بداخله

أروع الإجابات العلمية . هذا المزج بين القانون الاتساقى أو الكونى أو النظرية الهندسية للانسان .. وللجسم البشرى كيف يتم ١٩ ومن هو القائم على تنفيذه ١٩ أسئلة ستبقى جائرة لقرون طويلة .. لكن الذى لا يقبل الشك أو المناقشة فى صحته .. ان الحياة تحكمها نقطة البداية .. ونظام الدورة أى للمادة الى نقطة البداية .. فالجسد يعود إلى التراب .. ثم يعود من التراب .. لكن تبقى النظرية الهندسية للانسان بمعالمها التى أحل عليها العلم لطلاء سريعة .. تبقى هذه النظرية بما تحمله من أرقام ومعادلات كيميائية وجبرية وهندسية ومعلمية تبقى أسطورة الى أن يفك رموزها للمتل البشرى .. فننتقل بها من مرحلة الى أخرى يتم بها السيطرة على صناعة الانسان وتجهينه .. لنجد إنسانا فى صورة أخرى .. فالمتل البشرى لم يصل بعد الى أسرار النظرية .. فهذا هو ما يجب على العلم أن يتجه إليه بكل قوته .. فمع الارتفاع الى السحاب .. نطرب المادة من جسد الى الأرض .. الى الانسان .. لمزالت أسرار مستخلقة .. غامضة علينا إكتشافها ..



## جداول الأعداد

ليس صحيحا أن لكل إنسان أجل محدد . بمعنى أجل مكتوب في صحيفة الغيب .. فمثل هذا القول لا يستند دليل ولا يدعمه برهان .. ويمكن وصله بأية تورية ساذجة ليبينها لا تفهم ولا تدرك .. ينتمي إلى الخرافات المحجبة بالجهل والسخافات !! فالتقنون العالم الذى ينظم للكون نشوئه واستمراره والذى ينظم بقية كل صغيرة وكبيرة ليس من بين صفحاته التى يكشف العلم تباعا بعض مسطورها المتعدية ليس من بينها أجل مكتوب لا للمخلوقات عامة ولا للإنسان خاصة .. ولكن الذى يمكن تأكيده أن هذا الناموس أو القانون العالم للشارب ومن خلال تطبيقه يمكنه « إذا ما المعنا بفروعه المختلفة » تحديد الأعمار .. وليس إمكانية هذا التحديد نابعة من مسطور في صفحة التقدير به تبيان وتواريخ الأعمار بل سببه العلم بفروع المعرفة الإنسانية تتحدد بناء عليها جداول يمكن بها تحديد الأعمار .. تماما كما يتم الآن للتنبؤ بالأحوال الجوية .. والطر والزلازل والبراكين .. وهذا هو الموضوع الذى يجب طرده بشدة بمطرفة العقل ليتوصل الإنسان في النهاية لجداول الناموس الذى يحدد أعمار المخلوقات .. كيف ؟

إذا قلنا أن  $1000 = 2 \times 500$  وأن  $2 = 2$

الأولى عملية جمع صحيفة .. أضفنا فيها الواحد إلى الثلاثة منتج لنا أربعة .. والثانية عملية طرح انتقصنا من الأربعة اثنين .. فكان الناتج اثنان بمعنى آخر أنه عندما اجتمع لدينا ثلاث أمور وأضفنا إليهم أمرا آخر أصبح الناتج لدينا أربعة .. والأربعة هنا لا تمثل عددا ولكن تمثل موقفا معينا . ولكن عندما انتقصنا من الأربعة أو هذا الموقف أمران أصبح الناتج لدينا اثنان بمعنى آخر موقفاً بجديد مغاير تماما للموقف الأول الذى عبرنا عنه بأربعة ..

وعلى هذا فالحالة الواحدة قد تتحول نتيجتها اذا ما اضيف لها حدث جديد أو اذا انتقص منها أحد الظروف .. تن هذا المطلق يمكن أن تخضع مسيرة الحياة لعلم الحساب .. بل ونستطيع أن نتحكم في الانسان .. كتأجيل إحدى مطلبات الحياة الحسابية لجدول الاختيار بصفة أو انتقاص أمور من كونه الحياتي .. كالورثة .. والظروف الاجتماعية .. والبيئية .. والأحداث .. لنصنع له موقفا جديدا أو نصنع مئة انسانا مغايرا .. مثلا طفل ولد في إحدى قرى الرويتيا .. مات أبوه في الأربعين من عمره بدوالي المريء سببها البلهارسيا أصيب هذا الطفل بالبلهارسيا ولم يعالج منها ويعيش نفس ظروف أبيه .. ماذا ما أخذنا كرت حياة هذا الطفل داخل الكمبيوتر الحياتي .. فسيقدر لهذا الطفل الموت في حوالي الأربعين لكن اذا اضيف لهذا الكرت أمان المخدرات فسيتمتع عمره قبل الأربعين .. ؟! تماما كالعمارة التي يقدر عمرها الافتراضي بأربعين عاما .. ولكن نتيجة وجود عنصر جديد .. خلل لتسرب مياه جوفية للأساسات يقل العمر الافتراضي للعمارة .. وهذا الطفل الذي حددنا له الموت قبل الأربعين لادمانه المخدرات .. اذا قدر له وانتقل فور ولادته مباشرة لأحدى قرى أوروبا ودون أن يصاب بالبلهارسيا .. وعاش في بحيرة من العيش .. سيصير لأكثر من أربعين عاما في ظل الظروف الجديدة ..

مثل آخر ..

جندى أصيب بشظية .. نزف .. لم يجد من يسقطه ماله الموت .. نفس الجندى أصيب بنفس الشظية .. نزف أسف .. توقف النزف = الحياة ..

سلك محل بئير تحذرة ..... وات .. أمسك به شاب = الموت ..

نفس السلك أمسك به نفس الشخص دون أن يكون حاملا بئيرا = الحياة ..

في الأمثلة السابقة أضفنا ظروفنا أو انتقصنا بعضها منها فكان الناتج مختلف .. من هذا المطلق يمكن القول بلا استحياء ..

إذا كانت أسباب الفناء أو التدهور أكبر من أسباب البقاء = الموت  
أو الهدم

وإذا كانت أسباب البقاء أقوى من أسباب الهدم أو الفناء = البقاء  
على قيد الحياة .. من أسباب الهدم على سبيل المثال لا الحصر الفيروسات  
والوراثة السلبية كتأثير بعض الأمراض المستعصية أو الزمنة .

وكذا ظروف البيئة السلبية .. مثل الفقر والحرمان ونجبة الرعاية  
الصحية .. والجهل .. كلها أسباب هدم للإنسان ..  
وأسباب للبقاء أيضا كثيرة وهي عكس ما عصفاه من أسباب  
للهدم ..

من هذا المفهوم نستطيع جدولة كل حياة على وحدة .. لننتج بها  
أفقا في المعرفة .. لأنه سيتوجب على هذه الجدولة خطا أطلة أعمار  
الإنسان واستكشاف استمرار جديدة في علم هندسة الحياة ..

وإذا تركنا الموت بصورته الكريمة القوية .. لأمر أكثر أهمية ..  
ندخلها في الكمبيوتر الحياتي .. سنخلص لنتائج مذهلة .. فالسياسة ..  
والاقتصاد .. والاجتماع .. والطب .. والهندسة .. وعلم الاجناس ..  
كلها تدور للمعرفة الإنسانية يمكن ادخالها في الكمبيوتر الحياتي ..  
بالمساعدة فوائده أو انهائهم أمور لنخرج في النهاية بنتائج لا نخطئها عمليا  
كعمليات الحسابية .. تتصل في جداول يمكن تقسيمها لى نوعين :

١ - جداول حتمية ..

٢ - جداول نسبية ..

لجداول الحتمية هي التي تنتهي إلى نتيجة حتمية لا حجة فيها  
بالمكان أو الزمان أو مطلقي الحدث نتيجة ولحجة .. لا تتغير بتغير المكان  
أو الزمان أو مطلقي الحدث .. فالمشغول الذي يستقر في مخ انسان لا يمكن  
أن نفترض معه بقاء الانسان على قيد الحياة حتى ولا نسبة ذرة من  
الحيون لأن المشغول يحدث تهككا في النسيجة المخ يتوجب عليه الوفاة .. هذه

النتيجة لا تختلف باختلاف المكان .. أو باختلاف الزمان الترتيب العشرين  
أو الخمسين أو باختلاف مطلق المتخوف .. النتيجة حتمية .. وكذلك من  
يقبض على ملك كهربائي ظلتها ..... وات النتيجة حتمية حتى مع  
اختلاف الشخص أو المكان أو الزمان فمطلق الصعقة الكهربائية يصعق  
ويتفحم اما المتخوف الذي يستقر في نخذ الانسان فيجمل معه احتمالات  
الموت أو عذمه حسب مطلق الحدث .. أو حسب الزمان .. أو المكان ..  
أو ظروف الحدث .. وهذا هو ما نطلق عليه الجدول النسبي والذي يختلف  
باختلاف الشخص والزمان والمكان والظروف .. في الجدول الحتمي  
لو تكرر نفس الحدث عشرات أو مئات المرات منتجة واحدة .. بعكس  
الجدول النسبي فان نتيجته تختلف حسب اختلاف الظروف الذي تم فيها  
الحدث .. الصائد الذي يصطاد عصفورا يقف بنفس الزاوية التي اصطاد  
بها عصفورا آخر ومن نفس المكان ونفس البندقية والمتخوف واتجاه  
الريح .. فستكون النتيجة واحدة اصابة العصفور مكان الاصابة الأخرى  
ولكن اذا اهتزت يد الصائد .. أو طار العصفور أو تغير أي ظرف من  
الظروف التي لامحت بصيد الطائر الأول تصبح النتيجة مخطنبة  
أي نسبية ..

وقد يحل الحدث للواحد نتيجة حتمية وأخرى نسبية فالغرف الذي يستقر في اللحد يحمل نتيجة حتمية وتتمثل في تهتك الأنسجة والنزيف .. وأيضا يحمل نتيجة نسبية حسب احتمال الشخص المصاب أو القدرة على إسمائه .. أو المكان الذي أصيب فيه في النتيجة الحتمية لا يخطئ من شخص لآخر لو تكرر الحادث على أشخاص مختلفين .. لابد أن يحدث تهتك في الأنسجة ونزف .. أما في النتيجة النسبية فتختلف حسب الظروف .. فقد تجتر الساق أو قد يموت صاحبها أو يسقط .. كلها نتائج احتمالية تعتمد في المقام الأول على ظروف الحادث ..

والمسؤول لماذا تطول أعمار بعض الناس وتقتصر البعض الآخر . .  
لماذا تعيش بعض الأشجار عشرات السنين بينما شجرة اللؤلؤ لا ت عمر سوى  
شهور السبب، يمكن في الصفات الوراثية أو الظروف البيئية . . وما يؤيدنا

في هذا القول مقارنة متوسط الأعمار في أوروبا بما تنهك حادث في إفريقيا ..  
نجد أن توجد بين المتوسطين هوة ساحقة .. سببها ما يكمن وراء ارتفاع  
متوسط الأعمار في أوروبا وانحداره في إفريقيا .. فلذا ما نحينا جانبنا  
الصفات الوراثية .. نجد أن الظروف البيئية لها دخل كبير في ارتفاع  
متوسط الأعمار في أوروبا وانحداره في إفريقيا بحيث يمكن القول  
أن للأعمار جداول نسبية تحكمها الصفات الوراثية والظروف البيئية .

## المجهول المطلق .. والوجود الفعلي .. والحقيقي

حل الحقيقة لا وجود لها حتى نعرفها ؟؟ بعض الحقائق العلمية التي تحكم الكون كانت قبل اكتشافها مجهولة غير مطومة — رغم أنها كانت موجودة فعلا .. فهل يعنى اكتشافها شهادة بميلادها أم يعنى اكتشافها استظهارها على أرض الواقع .. بمعنى آخر هل نربط بين الحقيقة والاكتشاف بحيث نقول أنه لا توجد حقيقة بلا اكتشاف .. وأنه حتى مع وجود الحقيقة فهي بدون الاكتشاف عتمة .. وهو ما يمكن للتعبير عنه بالمجهول المطلق ماذا قلنا عن هذا الشيء أنه موجود فليس لأنه كان موجودا. وجودا فعلياً .. بل لأنه دخل دائرة المعرفة الإنسانية بعد اكتشافه .. وعلى هذا فيمكن للفرقة بين المجهول المطلق المبهم الأعم والاشمل وهو مالا يستطيع العقل للبشرى ادراكه .. الا اذا تحول إلى موجود معلوم ومفهوم بعد أن يدخل دائرة ضوء المعارف الإنسانية وهو ما يمكن تسميته بالوجود الحقيقي والحقيقة العلمية قبل اكتشافها كانت مجهولة غير معروفة رغم أنه لا يمكن انكار سبق وجودها للعقل قبل اكتشافها .. لكن وجودها في ظلمة المجهول وحجبها عن المعرفة الإنسانية يعنى جهل الإنسان بها .. فهي قبل معرفتها والعدم سواء .. لذلك يمكن القول أولا أن المعرفة = الوجود بمعنى أن المعرفة لا تنصب الا على حقيقة موجودة .. ولنا ان للوجود = المعرفة بمعنى أن للحقيقة لا تتشأ الا بالمعرفة حتى ولو كان لها وجودا فعلياً قبل اكتشافها لأنه حتى نعتد بالحقيقة علينا أن نكتشفها ماذا لم يحدث ذلك فكيف نعتبر بحقيقة نجهلها .. بل كيف نطلق على مجهول كلمة حقيقة ؟!

الحقيقة إذن تتشأ منذ اكتشافها حتى ولو كان وجودها الفعلي سابقا لاكتشاف بمشرات بل بملايين السنين وهو ما نعتبر عنه بالوجود الحقيقي .

أذن فالوجود الحقيقي = الوجود الفطري + المعرفة الانسانية  
بمعنى آخر الوجود للفطري ينشئ عنه الوجود الحقيقي اذا ما اقترن هذا  
للوجود الفطري بالمعرفة الانسانية فاذا لم يحدث هذا التزاوج والاقتران  
فسيبقى هذا الوجود الفطري عقيبا لا ينجب وجودا حقيقيا وبالتالي لن تعرفه  
الانسانية .

ويدون المعرفة يصبح الوجود للفطري وجودا مطلقا .. غير  
مفهوم .. غير معلوم .. لا يمكن للجزم بحقيقته لأنه لا يمكن للجزم  
بالمبهم .. الغير معلوم .. وعجز العقل البشرى عن التوصل لهذا الوجود  
المطلق وصهره الى وجود حقيقى لا يعنى انكار هذا الوجود المطلق .. لكن  
طالما ان العقل البشرى لم يصل لمعرفة ابعاد هذا الوجود المطلق فهو  
بالنسبة اليه مجهول غير معلوم .. غير موجود ، وعلى هذا فان أى  
ادعاء بمعرفة المجهول المطلق دون استناد على حقائق علمية يعتبر خرافة  
ويحمل فى طياته انهيار الحقيقة .. فكيف يدعى انسان العلم بالمجهول المطلق  
دون ان يسند ادعائه على اكتشاف أو معرفة .. فانشئت قبل ان يكتشف  
نظريته فى الذرة لم يدع معرفته بالوجود المطلق .. بل فعل ذلك بعد ان نقل هذا  
الوجود المطلق الى المجال للعقل ليصبح وجودا حقيقيا بعد ان اكتشف نظريته  
عن الذرة .. إذن فالوجود للحقيقى يعنى ارتباط الوجود المطلق بالاكتشاف  
الفطري حتى ولو كان هذا الوجود المطلق مسابقا على الاكتشاف .. وقد  
يمثل هذا الاكتشاف للعقل فى نظرية علمية .. حقيقة انتصادية ..  
بحث اجتماعى .. استنتاج منطقي .. اكتشاف علمي يحول به الوجود  
المطلق المبهم الى موجود حقيقى .. مفهوم ومعلوم .. وما يخرج عن هذا  
يصبح مجرد خيال أو تخيل أو تصور .. وقد يتحول هذا الخيال أو هذا  
التصور بمرور الزمن وتتابع الاجيال ( رغم أنه لا تصنعه حقيقة علمية ) الى  
عقيدة راسخة لا تمحوها آلاف لغات كلمات للرفض لحقيقتها الواهمة ..  
واقرب مثل الى ذلك من يتحدثون عن الجن والشياطين والملائكة .. ادعو  
علمهم بالمجهول المطلق .. ليحولوه الى موجود حقيقى ليصبح فى بعض

الاجتمعات المريضة .. عقيدة راسخة لا يتزعزع بثباتها دون مسند من  
الاختراع أو اكتشاف أو حقيقة .

لكن هذا المجهول قد يكون موجودا ولكن ليس لدى البشرية للقدرة أو  
الامكانيات لتصل لحقيقته .. فهل يعنى هذا عدم الاعتراف به .. والرد  
سهل ويسير كيف يعترف الانسان أو يؤمن بشئ غير مألوف .. مجهول ..  
فليس مألوفيا من العقل البشرى أن يؤمن أو يعتقد في ما هو مجهول لأن ذلك  
يعنى الايمان بما يتوق قدراته ومعنى أيضا .. الايمان بكل ما لا يستند  
على حقيقة أو اكتشاف .. ويعنى في النهاية الانغماس في الخرافات  
والخرعيات .. وفي المقابل ليس مألوفيا من الانسان أن يكفر بكل ما يتوق  
قدراته للخاصة والا كان معنى ذلك أن يكفر الأمل بما هو مخطوط في الكتب  
لأنه يتوق قدرته وامكانياته ، كما أنه ليس مألوفيا من الانسان أن يكون  
كيميائيا أو جولوجيا أو مختبرا أو عالم نبات وأن يلم بالفنريات العلمية أو  
الفلسفية والانسانية والاجتماعية حتى يؤمن بكل الحقائق التي توصلت اليها  
البشرية .. بل المقصود هو الايمان بكل الحقائق التي استنتج العلم أن  
يحولها من دائرة المجهول المطلق الى دائرة المعارف الانسانية بمعنى آخر  
يجب أن يؤمن الانسان بالعقل الانساني الجماعي وما توصل اليه من  
اكتشافات واختراعات وطوم ونقائض وسبب رفض العقل الجماعي  
للخرافات وما يتصل بها من وجود شياطين وملائكة وجن أزرق وأحمر  
وأخضر !! هو أن هذا الوجود وهمي .. شرك يخادع لا تؤيده حقيقة ولا يدعمه  
برهان وتظل تلك للشياطين وهذه الملائكة وعوالم الجن في جعبة الخرافات  
ظالما لم يتحول مجهولها المطلق الى موجود حقيقي .. فالذى ينادى  
بالوجود الحقيقى لهذه الكائنات الوهمية .. مثله مثل من يتحدث عن عوالم  
كوكب لم يسمع به أحد .. ولم تغلظ قدم انسان .. والذي يستند أدعائه  
هذا بصفحة أو صفحتين من كتاب منزل سند واهى .. لا يخرج عن كونه  
مجرد اقوال تصمد بها للدعاية أو السخوية أو الاستهزاء بالعقل البشرى  
الجماعي لأن هذا السند في حقيقة الأمر في حاجة الى سند آخر علمي أو عقل



يثبت تنزيله من عند الله . لكن هل معنى انكار وجود الشيء وجودا حقيقيا .. انكار وجوده وجودا نظريا .. بالتقطع لا .. فكثير من الحقائق العلمية التي وصلت اليها البشرية كانت مجهولة قبل اكتشافها .. وبالتالي لم تصل اليها دائرة المعارف الانسانية .. ولكن هذا لا يعنى في وجودها الفنى مثل الاكتشاف .

كل ما سرفناه يجرنا الى الحديث عن الدعاء لله .. وطلب التوبة .. والمغفرة والعمون من الذات للطفية .. وكثير من الطغوس الدينية .. تبدأ من الوقوف على حائط لتنتهى الى الدوران حول مبنى .. فحتى لحظتنا تلك لم يتأكد للبشرية أن الله يستجاب لدعوة انسان وأرسل الي جالغ مائدة طعام .. او الى عاريا رداها يستره او ظمأنا قتيبة ماء عذب او معدا مليون جنيه. ذهب او ورق ولا حتى مليون جنيه صليح !! لم يتأكد للبشرية على مدى مئات السنين بل ملايين السنين ما قيل عن معجزات الانبياء والرسول وأعاجيب للسحرة .. وخوارق الطفارت .. لم يحدث في عصور النهضة حدثا واحدا .. واقعة واحدة تؤكد ما سبق أن توارثناه من عقائد باقية .. وخرافات مهلهلة .. فما الذى حدث !! لماذا توقف فجأة بحث الانبياء والرسول والرسالات .. لماذا لم تتكرر الخوارق ؟؟ ليرسل الله لفقر خرونا مشويا كما أرسل لأبراهيم لماذا توقفت الذات اللطية فجأة عن ايلاء ملائكتها وبعث الانبياء وقد أصبح للكفر سمة العصر .. فالكثرة الغالبة لا تدرك الآن الا بالطم وهي الكثرة المتحضرة أما القلة القليلة التي تؤمن بالاديان .. فهم في الحضيض .. في الوحل .. لماذا والكثرة في أشد الحاجة لمن يهديهم للطريق السوى نحو التخلف !! لماذا لا يرسل الله اليهم رسالة ؟؟ لسبب بسيط جدا .. لأن الله لم يرسل في وقت من الاوقات رسلا .. ولن يفعل .. فالرسول من صنع الناس او من صنع انفسهم فالانسان الذى يؤمن بالغيبيات .. ويؤمن بقدرة المجهول الخفية على تغيير أحواله ليس في الحقيقة سوى انسان مريض على المجتمع أن يقيم له مصحات نفسية يعالج بها .. ذلك لأنه آمن بأمور تتجاوز نطاق تفكيره بل وتتجاوز نطاق التفكير الانساني الجامى .. فهو عظماء يدعو الله طلبا المغفرة او اللون او دفع

مكروه لا يحذر كيف يمكن تحقيق ذلك ولكن يستعبد أن تلك الذبذبات التي تخرج من فمه والتي يجعل مسيرتها لا يد وأن تصل لاسماع الاله الذي يجعله .. فهو لا يعرف ماهيته ولا مكانه ولا حتى كيف يستقبل هذا الدعاء .. المهم انه يؤمن بأن هذه الدعوات للطيبات ستجد آذانا صاغية لدى الاله .. ولكن الواقع انها كلها امور لا يدركها العقل وتبقى في دائرة المجهول المطلق طالما لم تؤيدها حقيقة علمية او انسانية ويرفضها العقل الجماعي . لكن هل معنى عدم رؤية الانسان للشئ عدم وجوده بالقطع لا .. فكثير من النظريات العلمية قاصر فهمها على الخبراء والمختصين لكن لا يمكن للعقل الجماعي أن ينكرها .. والحقائق المطلقة موجودة رغم أن أكثر من نصف سكان العالم لم يرها . وينطبق هذا على كثير من الكائنات والحقائق والنظريات والاختراعات .. ولكن تبقى الحقيقة العقلية التي لا يمكن انكارها أن أى موجود لا يوجد الا بأعمال الفكر .. بمعنى آخر أن كل مجهول يدركه العقل يصبح مطوما وأى دعوة بمعرفة المجهول المطلق مرفوضة طالما لا تؤيدها حقيقة علمية او عقلية .. وسبب تخلف بعض الشعوب .. ليس الجهل أو الفقر .. انما هو « الدماغ » الذى يؤمن بهذا المجهول المطلق كحقيقة يقينية دون أن يستند على دليل أو برهان « الدماغ » الذى يؤمن بالتأثيرات والافكار الخاطئة .. ولتى يخصصون لها برامج ومؤتمرات وتدوات لبثها .. وانباتها .. ثم ربيها وتعمدها بمخصبات الجهل والجهالة .. لذلك فقد تقدمت مثل هذه الشعوب كثيرا نحو الانحطاط والانكساف والبله والعتة !! بينما تقدمت شعوب أخرى بخطوات واسعة نحو الحضارة نهل منها أو قتل منه !!

شئان ما بين الاثنين .. شعوب اتجهت الى طريق البحث عن الحقيقة .. وأخرى عجت بالمجهول فاستعبدتها .. أصبحوا مجموعة من الرقيق لألهة من المعتقدات والعتوس والخرافات والمبادئ .. مجموعة من الخراف يسوقها للذبح سيف ذلك المجهول الذى يصلون فى محرابه .. وتحت قبة خرافاته . ذلك المجهول .. المرض الخبيث الذى أصاب العقل البشرى بالخبل والوهان .. حوله الى مجموعة من الخلايا السرطانية ..

أصبح اللصد أو الجراحة السبيل الأوضح للعلاج الناجح ..  
توقفت عن القراءة .. نمرود يندم :

— أكمل .. أكمل يا ملعون ..

احتوائى الصمت .. وعينى تجرى .. تلهث فوق الأسفلور ..  
ما هذا الذى أقرأ لا يمكن .. لا يمكن .. نحت الكتاب جثبا .. نظراتى  
زائغة .. عطفى ثلثه تراحمه الشكوك .. تنكسر فوق أرض يقينة للفروض  
والاحتمالات ما هذا .. ماذا قرأت ؟ رحت أتأمل ما حولى .. هل يمكن أن  
تكون ما تطاه قدمائى هى الأرض .. أمسكت بحنة تراب نثرتها .. تناثرت  
ذراتها، فوق وجوه البشر .. منات للبشر !! الأسئلة تحاصرني .. تنفضني  
الى الجنون .. الى جب لا أستطيع فيه التنفس .. اتنى اختنق من هذه  
هى الأرض ؟ تلك النصائل المخلصة بقايا البشر .. ما تبقى منهم ؟  
ضحكك .. بكيت .. عدت أطلع سفور الكتاب .. والدموع تنسج سحابة  
بيضاء .. السفور نضع للنهال في كلمات قليلة ، « وهذا هو أساس  
شريعتنا بعد أن هجر قومنا منذ ثلاث آلاف عام الى باطن الأرض تكمل  
حضارة الانسان الذى انقثرت .. للجنة عليهم .. على من أشعل الحرب  
للعالمية الثالثة .. ولا عودة لها » ..

حريق فى صدرى .. أش لثه كلمات الكتاب .. زعقت :

— المجرمين .. للساعة .. الانذار .. حولوها لأخرابة ينمق فيها  
اليوم .. جنود اليقين تدمر نصائل للشك والاحتمالات ؛ تحمل طمها  
تلوح به رأسى ينفجر .. سائلى يتخللان .. هويت الى الأرض .. ضجعت  
رأسى بيدي .. الدموع تستمرمل .. أذن فقد عدت الى الأرض بعد رحلة  
طويلة استغرقت منى مسافة آلاف السنين .. وما أراه أمامى ليس سوى  
أطلال الحضارة والانسان .. انسان متخلف عقليا .. محرق جسديا .. عقيم  
لا يتناسل .. ولا يتوالد .. ما حدث غريب .. غريب .. لقد ضغط بعضهم  
على محتاج الموت ليقبضوا كل ما على الأرض .. انسان ونبات وحيوان  
وما بقى فوق قشرتها ليس سوى وهم اسمه الجنة وللخود .. والاحتية

محزنة .. مؤلمة .. حقيقة تلك البقايا الآدمية والحيوانية التي استلبقتها الحياة لوقت غير معروف مداه نهاية البشرية الذي يرحسون الآن أنفعالاتي .. يرتبون حركتي .. كم أشفق عليهم .. عنت بذاكرتي الى الخلف الى باطن الارض حيث تقطن المعرفة .. وينبت للعلم .. لى الانسان الذى هجر الارض ليكمل حضارة ملايين السنين .. كانوا يعرفون أن فوق قشرة الارض هذه النفايات .. اعتقدوا أنني واحدا منهم .. الآن فقط فهمت مغزى ومعنى ما دار من حوار بينى وبينهم فهمت سبب الدهشة التي غمرتهم وواحد من القردة يجاريهم في نقاشهم وكذلك هم .. فهمت لماذا اعتقدوا أنني واحدا من سكان كوكب آخر غير الارض !! و هممت أخيرا معنى للخطود الذى تفرغ القوم في وهمه سنينا طويلة خلود مؤقت .. فهمت سببه - هذه للنفاية البشرية استلبقتها للحياة لبعدها من بؤرة الانفجار بالآلاف الاميال .. لم يقتلهم شعاع الموت .. ولكنه قضى على ما هو احدى كثير من الفيروسات والميكروبات الضعيلة وفي الوقت نفسه اكسب تلك الاجساد البشرية خصانة ضد ما تبقى من هذه الفيروسات والتي مازال بعضها ينخر في اجسادهم وعظامهم .. والمحصلة خلود وهمي !! فاسباب البقاء أقوى الآن من اسباب الفناء .. ولكن الى متى ؟ الى متى أيها الأوغاد ؟ .. أنه الموت .. آت اليكم لا محالة في اية لحظة .. سيحق الأبواب بشدة .. بقبسوة .. غول تقعدون ليه الفسحة بلو الأخرى حتى ينتهى منكم كلكم .. ثم يرفع فوق الارض علمه الأسود ليصبح الوارث للوحيد لتلك الارض .. أن عاجلا أو آجلا ستندك حشود الفناء اسوار البقاء وتخرق دفاعاتها .. عنقد لن يتبقى انسان .. حيوان .. نبات .. اصابني الخطر بالذهول .. انتصبت قلمتي المهلهلة .. حاولت أن احدث خاتمتى شلتاى تحركت دون كلمة واحدة .. للكارثة ضخمة .. بدأت تهب اعاصيرها غرهود .. وزيد .. ويسمينة .. وأخيرا زامية للى هوت منذ ساعات في احضان الموت .. لم تكن اللعنة .. بل الخط الذى يوصل الى الحقيقة أنه نفس مصيركم يا أوغاد .. قرب أو بعد الميلاد حديثا طويلا .. كلما كثيرا تسج به نفس .. ولا أستطيع .. مجرد نعمته تتحرك بها شلتاى ..

نمرود يمسوى :

— لقد جن .. انظروا اليه لقد جن ..

خرجت الكلمات عسرة من بين شفتاي :

— نعم .. لقد جننت لأنكم آخر عصائل الحيوان على هذه الأرض  
ولن يخللكم أحد ..

جنوت الى الأرض .. رفعت راسي الى السماء زعقت :

— يا الهى .. لماذا تخليت عنا .. لماذا تركت الأوغساد يدمرون  
حضارتك .. لماذا .. لماذا يا الهى !

بدأت أبكى .. تملكنى هستيريا غريبة .. ضحككت .. عدت للبكاء  
من جديد .. عندئذ ارتفع صوت بسطاولي :

— الرجل جن .. ترفع الجلسة حتى يستعيد انهم وعيه وتكمل  
ارادته ..



انعدت الجلسة .. تملكنى اليأس .. كم أريد الموت .. لا أريد أن  
أعيش للحظة التي أرى فيها للناس تنساقط الواحد تلو الآخر .. وأجلس  
الفرصاء أندب نهاية للحياة .. أريد الموت .. استفرقت مع انكارى ..  
شرحت .. نمرود يسألنى :

— ما رأيك يا اله فيما قرأت ؟

لم ارد .. ابتسمت وإذا به يزعم من جديد :

— امسح هذه الابتسامة عن وجهك القمى ..

تقدم نحوى .. صفعنى بقسوة .. دمدم فى غضب جالهم ؟

— لن تنجو منى .. سأعصف بك كمصف مأكول ..

عاد الى مكانه .. صوته يرتجف وهو يشير الى :

— لم تجبنى ..

أخفت نفسا عبقا .. كل ما قرأته يتخايل أمام عظمى كراتقصة بآليه  
رشاقة .. وخفة .. ومهارة .. لا تخطئها عين رائي ولكن لا أحد يبصرها  
سواى .. إنها الحقيقة التى غلبت على سنين طويلة .. لكن ماذا يجدى أن  
تعرف تلك الهوام نهايتها .. ماذا يجدى أن تعيش ما تبقى لها من أيام  
أو سنين فى الوهم أو فى الحقيقة .. عظمى يذوب .. فكرى يترنح .. كيانى  
خرات عالقة فى بيت لا سقيف له ولا نوافذ .. تحركه ريح عفية آتية من  
أعماق الحقيقة .. لقد كنت مخدوعا .. كل دقيقة .. كل لحظة مشتها مع  
هؤلاء الناس .. مع تلك الهوام .. نمرود من جديد يمارد سؤالى ..  
لا سمح . ولا مجيب .. سكير يترنح فى درب البوطة .. استلفت على يد  
نمرود نهزنى بقسوة وهو يسألنى :

— ما رأيك يا لله فيما قرأت ؟

أجبتة متسائلا :

— وما رأيك أنت فيما قرأته لك .. هل نههته ؟

نمرود يتحرك مبتعدا بهستيريا غريبة .. قرد يتفرد فوق أغصان  
الأشجار .. باحثا عن ثمرة .. يواجه المحكمة فى عصبية شديدة مشيرا الى :

— أنه يسألنى .. مدعى الألوهية يسألنى .

يختال أمام الجمهور .. طاروس تفت ريشه .. يزق .. ويزعق  
ساعات وهو يكيل لى الاتهام طو الآخر : وبعد أن انتهى مرافعته اقترب  
منى .. أبتمست .. عاد يصرخ من جديد :

— أنه مازال يبتسم .. امنعوه .. خيطو فمه .

عم للبعث المكان .. اتجه نحوى .. استطرد قائلا :

— هذه الابتسامة المعونة لن تغير من مصيرك المحكوم .

للغاة مزحمة .. لكن لا تسمح لهما سوى حفيف الأنفاس كأنها  
شائرة بهذا الصمت للرهب .. بهذا الهدوء المريب ..  
صوت بسطاوى ياتبنى حادا .. نجسما :

— هل لدى المتهم ما يقوله ؟

- لا يابس طوى .
- اذن فانت تؤمن بكل ماجاء بالكتاب المعون .
- بكل ماجاء فيه من حقائق فقط .
- مصيرك مظلم .
- وهل بعد الموت شيء ؟
- سننبئك غرصة للغو .
- ضحكت .. وهو يستطرد قائلاً :
- لو أنكرت كل ملجاء فى الكتاب المعون .
- أجبتة قائلاً :
- الحقيقة لا تتحول لأكذوبة .. بل تبقى خالدة مهما أذعن البعض إنكارها .
- أنك تهوى إلى الموت .
- لن اضلّى الرأس للوهم الذى تعيشه أنت ولما لك من اليلهاء بارهاى بالموت .
- وهل الحقيقة أنك لة .
- لا أنكر أنه مرت بى لحظات اعتقدت إننى لست سوى الإله فى ثوب بشرى . عذرى فى ذلك أنه سبقنى لى هذا الوهم كثيرين بل ومات البعض على اعتقاده .. أرى أنا فقد أفتشع عن عقلى الضباب بعد أن لحقت كل الآلهة .
- والطيف الذى كان يتجلى لك .
- خيال مريض .. دفعنى ليه رغبى الجارفة فى انقلا للناس من الوثنية .. والبدائية .. والتخلف .. خيال يا سيد بسطوى لست أول قول من جمع به .
- والنهالة .. اريدما مصلوباً .. أم محروقاً .. أم مذبحاً .
- للنهالة .. اريدما للأكذوبة التى مشيت فى عقول الناس ولاتى

يتغنى بها أصحاب القلتسوء السوداء والأردية الحمراء ..

— بل هي نهايتك .

— لن تكون نهايتى نهاية للقتل .

للزئوس الدبية .. للخواية .. تتقارب .. تتهاوس .. تتباعد ..

صوت بسطاولى يطن على أثرها :

— الحكم بعد المداولة .

الاجساد المترمة .. للخدمة .. تختفى داخل حجرة المداولة .. ثلاث

عناقق لتمسود بعدها الى امكنتها .. الجوع للفسير يقف وبسطاولى

ينطق بالحكم :

— حيث انه ناكذ ليقين المحكمة أن جرائم ارتياد الأرض المسمونة

وللتجديف وادعاء الألوهية والمثادة بابتكار محظور تداولها تدعو لاصال القتل

وعدم المتفادات !! كلها جرائم ثابتة في حق المتهم لذلك فقد حكمت المحكمة

باجماع الآراء باعدام المتهم خرقا .

وفى اللحظة التى نطق فيها بسطاولى بالحكم .. ثاوه .. سقط

على الأرض .. حملوه فوق أريكة عالية .. حلق للزئوس .. تمالت

للصرخات .. اندفعت الجسوع مهزولة خارج المعبد .. زاعقة « اللة ..

لللنة » .. انجهت الى بسطاولى امامى جثة هابذة بلا حراك .. خطت

السنون على وجهه بأخاديد الزمن .. تسقط شمره .. تهدل جفنيه ..

امامى بوجه رجل تخطى مئات بل آلاف السنين تمدت يامى :

— المصلحة تقترب .



## الفتية

في اليوم التالي سحبنى ثلاث رجال متيذا بالانغال .. ملوفا بجبل  
الى ساحة الاعداد . اطلقن من الخشب رصت داخل دائرة وفي منتصفها  
نصبت سارية الموت .. تجذع شجرة نخم . مسيرة الموت تتقدم يظلمها  
الحزن .. لا تسمع معها سوى زفرات الالم .. واثني اخرس — بعد دقائق  
سيحترق الاله ليصبح ترابا .. هذا الاله الذي احبهم وحاول ان يذرع  
الابتسامة فوق وجوههم يروه مشغودا فوق سارية الموت ولا يستطيعون له  
شيئا . طوفان المازة يكتسح الجوع وهي تتقدم نحوى .. تعيطى ..  
ونمرود والدمل وسليط ودحروج وسليم وغيرهم من صفوة رجال الدين  
يرتدون الجبة الحمراء والطنسوة السوداء يعبرون مكاني .. يبصتون على  
وجهي ونمرود يتوالى صراخه :

— ابصتوا على الشيطان .

الناس مذاهيل .. خائرون .. تطوف جمعهم حولي .. الاثني  
الاخرس .. والحب الباتي .. والامل المتسكع في قلوبهم الخاوية ينعمهم  
من تلوين وجهي ببصاتهم .. وصوت نمرود من جنيد متوعدا مهددا :

— للجنة .. — الأرض المعونة بصير من يتخلف .

موجات البشر رابع .. يتناثر رذاذ بصاتها فسوق وجهي .. مناع  
يتقدم نحوى .. يشد بن ازرى .. يحمنى .. يحيطى .. يركع الى قدمي  
وسط دھول الجموع الغفيرة .. يبكي .. يتأوه متوسلا :

— مولاي .. انقذ نفسك .

بكيت انا الآخر وهو يستعرد قلنلا :

— لا تبك يا مولاي ..

اجبته برقة واسى وحزن :

— حزنا على الناس لا على نفسي .

— الناس لا يستأملون دموعك بعد ان كلوا بك .

قال ذلك .. اتحنى الى قدمى الموثوقة يقبلها .. تعتم :

— اغفرلى يا مولاي .

قلت بأسى :

— كنت تعرف الحقيقة لكن .

— كل الوقت يا مولاي . حل الصمت استطراداً .

— أبى يا مولاي .. اتسمت له ينجم انشاء سر الأيقونة قبل أن

تحتويه غفوة الموت .

— تأخر اعترافك فقد كنا نستطيع الكثير .

— فى طريق سده للياس .. أشك يا مولاي .

— العظم يأتى بالمجزات .

— والقسم يا مولاي ؟!

— أهم لديك من حياة شعب بأسره .

— تسيق ألق .

قلت فى ياس :

— عموماً فقد مات الأوان .

— لم يفت يا مولاي .. تستطيع أن تنقذ نفسك وتنقذ شعبك .

زمجرت فى غضب :

— قلت لك أنتى لست الها .

— لا تقتل الأمل الذى زرعته الآن بكلماتك نستطيع بك أن نعمل

الكثير يا مولاي .. نحول اليأس الى طاقة والمرضى الى عافية .. والعقم الى

أمل .. لكن أنقذ نفسك أولاً يا مولاي ..

عاد يصرخ من جديد ؟

— أنقذ نفسك يا مولاي .. أنقذ نفسك يا مولاي .

صرخاته تتردد فى المكان .. صداها يأتينى مغزما . اليأس .. اليأس

أن أستطيع شيئاً حيال الموت الذى تقترب شعلته الحارقة ومناع يسجد يلثم

قدمى .. يبكى .. اتلعت شرارة حبه للجارف فى الجوع وشاب يتقدم

نحونا من خلال مسياج البشر .. ينضم إليهم . يقبضه ثانى وثالث ورابع

وخامس .. وكل منهم تسبقه صيخته :

— سنحرق منك .

نمرود تملكه مستيريا غريبة .. يقبض يديه على شطلة يتلف بها إلى

الإخشاب .. ويصرخ :

— ليحرق مع هذا القوم نحماء لعنة ..

النار تاكل الخشب .. ترتفع السخنة .. والشباب يهمنى .. يقبض

صهدها .. في تلك اللحظة ومع كل هذا الحب تمنيت الخلاص لنفسى ..

لكل هؤلاء تزخرت داخلي الأماني أن تنظريه النيران .. وأن أكمل

ما بدائه .. انتقد الناس من خيوط المنكبوت الذى يشش على أقدارهم ..

أحطم معهم كل الآلهة التى عاشت في وجدانهم .

بدأت السنة النار تزلج نحونا .. صريرها أحد الشباب وهو يحاول

أطفالها .. مناع يستجدي :

— أظفئ النار يا مولاي .

قلت في جزع وبأس :

— لست لها يا مناع .

— أبدا فانت هو .. وهو انت !!

مناع يهمنى .. يحيطى .. يهمنى من السنة النار التى أحاطتنا

من كل جانب .. أنه يقتل نفسه .. يصرخها .. صرخت فيه أن يبتعد ازداد

التصليقا .. النار تقترب .. بدأت أشعر بلهبها صوت الحريق يهوى

وأنا أزعق :

— أينما السماء أبكى دعا لما غطه لتتخلف بالعتل .

أخضت مناع .. انقضت عيني .. استرسلت دعوى استرسلت

للح النار .. الموت وهو يزغر .. موت لحطكت كائنها دحر .. أخصمت

بعدها بقطرات من الماء فوق وجهي .. لسوق رأسي .. ففحت عيني لأرى

مناما يرتص .. والسماء تظفر .. والنار وقد انقضت بها الأظفار ..

وصيحات الناس :

الاله أرسلها مغرا مدرا ..

والنشر .. كل البشر .. كل البشر حولي مسجدا ونمرود ورجس

الذين يطلبون مني .. من لهم الرحمة والمنفرة والقوية !!





## مصدر المؤلف

- حائط الوهم ..... مجموعة قصصية
- رجل داخل مثلث ..... رواية
- الحقيقة للضائعة ..... رواية
- طربوش الزعيم ..... مجموعة قصصية
- الثنان في حجرة مغلقة ..... رواية
- على جناح طائر جريح ..... رواية
- بصمت فوق الماء ..... رواية
- للسائق المستحيلة ..... مجموعة قصصية
- التردد والأسطورة ..... رواية
- مسافة .. في مثل رجل ..... رواية

## تحت الطبع

● ملاد والصباح

● سيستمر الى قلب عزراء





## أنا

واحد من كتاب القصة العمايق الصعاليك ! !

• أعيش في عصر التعاويذ والملائك والشیطان •

- في زمن بات الانس أشياء ماتت فيهم نبضة الأحياء •

- بدأت رحلتی نحو الحقيقة في كتابی هذا منذ ثمان سنوات تحت

عنوان « محاكمة الاله » قبل أن أعونه بـ « مسافة في عقل رجل »

فكنت كقراشة تحوم حول ضوء .. قتال .. قتال •

- الناس تصدق ما أكتب رغم أننا في عصر الأكاذيب ! !

- لن أدعى المعجزة أو الوحي أو النبوة بما خط قلمي لأن عصري ليس

عصر الأنبياء •

- لكنها صرخة يدونها التاريخ لي أشهدها على الخليفة •

- أنه في عصر التماليك والمحاذير أطلق كاتب صرخة قبل ميلادها

بمئة عام وربما أكثر ! ! يمزق بها عن الحقيقة سربال الخرافة لتظهر

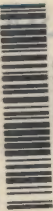
أمام الأعين سافرة بكل دقائقها وأسرارها •

- أملی بعدها أن تحطم سفین الأوهام .. أن تختفي أشباح النهار ..

أن تتساقط الدمى المرتجفة على قارعة الطريق لتفرد مكانا للعمايق

الصعاليك ! !

Bibliotheca Alexandrina



0479162

مكتبة